بين العدل والمحبة

° °°

الحديث عن الخبز في سنة شهباء، والكلام على المحبة في عصر البغضاء يستويان. وليس بالخبز وحده يحيا الانسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، وانفس هذه الكلم المحبة لانه، تعالى، محبة.

ولا ريب ان بين يوم الناس هذا والعصر الحجري وجه شبه. ففي ذلك العهد اتخذ الانسان من الحجر سلاحا، فلما افتن في السلاح، واوفى على الغاية في الابتداع، جعل من قلبه حجرا، فتدنت القيم الروحية واصبح النفاق آية السياسة، والاغراق في الالحاد والفجور قمة الكياسة، وغدا الانسان آلة في نظر اصحاب الآلات او سلعة في السلع.

ولقد تواضعوا في بعض الامصار على تقويمه بمايملك من نقد او عقار حتى ليقال في باب تعريفه فلان يساوي كذا دولارا، كما تنادوا في اقطار اخرى الى ابادة الضعفاء، والابقاء على ذوي القوة، بغية تحسين الذرية ليدفعوا بتلك الجسوم الى ساحات الوغى فتذوب في غمرات النار.

والكلام على المحبة يسوقنا الى التحدث عن العدل وان بينهما فروقا. فالعدل يأمر باحترام حق الغير فيعطى ما لقيصر لقيصر والمحبة تقضي بان تعطي من مالك لقيصر. يقول العدل: لا تفعل بالناس ما لا تريد ان يفعله بك الناس، وتهتف المحبة: افعل بالناس ما تريد ان يفعله بك الناس، يقول العدل: فلترجم الزانية، وتقول المحبة من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر. يقول العدل: ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وتقول المحبة: وان تعفوا فهو اقرب للتقوى.

وبديهي ان العدل والمحبة لا يتنافيان بل يمشيان جنبا الى جنب ويكمل احدهما الاخر. فالمحبة تنطوي على العدل على انها اعمق اصولا وابعد مدى. قال آريسطو ابو الفلاسفة «ان المتحابين في غنى عن العدل لانهم يتنافسون في عمل الخير، ولا مجال للشر بينهم». وهو كلام يستغني عن البرهان فلو عمت المحبة الناس لما كان للمحاكم من وجود، ولا للحروب واهوالها من اثر.

ولا عدل ان لم ينطو على المحبة فاذا انكمش في دائرة ضيقة بات عدلا جافا بربريا. فان المالك الغني الذي يخرج من منزله مستأجرا فقيرا لتعذر دفع بدل الايجار انما يمارس حقا. ولكنه لو اخرجه في يوم مطير، ومن حوله اطفال يرتدون اسمالا يدفعون بها الزمهرير، لما كان في هذا العدل الا قسوة، فانما التطرف في العدل هو اشد ضروب الظلم. وافضل من جسد هذا التطرف وليم شكسبير في روايته (تاجر البندقية) اذ حاول اليهودي الدائن اقتطاع بضعة من لحم غريمه لمعاجز عن ايفاء الدين في الاجل المضروب، فبئس عدل القوي يحز في جسم الضعيف.

ولقد نهضت في العصور الاخيرة فلسفة تحارب المحبة وتشير بابادة الضعفاء والمرضى وابناء السبيل زاعمة انهم يقفون سدا في درب التطور والرقي. وكان حامل بيرق هذه الفلسفة الهدامة فريدريك نيتشه على انه كان مريضا ومات مجنونا. ولكن فلسفته تلك لم تدخل القبر معه بل تركت صداها السيء في المانيا، وتعدتها الى سواها من الامصار، فاصبحت لا تدين بسوى القوة ولا تذهب الا مذهب تحسين النسل كما يجري في تحسين نسل الخيول المعدة لحلبات الرهان.

الا ان المحبة شريعة سماوية، وبها يكون الانسان انسانا. وعندي ان المسيحي لا يكون مسيحيا ما لم يقم قول الانجيل الطاهر: افعل بالناس ما تريد ان يفعله بك الناس. وقوله ومن سقى احد اخوتي هؤلاء الصغار كأس ماء باسمي فله الحياة الابدية.

ولا يكون المسلم مسلما ما لم يعمل بقول القرآن المجيد «لا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم» وقوله «ليس البر والتقوى ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الخ.»

وما المحبة الا الرحمة او اختها. وان الرحمة اجل ما نعت الله تعالى به نفسه، وبها يفتتح آي الذكر الحكيم: باسم الله الرحمن الرحيم.

بولس سلامه

فتاة من افاميه

بقلم الدكتور شكيب الجابري

o
o o

افاميه اسم جميل (1)، لمدينة جميلة ، شيدت فيما مضى على نشز عال من الارض يشرف على بقعة من اجمل بقاع سورية . ومن اسمائها القديمة « بيلا » .

كانت تدعى « فارناك » حين فتحها الاسكندر فيما فتح من البلاد واخذ بلبه شموخ موقعها ، اطلت منه على « الغاب » بشطآنه الغلباء ، وسهوله الغضراء ، ومياهه المنساحة ، وغدرانه الساجية . ومن ورائه جبال برجيليوس انتصبت سامقة شاهقة شجراء تحجب الغرب وتفصل ما بين الغاب وسواحل المتوسط . فقضى الفاتح المكدوني ان يستبدل من اسمها اسم بلدته العزيزة ومسقط راسه في بلاد اليونان . ومنذ ذلك الحين عرفها التاريخ باسم « بيلا » .

وورثها من بعده قائده المظفر سلوقس نيقانور مؤسس الدولة السلوقية . واستهوته كما استهوت سيده من قبل . فاطلق فيها يد الفن . واذا هي بالفة الروعة رائعة العمران ، واذا هو معجب مشغوف . وكانت آثر النساء على قلبه اميرة من اكاسرة الفرس، استباها يوم كانت جيوش الاسكندر تجتاح الهند وتقوض اركان فارس . واصطفاها من بين الغنائم النفيسة ـ والسبايا الفاتنات . واراد ان يخلد حبه فاطلق اسم سبيته الاثيرة على مدينته الاثيرة ، وكلاهما سبي وغصب وحبيب . ودعيت عروس الغاب باسم عروس فارس (اباما) وازدهت به . فاذا انتقلت بعد اجيال من يد الروم الى يد العرب الفاتحين ابقوا ، كعادتهم ، على اسمها الجميل ، وحوروه تحويرا لطيفا ، وظلت تدعى حتى اليوم فاميه او افاميه .

ولكن لافاميه تاريخا شجيا قل ان تجد كمثله بين التواريخ . فكم من مدينة بلغت ما بلغته فاميه من شأو ، ثم عدا عليها الدهر فذهب بمجدها ، لكنه عف في النهاية عن بقية لها كالثمالة ، فخلى على بعض ما اقامته فيها يد بناتها من صروح ، وعفا عن خلف من ابنائها تذكر بالاولين . اما افاميه فقد سفتها السافيات ، لم تبق دارا ولا ديارا . وشارعها المستقيم الذي امتد الفا وستمائة متر ، والعمد الضخام نقرت فيها الخطوط عمودية ولولبية ، وازينت تيجانها بورق الخرشوف والبلوط ، والقناطر والحنايا ، والقباب والابراج ، كل اولئك كانت قائمة باعتزاز ، باسقة بخيلاء ، كانها لا تفنى ، عدا عليها الانسان بغدره فدكها ، فاذا جاءت رجفة الارض ارسلت اليها بزلزال ، فجر الاديم من تحتها جرة واحدة ، فاذا البسيطة تميد ، واذا ما عليها مرمى ثاو في اتجاه واحد . واذا القصور المترفة قد بعثرت ذليلة ونثرت لكانها بنيت من سجل وتراب مهين .

ولم يكن لينم عين المدينة المطموسة وبقاياها الثاوية تحت امتار من التراب سوى عمود عاص هنا وبروز ناهد هناك فاذا طفلت الشمس واستطالت افياؤها امتدت ظلال صغيرة خلف ما سعى على وجه الارض من تموجات الاطلال الدفينة فافشت سر وجودها لذوي البصائر من علماء الاثار . ولقد يقبسون ، وهم في الطائرة ، صنورة مائلة لارض مرداء في الظاهر ، لا معالم فيها ولا اثر ، فتشي اطيافها الدقيقة بما تحتها من آثار المدن الدارسة .

اما الغاب الفسيح ، الممتد ما بين جبل الزاوية حيث قامت افامية وجبال برجيليوس التي ندعوها اليوم بجبال العلويين ، ومستنقعاه المتصلان اللذان سماهما العرب بحيرة افامية وادغاله ، وعيونه ، وجزائره ، وما التف على سفوحه الغربية من غابات وآجام ، فقد كانت تعج بصفوف الوحش واسر الطير . ولكم روعت قطعان الجواميس ، وضواري الوحش ، وطيور الماء من البط والدراج والكراكي واللقالق والبجع والزرق يوم انتهى سلوقس نيقانور من امر افاميه بعد ان حشد فيها المصانع الحربية والمعاهد العسكرية الى جانب ما انشاه من فسيح الشوارع وباذخ البنيان ، والتفت الى الغاب فحمل اليه من الهند الفيلة المدربة بالعدد الوفير تجوس خلال ادغال من القصب والاسل والحلفاء والبردى ، وتخوض الماء الضحل فتنفر مزوقات الحشرات والفراش وتضطرب ازهار النيلوفر فوق اوراقها المستديرة الطافية ، وتقوم قائمة صغار الطير ، لونت اجمل تلوين وجهزت باصفى الحناجر ، فتمرق كالسهام ما بين الاقصاب نحو زرقة السماء صافرة مزقزقة . ولا تلبث ان ترخي اجنحتها للنسيم الراحب فتسترخي هنيهة على بساطه الوثير ريثما تعود الى شأنها من الزقو واللعب . اما الزفة اللعوب فانها تمكث على سطح الماء لا تتحرك فان باتت على متناول اللمس غاصت طويلا ثم خرجت ببعيد تطفو وتنغط كانها الفيلة الضخام في هذه الارض الغريبة .

وانتقلت افاميه بعد ذلك من سلف الى خلف انتقالا هينا ، يد تسلم المدينة المترفة بلهف ورافة ، ويد تتسلمها بلهفة ورفق مشوق ، وهي تزداد كل يوم سعة وغنى ، حتى باتت رقعتها تربو على مئتي وستين هكتارا . وقد اصبحت قاعدة سوريا الوسطى او سوريا الهانئة ـ (سيريا سالوتاريس) كما كانوا يدعونها اذ ذاك . يحف بها ما يتبعها من البلدان العامرة ، كاراتوزه المنيعة ، رستتنا

(1) من رواية معدة للطبع

المنسية ، ومريمين ، ورفانية ، وحماه ، ابيفانيا الامس ذات النواعير . وما الى ذلك من بلاد وغيطان وسهول ، كانت تزخر بالعمران والخيرات .

الى ان جاءها كيخسرو الثاني ملك الفرس عام ٥٧٣ وهي في حوزة الرومان فاستباحها كما لم تستبح مدينة من قبل . ومن لم يذبح من اهلها سيق الى ذل الاسر والعبودية ونعق البوم في اطلالها زمنا طويلا . وكان للدهر حفيظة على المدينة الجميلة ، اججها ما رتعت فيه من خفض ورخاء فأبى ان يبقي حتى على ما ابقته فيها يد الانسان من مخلفات الحريق والدمار فارسل عليها رسلا من زلازله فبسطها وسواها . ثم درجها في عداد اترابها الكبيرات ، بابل ونينوى وعمريت واوغاريت . لكنه كان أقسى على فاميه ، فقد ابقى لاولئك على السنة الناس شيئا من الذكر ورجعا من الصيت الجميل ، اما هذه فقد طمس حتى على ذكراها فليس من يعلم من امر افامية شيئا . وان ذكرت اسمها لاي من ابناء الشام لم يدر اي شيء ذلك . الا قليل من جيرانها والراسخون في العلم .

لكن قلعة عربية قامت غير بعيد الى الغرب شيدها العرب اول ما آلت اليهم افامية ، وما بها من الناس الا القليل ، لعلها بنيت حيث كان كابيتول المدينة سماها الناس في البدء قلعة ــ افامية ونبتت بين ابراجها واسوارها قرية متراصة متواضعة تسميها اليوم « قلعة المضيق » .

ولقد وقفت القلعة العربية وهي في ابان عزها في مهب الاعاصير التي اجتاحت افاميه وذهبت بها من قبل . وروعها ما روع المدينة الهيلينية من نهب وتدمير واستباحة وتحريق مرات لا تحصى وفي كل يوم سيد وافد وبلاء جديد . فهي يوما للعرب ويوما للفرنجة وحينا للبيزنطيين . لا يستردها مسلم حتي يحيط بها رومي ، ولا يستقر بها حمداني حتى ينهبا افاق او يحط بها الاعراب ، وان هادنتها الاحداث يوما اطلت بقلب واجف ترقب ما يحيق بجيرانها من الويلات . فهذه انطاكية جاثمة جازعة ، تستعيد على مشاهد اليوم المروعة ذكريات الاجيال الخالية اذ كانت قرة عين الحضارة وكعبة الفن والترف واللهو واللذات ، والمقصف الذي جاءت فيه كليوباترا في يوم من الايام بعصارة الصبا وبكر اللذاذات وخالص الغواية لقيصرها المشدوه ما رد عنها جميل روائعها بغي احد من الفاتحين ، ولا شفع بها ما بلغته من نعومة الفن وجميل الصنعة امام مهاجم او مدافع . فذهبت مزقا بين الاكاسرة والقياصرة وما شاده العقل النير بالاناة والمعرفة والفن الدقيق في سنين لا تحصى اتت عليه في ساعات شراذم الجحافل ملمومة من كل جلف وافاق وماجور وشريد ، وجاست سنابك الاصائل والبغال والبراذين خلال الهياكل المرفوعة ، والصروح الممردة وداست احقر الدوس ما اشرع نحو السماء من جباه الفن وعصارة الذهن الرفيع .

فان جلت عنها جحافل الغزاة ، انبرت جحافل الطبيعة ، تعبث وتعبث وتدلك الصروح ولكم من سور طاول الجوزاء وبرج منيع قصرت يد الانسان ان تنال منه مأربا زلزلت الارض من زلزالها فاذا هو كومة من حجر وطين ، من تحتها نفوس تزهق واستغاثات وانين .

ويا للمأساة الهازلة تجمع تاريخ الانسان في لحظة وتصوره اصدق تصوير ، يوم احتشد مترفو انطاكية وعامتها في مسرح من مسارح دفنه ، متصف الالهة اللاهية ، والقياصرة العتاة ، واهل الفن والمترفين ، يملؤون محاجرهم بروائع التمثيل ويشنفون اذانهم بسائغ الالحان وتنعم انافهم بشذا الريحان ، سقته مساقط الماء برذاذها ، وهي تضفي من عذب خريرها على انغام المعازف . فيذهل المرء عن نفسه ويغيب عن حسه ، وتسبح العيون ، ظمأى لا ترتوي ، فيما حولها من خضرة نضرة ونعيم ، حرير انحسر عن اعناق متلعة ونهود كالجمان .

وانهم لكذلك اذا بممثلهم تجحظ عيناه ويجمد . ثم تند عن شفتيه كلمة بلهاء وهو يشحذ الاسوار الشامخة ببصره .

ــ احلم ما ارى ، ام هم عساكر المجوس !

وتنصب السهام تحمل الموت . ويطير اللظى يتخاطف ثياب النظارة . واذا المدينة وارياضها في طرفة عين حمراء لاهبة كالاتون . واذا هي ومن عليها وقود يتراكض ولهيب يتدافع ، وشواء يعج بريحه ويموج وعويل طويل يطغي على زفير النار .

ويوم اب نقفور الفقاش من غاراته على حماه وحمص وطرابلس ، وفي ركابه مائة الف صبي وصبية من صبايا العرب . فاذا بلغ بفراس ، غير بعيد من قلعة المضيق ، اشتدت سورة البرد وعز الغذاء ، وكلب الجوع . فخلي ما بين الصبيان والصبايا واقدارهم . وكانوا بضاعة نفيسة ينتظرها نخاسو القسطنطينية بصبر فارغ ليوزعوها على الموسرين باغلى الاثمان فمنهم من يسير الى سعده ومنهم من يسير الى نحس وشقاء . فعبث بهم وحصدوا اي حصاد ، وتركوا لوحول العمق تتشبث بهم ، وتبتلعهم ابتلاعا طويلا ثم تطويهم في اكفانها الرخوة لتتبلغ باجسادهم على مر العصور .

كل ذلك وكثير غيره من مرمض الاحداث ، اطلت عليه هذه القلعة من عليائها ، وشهدت تاريخه ، وتقلبات الزمان ولو ان لها ذهنا يعي ولسانا ينطق لخلعت مما شاهدت بحيرة اي حيرة ، الحيرة الكبرى امام هذه الحياة . لا تدري اين تبدأ الهناءة فيها واين ينتهي الشقاء . حلقات مبهمة اخذ بعضها برقاب بعض . ان تقصيت حياة الامم روعتك هذه النواحي الهائلة التي تتقاذف مصائرها . فما من اعمار الا في اثره دمار ، وما من رخاء الا من بعده عناء ، وكل هناءة مختومة بشقاء . ماسر ذلك ؟ .. ما هدف ذلك ؟ .. امن ورائه امر مقصود ، ام هي خبطة عشواء ، لا ناظم لها ولا هدف ولا قرار ؟ . لكن لم تحكم هذه الخبطة العشواء دوما دوما السير على هذا النظام السائد العنيد الذي جعل الشقاء هو الا بقي ؟

وحياة الافراد ، ليست كحياة الامم ، لا مكان فيها للاستقرار ، الشر غالب والخير مغلوب وكل ساعة من سعد فمآلها الى زوال ، والخاتمة دوما للدموع !

لكن هذه الفتاة من افاميا قد لاقت الهناء بعد العذاب الطويل . وذاك الفتى ، فتاها وجد السعادة يوم تكشف لعينيه معدنها الاصيل . فلنستمع الى حكاية رجل وفتاة غررا بالخبطة العشواء . وقضيا العمر في غفوة منها وزينا لنفسهما ليسلكن دربا لم يسلكه قبلهما احد ، وليكونن من المسعدين .

دمشق

شكيب الجابري

بونـد... واهـل القـلم

بقلم منـح خـوري

°
° °

عبقري

مجنون . . . او كذا يقولون ! ليس بين الشهرات الادبية في هذا الجيل اصدق من شهرتـــه ولا اغرب . كان بفنه اشعر شعراء اميركا لدور من الزمان ، وكان في عقيدته اعدى اعدائها ، فاستحق باخلاصه للفن اسنى ما يتوج به المتفوقون من ابنائها ، ونال بثورته على عقيدتها ميتة ما يزال القضاء يرجئها له حتى يبرأ في السجن من خباله .

غريب امر هذا الشاعر كيف تأتلف فيــه الاضـــداد وتتنازعه المتناقضات !! انجبته « اداهو » من الوسط الغربي باميركا الشمالية عام ١٨٨٥ ، فنشأ في رحبها المـــرع ، واختار لدراسته الحرة جامعتي « بنسلفانيا » و «هاملتون» يطلب فيهما الادب المقارن واللغات الرومنسية ، ثم استهل عمله بعد تخرجه كمحاضر في كلية « وباش » « بكروفورد فيل » ولكنه لم يلبث حتى غادرها مطرودا لكونه ، كمـــا قال عن نفسه « نمطا متطرفا من جماعة الحي اللاتيني » .

لم يفشل « بوند » في مهمته التعليمية ولكنه لـــم يشأ ان يكون اتباعيا يرى الراي الشائع ، ويذوق المذاق المألوف . تأمل واقع التراث الاميركي في الادب والفـــكر والعقيدة ، فألفاه اخلاطا غريبة ، والوانا مجلوبه ، وارا ان يبعث فيه الجدة والكثافة والحيوية ، فراح ينبذ الزائف ، ويجتوي المحنط ، ويسفح المخزون ، حتى ضاقت به اجواء بلاده ، فركب في شباط عام ١٩٠٨ باخرة من شاحنـــات المواشي الى الدنيا القديمة ، وحط في جبل طارق ، ثـــم سار الى البندقية ، حيث نشر اولى مجموعاته الشعرية ، وغادرها بعد اشهر الى لندن ليبقى حتى عام ١٩٢٠ .

هناك تفجرت دينامية تلك الذات العجيبة المعبـــأة بالقدرة الرائعة على الخلق والتوجيه والاثارة . فقد عمرت المكتبات الانكليزية خلال هذه المدة بواحد وعشرين مـــن الاثار التي ابدعها « بوند » او اخرجها في الشعر والنشر ، وشهد ذلك الربع الاول من الجيل ، ميـــلاد مدرســـــة « التصويريين » وتألق ثلاثة من انبغ اعلام الادب المعاصر على يديه : « ت . س. اليوت » و « و . ب. ييتس » ، و « جيمس جويس » ؛ فهو الذي اطلع الاول من الخفاء الى الشهرة ؛ ورد الى الثاني شبابه السليب ، واحيا شعره بالزخم والجدة ؛ وهو الذي كفل للثالث عيشه وامن للتراث نشر انتاجه الرفيع .

ولكن هذا النمط المتطرف من جماعة الحي اللاتيني — هذا الاميركي الفظ ، ذا الهامة الضخمة ، والوجـــه العريض ، واللحية الحمراء — ما كان ليطمئن الى بلد عامر بالوجوه الناحلة ، والاذقان الناعمة — بلد يؤثر اهله المداورة على التحدي ، ويقدمون الكياسة الادبية على الكمال الفني ؛ فارتحل عنه الى باريس مخلفا وراءه احدى عشرة سنة من الاثارة الداوية ، والانطباع العميق .

غريب امر هذا الشاعر كيف تأتلف فيه الاضـــداد ، وتتنازعه المتناقضات ! حتى باريس لم تكن بيئته المؤاتية لاكثر من ثلاث سنوات ؛ فقد غادرها الى « رابالو » بايطاليا ، بعد ان تعلم فيها النحت ، وكتب عن الموسيقى ، واستوعب ما فاته من الادب الفرنسي ، وبعد ان كان منزله مـــاوى التائهين في اوروبا من الشباب الاميركي المغامر ، « كارنست همنغواي » الذي ساعده « بوند » يوما على بلوغ ما انتهى اليه مؤخرا من الشهرة العالمية . وكان ايطاليا كانت ارض ميعاده حتى اصطفاها مقرا ، وراح يستأنف منها جهاده الاكبر في شتى الامداء واخطر الميادين . فقد عبر عـــن طاقته المتفجرة هذه المرة بصوتين جهيرين تجسدا في اكثر من ثلاثين مؤلفا جديدا ، كان من بينها «الاقنعة» «Personal» وترجماته عن الصينية ، وكتاباته النقديـــة ومجموعـــة «الفصول»التي نظمها في مدينة «بيزا» The Pisau Cantos

فاعتبرت من اروع الاثار الشعرية ؛ وكان اغرب تلك المؤلفات لونا ، ما انشأه « بوند » في الاقتصاد والسياسة وثار به على النظام القائم في بلاده أثناء الحرب الاخيرة . صوتان متنافران في الفن والعقيدة ارسلهما هذا الرجل الفرد ، فجلجلا في مسمع العالم الحر ، وهزاه في الصميم أعنف هزة تعرضتلها قيمة الحضارية فيتاريخه الحديث.

بعد نشوب الحرب الاخيرة بين المانيا وبريطانيا ، وقبل ان تشترك ايطاليا فيها ، كان ازرا بوند قد بدأ يذيع من راديو روما سلسلة احاديث في الاقتصاد السياسي ، ويحمـــل فيها حملة عنيفة على روزفلت وسياسة حكومته ، وعلـــى طغيان النفعية المادية ، وفساد النظام الاقتصادي ، وضياع القيم الرفيعة في المجتمعات الديمقراطية ؛ فثارت ثائـــرة اميركا على هذا « الفاشستي » المتآمر مع الخصوم علـــى تقويض اركانها ، وحكمت عليه وهو في منفاه بعقوبة الموت.

وفي نيسان سنة ١٩٤٥ احتلت طلائـــع الجيش الاميركي شمالي ايطاليا واعتقلت بوند وساقته الى « بيزا » حيث القي هناك في قفص حديدي ونال من شدة البرد ،

وقسوة المعاملة ابشع صنوف العذاب ، ولم ينقذه من حالته المنكرة غير مرضه وانهيار اعصابه مما حمل المسؤولين على الرفق به والاهتمام بمعالجته . هناك في مستشفى السجناء وبعد ان عاوده شيء من العافية ، نظم رائعته الشعرية The Pisau Cantos . ثم نقل في نوفمبر من معتقله بايطاليا الى وشنطن لاستئناف محاكمته ، ولكن ما قاله الاطباء عن اصابته في عقله اخر ذلك ، فاودع في مستشفى « سانت اليزابيت » وما يزال هناك الى اليوم رهين مأساته يعانيها وينظم وهو في قبضة الموت ، تتمة « فصوله » الملهمة .

غير ان وقوع المعجزة لم يكن امرا محالا في بلد يؤمن اهله او فريق من اهله على الاقل بالحياة بعد الموت . فبينما كان غلاة الديمقراطيين في اميركا يتنظرون مصرع الرجل بحرقه الموتور ، كانت نخبة من اهل القلم في مكتبة « الكونغرس » تستعرض ، بتكليف رسمي من الحكومة ، افضل المجموعات الشعرية التي انتجها الشعراء الاميركيون لعام ١٩٤٨ ، وتمنح مجموعة « ازرا بوند The Pisau Cantos جائزة بولنجن Bollingen اسنى كفاءة يطمع بها شاعر .

الحياة للفن ... والموت للعقيدة ... ! بهذا الحكم ـ بالحياة والموت في آن واحد ـ قضت السلطة الواحدة في الامة على رجل من رعاياها هو نفسه الفنان وهو صاحب العقيدة !!

موقف يوهم التناقض ، وغرابة في تقييم « الذات الانسانية » هاجا على المحكمين في اميركا غضبه قوم ، وهزا للدفاع عنهم نخوة اخرين . فقد حملت اوسع المجلات الادبية انتشارا في الولايات المتحدة The Saturday Review حملات ساخطة على قرار اللجنة ، وكتبت سلسلة مقالات تكفر فيها الشاعر لما ارتكبه من الكبائر في موقفه العدائي من دستور بلاده الفكري والسياسي ، وتستفز الاحقاد الدفينة بالتساؤل : اي مواطن هو هذا الذي يذيع على الناس من « روما » تعاليم « الدوغما الفاشستية » هاتفا : « ليست الحرية حقا ولكنها واجب » .. واي شاعر هو هذا الذي يشحن شعره شحنا عاليا بالعويص الشاذ ، والشتيت المنغلق ، حتى ليحتاج القارىء الى اضخم المكتبات الجامعية ، والى اتقان الصينية واليونانية واللاتينية بالاضافة الى سائر اللغات «الرومنسية» ليتمكن من تهجئة رموزه الجافية ..؟ اذا كان « بوند » لم يصرع بعد رميا بالرصاص لخيانته العظمى ، فلتحبس عنه على الاقل اسنى الجوائز الرسمية ، وليعطل جبينه من اكاليل الغار .!!

غير إن هذا الصوت المتحدي لم يبلغ امداءه المرجوة ، اذ ارتفعت للدفاع عن مبدأ « الحياة للفن » اصوات انقى منه واوقع ، راحت تصعدها حناجر النخبة الحساسة من شعراء الامة : فقد كتب « اليوت » سنة ١٩٤٦ مقالا عاد فأكده سنة ١٩٥٠ ، جاء فيه : « لقيت بوند (بواسطة كونراد ايكن) سنة ١٩١٥ ، فكان له الفضل ، اثر هذا اللقاء في ظهور قصيدة « بروفروك » في مجلة Poetry وفي صدور كتابي الاول عن دار ال Egoist سنة ١٩١٧ » .

« كان بوند يسكن يومها في « كنزنجتون » بلندن ، في منزل ضيق ، معتم ، يعد الطعام في غرفته العريضة على ضوء مستعار ، ويشتغل او يستقبل ضيوفه في غرفته الصغرى المثلثة الاضلاع . في هذا المنزل عاش بوند حتى انتقل الى باريس سنة ١٩٢٢ ؛ وكانه كان ابدا على اهبة الاغتراب الى مكان ... يحفزه الى الانطلاق حيويته الوثابة ونفاره من الحياة النامية في محيط واحد . كان في اميركا يهم بالسفر الى الخارج ، وكان في لندن يهم باجتياز « المانش » الى الشاطىء الاخر . اني لا اعرف في امة من الامم انسانا قضى ما قضاه بوند خارج بلاده دون ان يطمئن الى قرار . لقد حسب لندن ، لمدة ، ومن بعدها باريس ، افضل مركز للمحاولات التي كان يبذلها في سبيل احياء الشعر ، واكنه عاد فهجرهما . ومع انه ناصر جميع الذين اثاروا اهتمامه من الشعراء الناشئين في انكلترا ، وايد اكفاء الكتاب الشباب من مختلف الجنسيات ، فقد كان مستقبل الاداب الاميركية في طليعة ما يعنيه من المشاغل .

« ما من احد كان بوسعه ان يبذه في عطفه على الاكفاء من الادباء المنسيين ، الناشئين منهم وغير الناشئين . وما من شاعر كان اعدل منه ، دون انتقاص ذاتي ، في تقدير انتاجه الخاص . اما التعاظم الذي ينسبه اليه البعض ، فهو في الواقع شيء اخر ، وليس على كل حال تعبيرا عن اعتداده بقيمة شعره . لقد احب ان يكون الداعية المسؤول عن الجيل الناشيء من الادباء ، وان يكون باعثا النشاط الفني في كل وسط يرتاده ؛ فبذل للقيام بدوره هذا ، اقصى ما يملك من العطف والاريحية : اطعم المفتقرين من زملائه الغذاء ، واعطاهم ما يصلح من ثيابه للعطاء ، وحاول ان يوجد لهم عملا ، ويجمع تبرعات ، وينشر مؤلفات ، ويتناول هذه المؤلفات بما تستحقه من النقد والثناء . الحق انه كان مستعدا لبذل حياته كلها في سبيل من شغفته آثارهم من الادباء . لقد شغف بالاثار الفنية التي كان يبدعها اصحابه الى حد كان ينظر فيه الى هؤلاء نظرة «لاشخصية» كأنما هم مجرد آلات فنية او ادبية يجب تزييتها والاعتناء بها حتى تعطي افضل العطاء .

« واخيرا ... كان ذلك في باريس سنة ١٩٢٢ ، عندما وضعت بين يديه قصيدة قلق ، مشوشة ، بعنوان « الارض الخراب The waste Land فلم يستبق منها قلمه الماحي غير ما يقرب من نصفها المنشور الذي عرفها به الناس. واذا كان يطيب لي ان ارى المخطوطة ، بمقاطعها المحذوفة ، قد اختفت بلا رجعة الى الابد» ، الا انني اتمنى لو يحتفظ بتلك المخطوطة ، وبما عليها من مساحب القلم الازرق الماحي ، لتدل دلالة قاطعة على اثر الناقد العبقري . »

هذا ما كتبه « اليوت » وجاراه فيه عدد من الادباء « كوندهام لويس » و « ج.س. فريزر » و « ا. ماكليش » وغيرهم ممن اكبروا فن « بوند » ـ الذي سنحاول درسه في احد الاعداد الطالعة ـ لقيمته الذاتية ، وآمنوا بالمبدأ الذي رفعه الى المرتبة الاولى ـ مبدأ المحكمين الذين اجمعوا على ان التأثر بأي عامل غير عامل الابداع الشعري يشوه معنى المكافأة الادبية ، ويفسد جوهر النظرة الموضوعية الى القيم التي ينبغي ان يقوم عليها كل مجتمع متحضر .

منح خوري

دنيـــا تمــوت

✳

لخليــل الحــاوي

الجامعـة الامريكيـة ببيـروت

✳

ومتى يمهلنا الجلاد والسوط المدمّى ؟ فنموتْ
بين ابد حانيات ، في سكوت ، في سكوت
ومتى يخجل مصباح الخفيرْ
من مخازي العار
والدمع المدوّي من سرير لسريرْ ؟
ومتى يحتضر الضوء المقيت
ويموت

عن بقايا خرق شوهاء ،
عنا ، عن نفايات المقاهي والبيوت ؟؟
حشرت في مصهر الكبريت ،
في مستنقع الحمّى ، رست في جوف حوت
مضغة يجترُّها الغاز الجحيميُّ السعير ،
حشرجات تتعالى سحبا صفراء في وجه القدير
والضمـيرْ
ذلك الصوت المرائي
كم يرائي المستجير ،
ذلك الجو الجحيميُّ السعير
في مداه لا غد يشرق ، لا امس يفوت
غير آنٍ ناء كالصخر على دنيا تموت

★ ★ ★

اتراه كان لي دنيا سواها
كان لي يوم نضير
وعرفت الحلم والايمان والحب القرير :
نبض قلبين ، وزند ليّن ، وصدى يهمسه دفء الحرير ،
وصليب ورع فوق السرير
وخيال يتحدى عتمة المجهول والسر الكبير .
اتراه كان لي يوم معافى ونضير
ام حكايات ثلوج مدُّها البحران في وهج الهجير ؟
كل ما اذكره اني اسير ،
عمره ما كان عمرا ،
كان كهفا في زواياه تدب العنكبوت
والخفافيش تطير
في اسى الصمت المرير
وانا في الكهف محموم ضرير
يتمطى الموت في اعضائه ، عضوا فعضوا ، ويموت
كل ما اعرفه اني اموت
مضغة تافهة في جوف حوت .

التأليف الانسكلوبيدي في الاسلام

بقلم حسين علي الداقوقي

الانسكلوبيديا « الموسوعة او دائرة المعارف » في ادب كل لغة ، وثقافة كل شعب ، شيء لا غنى عنه . فهي على تفاوت انواعها واختلاف مراتبها بين الاختصار والاسهاب ، مرجع يعتمد عليه المثقف ، في عمله او مطالعته . هذا هو التعريف الذي اورده الاستاذ فؤاد صروف في مقدمة الموسوعة العربية وسنحاول في هذا المقال ان نتلمس معالم التأليف الانسكلوبيدي في ثنايا تاريخ حركة التأليف في الاسلام ونتبين جهود اهل الفكر والنشر وقيمة جهودهم في هذا المضمار .

ان مصنفات اغلب علماء المسلمين وفلاسفتهم تقع على شكل موسوعات ، ولما لم يكن في العصور الوسطى الاختصاص بمعناه المعروف في الوقت الحاضر ، اخذ المفكرون وبوجه خاص الفلاسفة كالفارابي وابن سينا واضرابهما يتبعون خطى ارسطو ويرون وضع مؤلفات تحوي شتى انواع العلوم .

اتبعت الحركة الانسكلوبيدية تطور الحياة في العالم الاسلامي وتنوعت كلما تغيرت عناصر الحياة في هذا العالم فبدات بشكل بسيط الى ان اتخذت شكلها الحقيقي الوافي في كتاب (العالم) لاحمد ابن ابان ، وفي رسائل اخوان الصفا . ويقتضي تنظيم البحث ان نبدأ اولا باستعراض الانسكلوبيديات العامة ثم نتطرق الى الانواع الخاصة منها .

وضع الشيخ ابو الحسن عبد الله الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ ﻫ احد مؤسسي علم النحو واللغة مجلدا كبيرا باسم « خلق الدنيا وما فيها » بدأ فيه باللوح والقلم ثم ذكر السموات والارض والعوالم الاخرى بسرد الآثار والاخبار استند في ذلك الى الحديث والمؤلفات العلمية الموجودة يومئذ (١) . وكتب ابو حاتم ابن حيان البستي (٣٥٤ ﻫ) كتابا في « وصف العلوم وانواعها » في ثلاثين جزءا .

ومن اقرب المؤلفات الى الشكل الموسوعي ما الفه احمد بن ابان بن سيد الاندلسي (٣٨٢ﻫ) وهو عالم فاضل ولغوي كبير يكنى ابا القاسم . كان صاحب الشرطة بقرطبة (٢) في ايام المستنصر (٣) روى عن ابي علي البغدادي واخذ عنه كتابه « النوادر » وروى سعيد بن جابر الاشبيلي وغيرهما واخذ عنه ابو القاسم بن الاقليلي .

كان ابن سيد مولعا بالاداب واللغات وروايتهما وتصنيفهما مقدما في معرفتهما واتقانهما ــ وكان مطلق القلم بالتصنيف فمن اثاره كتاب « العالم » (٤) وهو يقع

---

(١) راجع كتاب البروفسور H. Z. Ulken عن الفكر الاسلامي وقد نشره اخيرا باسم La Pensée de l'Islam. (٢) كتاب الصلة لابن بشكوال ص٧ المجلد الاول سنة ١٨٨٢ (٣) بغية الملتمس للضبي ص٥٢٢ (٤) انباء الرواة على انباء النحاة للقفطي ص ٣٠ ــ ٣١ (٥) كشف الظنون (٦) انباء الرواة (٧) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ١٢٦ وراجع (روضات الجنات) ص ٦٥ و (سلم الوصول)

في مئة مجلدة ومرتب على الاجناس ابتدأ فيه بالكلام على الفلك لكونه اعظم الاجسام وختمه بالذرة (٥) وله كتاب « العالم والمتعلم في النحو » (٦) وكتاب شرح فيه مؤلف الاخفش وغير ذلك (٧) .

وعلى نفس الشاكلة تجد في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) (٨) رسائل اخوان الصفا فان هذه الرسائل وكتاب العالم يعتبران اقدم الانسكلوبيديات المكتوبة في العالم .

كانت هذه الرسائل دائرة معارف فلسفية علمية للقرن الرابع الهجري حازت عند جماعة من الحكماء والجهابذة قبولا كبيرا وعرفوا مقامها فاحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها (٨) .

تقسم الرسائل الى اربعة اقسام : منها رياضية تعليمية وهي اربع عشرة رسالة . ومنها الرسائل الجسمانية الطبيعية وهي سبع عشرة رسالة ومنها الرسائل النفسانية وتشتمل على عشر رسائل ومنها الرسائل الناموسية الالهية والشرعية والدينية وهي احدى عشرة رسالة (٩) .

ص ٦٢ ومعجم الادباء ج ٢ ص ٢٠٣ ، الوافي بالوفيات ج٢ المجلد الاول ص ٨٠ .

8. O'bary : Arabic thought and its place in History 1922.

(٨) مقدمة الرسائل (٩) المقدمة ص ١ــ١٥ . (١٠) مقالة باللغة الانكليزية مجلة 1932 Der Islam يشير فيها الكاتب الى Flugel ZDMG XIII 20) والى (١٢) In casiri I, No. 364. (١١) فتاوي ابن حجر. القاهرة ص٩٣.



تعددت النظريات التخمينية فيها لعدد من الباحثين ، فمن قائل انها تنسب الى عالم ما وراء الطبيعة من علمـــاء المعتزلة (١٠) . ومنهم من عزاها الى الامـام جعفـــر الصادق (١١) . وبعضهم اعتبرها من انتاج ابي القاسم سلمة المجريطي القرطبي المتوفي ٣٩٨ هـ (١٢) . ومما لا شك فيه ان هذه الرسائل تعبر عن آراء واتجاه زمرة مـن الفلاسفة والمفكرين من رجال القرن الرابع كانوا اعظم اخصائي العلوم والفنون في عهدهم بما فيهم المتدينـــون مخلصون ومتكلمون ومتصوفة وبجانبهم زنادقة ملحدون .

حاولت هــذه الزمرة جمــع الافكار الفلسفيـــة والاجتماعية التي كانت قد تطورت في العالم الاسلامي حتى العهد الذي عاشوا فيه ، وهدفت الى تنظيم هذه الافكار والمزج بينها فاوجدت مصنفا انسكلوبيديا ضخما مبسطا استهدفت فيه قبل كل شيء مقاومة تيار الانحطاط الذي اصاب المجتمع العباسي وذلك بنشر مقومات ومشـــارب اخلاقية وعناصر ثقافية راقية ، سلكوا في تحقيقها طريقة علمية وحاولوا فيها التوفيق بين افكار سقراط وافلاطون وارسطو وفيثاغورس والفارابي من جهة وبين بعض المبادىء الشيعية من جهة اخرى لذلك يطلق على مذهبهم فـي الفلسفةالاسلامية بمذهبالتوفيقوالاختيار(١٣) eclectism

ومن الكتب المهمة ايضا مفاتيح العلــوم للخوارزمي (٣٧٨ هـ) الفه لابي الحسن عبد الله بن احمد العتبي (١٤) وكتاب طبقات الامم لابي المظفر الابيوردي (٥٠٧هـ)وكذلك كتاب الفنون لابي الوفاء ابن عقيل البغـدادي (٥١٣ هـ) ولابن عقيل تصانيف كثيرة في انواع العلوم واكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير . قال ابن الجوزي : هذا الكتاب مائتا مجلد وقع لي منه نحو من مائـــة وخمسين مجلدا . وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا اكبر من هذا الكتاب حدثني من راى منه المجلد الفلاني بعد الاربعمائة . هذا وفي رواية اخرى انـه ثمنمائة مجلد (١٥) .

والف ابو الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في فنونشتى وخلف مؤلفات يزيد عددها على مائة كتاب (١٦) . وكتاب « المجتبى » اقرب كتبه الى الشكل الموسوعي العام وهو في انواع من العلوم كالقراءة والسير ونحوه (١٧) .

ومن التصانيف القيمة في هذا الكتاب كتاب حدائق الانوار في حقائق الاسرار للامام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) الواعظ البليغ والفقيه الشافعي الكبير اورد فيه موضوعات ستين علما الفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمي (١٨). وكتاب درة التاج لغرة الدباج فارسي للعلامة قطب الديـن محمود ابن مسعود الشرازي المتوفى ٧١٠ هـ وهو المشهور بـ « انموذج العلوم » جامع لجميع اقسام الحكمة النظرية والعملية (١٩) الفه للدباج بن فيل شاه (٢٠) .

وينبغي ان لا ننسى بهذه المناسبة كتاب ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد لشمس الدين محمد الانصاري الـذي اصبح مصـدرا لطاشكوبـــري زاده فـــي موضوعـات

(١٣) تعليق البروفسور Ulken في مجلة Sosyoloji العدد ٦
(١٤) جرجي زيدان ـ تاريخ اداب العرب ج٢ ص٢٣٢. (١٥) كتـــاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ض ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٨ . (١٦) جرجي زيدان ـ اداب العرب ج٣. (١٧) كشف الظنون. (١٨) كشف الظنون ، وجرجي زيدان في تاريخ اداب العرب ج٣. (١٩) كشـــف الظنون. (٢٠) Ulken في موضوع الانسكلوبيديات . (٢١) المرجع



الصور منقولة من كتاب محفوظ في مكتبة السليمانية رقم ٣٦٣٨ كتب في بغداد سنة ٦٨٤ هـ تفضل واهداها الينا البروفسو، S. Unver.

العلوم (٢١) وكذلك يتطلب التطرق الى كتاب اتمام الدراية لقراء النقاية لجلال الدين السيوطي الكاتب الذي بلغ عــدد مؤلفاته اكثر من ٣٠٠ كتاب ورسالة (٢٢) .

ومن اجل ما يذكر من الجهود في هذا المضمار ومــن اقربها الى الالمام بحذافير ثقافة العصر مقدمة ابن خلدون . تشكل المقدمة كتابا مستقلا بذاته بحيث انها في مضمونها ليست تاريخا بالمعنى الدقيق بل فيها مواد واسعة الاطراف غزيرة الفائدة يقول عنها René Maunier بانها « مـركب عظيم من القوانين الكونية ودائرة معارف لعلوم العصر »(٢٣)

كذلك في العالم الاسلامي طرازمن التاليف الانسكلوبيدي يدعى غالبا بالامالي ، والامالي جمع الاملاء ، وهو ان يحضر العالم ويحضر حوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم متنقلا من بحث الى بحث ومن شعر الى شعر بطريقة التداعي الحر ويكتبه التلاميذ فيصير كتابا يسمونه الاملاء والامالي. وكان يطلق على قسم من المؤلفات من هذا القبيل اسم « التعليق » (٢٤) . كانت الامالي حسبما يرى الاستـاذ نفسه من المواضيع ولكن ثمة ما يسمى « مجالس » فهي اجمع من الامالي لان الموضوع لم يكن خاصا بالرئيس وحده

ـ التتمة في الصفحة ٧١ ـ

حسين علي الداقوقي
العراق ـ كركوك

أربع كلمات في أربعة أسابيع

يكتبها
الياس خليل زخريا

نونا الصغيرة الخبيثة

●

الحنطي الاسمر

•

... غيري لي وجهي ...
وانهمرت الدموع على خديه ...
هو طفل صغير حنطي اسمر ، ملفح الوجنتين .
من ايام الشمس ، هادىء النظر واسع الجبين .
واسع التامل ، اسود الشعر ، كانه من ابر الليل .
جاء ذات امسية الى امه يريد ان
... غيري لي وجهي ...
... يبكي ... يتنهد ...
... غيري لي وجهي ...

تلك الصغيرة ، الطفلة الشقراء ، هزئت المهزاة الجارحة
من لفحة سمرته ، ومن شعره القصير القاسي .
شدته بشعره ، وهما يلعبان ، فافلت من اناملها
اللينة فوقعت في الوحل على الارض .
ضحكت منه الما ، ثم دلت عليه دلالها ،
وتلوت على الغنج تهز طرف ردائها الزهري
ومدت اصابعها اليمين تسرح بها في النكاية جدائل شعرها الاشقر .

ومدت عينها فيه ، وغمزت ، ثم جمعت رفيقاتها

يغمزن غمزها ، ويهزان هزاها .
والصغير الاسمر ، العنيد ، واقف فيهن عند عمود الرخام
في قناطر الدير العتيق وراء ممر الهيكل يبكي وحده ويمسح الدمع بطرف كمه ، وشفتيه .

... دق الجرس الاخير ...
لم تات «نونا» الصغيرة الشقراء هذه الامسية
تحمل معه في كتبه واداوته
تركته وحده
في مؤخر الصف ومؤخر السيارة .
مرت به نزولا عند بيتها ،
لم تمد يدها مودعة او مقبلة
كانت تقبله احيانا حتى بعينها ،
... لا قبلة ، ولا نظرة ولا شدة يد ...
لمحة عين من تحت عنق معطفها

عاد الى البيت والدمعة في عينه .
يريد ان تغير له امه وجهه ...
.... وجهه كل وجهه
السمرة ، ومجاري الدمع والشعر الابر .
غسلت له وجهه بالماء والصابون
فركته بشفاهها الحرى ، وخدودها الملتهبة .
... لم يحمر... ولم يبيض...
كانه كاتم في اسمراره سره .
في وجهه تلك الليلة شيء من وجوه الكبار .
في حديثه تلك الليلة شيء من حديث الكبار ، ومنطق الكبار .
لا اكل ولا شراب ، ولا نوم حتى تغير له امه وجهه .
سند راسه براحتيه ، كانه يسند

بهما الارض .
ثقل متكيء على ثقل ...
... جبل على راحة جبل ...

مطر وريح

•

المطر يسقط من السماء
... من الارض والسماء ...
والريح تزحف في فحيحها ، واكافيفها كانها هاربة
من مخابئها الباردة .

.... قومي نفتش لهذا الصبي عن وجه جديد .
ورق الشجر ينتفض على التمسك انتفاضا .
موج البحر يضطرب على الزبد اضطرابا .
غيوم الفضاء تغتم اغتماما وتحتبس فيها السماء .
وخشب التوافذ كانه سدود مياه عالية .

كان نبيل يبكي حائرا تائها .
لن يخلع ثيابه وحذاءه حتى يخلع وجهه .
يريد ان يذهب غدا الى دير المدرسة
ووجهه اشقر على خصل شعره الاشقر .
... قومي نفتش له عن وجه .
لن نعود من الطوفان في الارض هذه
الارض الغارقة في الماء والسيول ، حتى نجد
له وجها اشقر جديدا .

وسرنا في الارض .
نداء عميق من وراء الليل
سراجنا قليل الزيت
... قليل الضوء
... قليل الامل .
وعصانا الثقيلة نشق بها الماء

والسواد والضباب الكثيف
عند الممر في متنفس الطريق شبح يمتد
علينا كلما ارتعش السراج اهتز الشبح وامتد
طولا وعرضا .
متململ على ضيق الارض .
عكرت ، صمته فظل على الصمت هادئا مطمئنا .
مددت يدي اليه فاذا به بارد .
نهرته فما فتح فمه ولا اذنه .

شبح واقف امامنا ، كانه منا .
ظل من ظلالنا ، بين العصا والسراج ،
وخطوات امراة مؤمنه ،
ان الليل يخبيء في جيبه للاطفال المؤمنين وجوها جديدة وهدايا جديدة وقبلات على الخدود
تحمّر الخدود .
...وانه يدخل البيت من المدخنة،
من ميزاب الماء ، من مفتاح الباب
يحمل على ظهره من حديقة الايمان
في حقول التامل وردا احمر وتفاحا احمر
ووردا اشقر ونوما كله هناء
من اين نحمل اليه الليلة الوجه الاشقر .
اثارت تلك الخبيثة في خبثها مكامن نفسه القديمة .
تمنّع عن الطعام بخشونة وجفاء .
شبع من قلة الزاد وارتوى من قلة الماء .
تركناه يغمغم كانه يقضم نفسه .
وانطفأ في العصف ضوؤنا
وظلت لنا العصا الثقيلة .
وفتشت عن الشبح فلم اجد شبحا .
ذهب ذلك السواد المتحرك المرتعش بذهاب الضوء .
ذهب السواد بالضياء .
والعصا . بقيت العصا نقطع عليها احواض المياه المتدفقة
لم نجد له وجها . تغير وجهنا نحن

في تلك الليلة ،
كل شيء تغير وجهه
الماء اسود ، والجدار اسود ،
والعصا سوداء
والسراج كله سواد .
وسرنا عائدين كاننا كنا ضائعين
في سراديب الظنون
وانفاق الهواجس .
نفد الزيت ...
ونفدت الهمة ...
كان ينتظرنا في الباب
ينتظر وجها غير وجهه
واعطيناه السراج المطفأ
اخذه منا وعينه في جيبنا
ثم عاد يغمر امه بذراعيه
يقبلها تقبيلا .
فاكدت له ان الوجه الجديد في جيبها ،
وانه اذا اكل اكله وشرب شربه
وغل في سريره البسته الوجه الاشقر الذي
حملته اليه من عند الملائكة
وتغير لونه ، وزها وتشدد عزمه
وقام الى المائدة ياكل ويشرب بشهية
ويهيء جفونه للنعاس .

ثم تذكر انه لا ينام الا على ساعد امه ،
وتذكرت امه
انها هي لا تنام الا في انفاس سريره
واغفى ، وهو ينسج بعينيه، ويتمتم بشفتيه ،
وينقّل الزمن على تفتح اصابعه
كان اسمراره كانه بياض
كان لفحه كانه قبل
كان وجهه كانه لمسة يد
من لمسات الله في صفاء الزمن .
اين هي تلك الخبيثة الشقراء لترى كيف
ينام على غمزها الجارح
ولترى كيف غيرت بدلالها وغنجها وقساوة الوداع ،
لون هذا الصبي الصغير فمسحته بحبات الدمع .

الجيب المقفل

•

وسرنا معه في الغد الى دير المدرسة ،
تحمل امه في جيبها المقفل وجها اشقر
ستلبسه اياه في الملعب الواسع

امام مدخل المدرسة دوحة كبيرة ،
وبجانب الدوحة ، ملجا للمطر ،
في زاوية الملجا ، قبل قرع الجرس الاول
صغيرة شقراء ، متعبة الوجه ، في عينها حيرة وبقايا دمع .
وتقدم هذا الصبي ، صبينا ، الى الملجا ،
وتقدمنا ، نحن معه . وهدأ ، هدوؤه فجاة ..
... ورايناه يقف مكانه .
... ورايناها تقف مكانها .
كانت جدائلها الشقراء مسرحة ضفائر ضفائر
وكانت عينها الصافية مشرعة حلما صغيرا
ثم قرع الجرس ونسي نبيل وجهه الاشقر
في جيب امه واسرع الى المدخل .
وحوله
الف اسمر واشقر وسمراء وشقراء .
نظرت في الملجا فوجدت تلك الشقراء لما تزل واقفة
ثم انفجرت بكاء وعويلا .
لقد نسيت كتابها وقلمها في البيت
وحملناها معنا الى البيت :
... عجبا لقد كان بيتها في متنفس الطريق
عند انطفاء السراج
وكان ذلك الشبح الذي رايناه في ذلك
الليل العاصف ظلا من شرفة بيتها منبسطا .
طويلا عريضا على صدر الارض .
... من تراه قاد خطواتنا تحت

الوردة الحزينة

*

فديتك ما لخدك في شحوب ... كأن عليه من لون الغروب
فديتك وردة غصّت بزهو ... على تزآر عاصفة غضوبْ
تمزقها الرياح ولا تبالي ... بعرس للجمال ولا الطيوب
وتخنق رونق الحسن المصفّى ... بموحشة من القفر الجديب
وكنت من الزمان على ذراع ... مطوّقة وهدهدة حدوب
وكنت اذا هللت على دروب ... يشيع الزهو في شوك الدروب
ودنياكِ السخية بوح غصن ... الى غصن ورنّة عندليب
فديتك ما خلقتِ لسفح دمع ... ولا حمل الرزايا والخطوب
خلقتِ لتسكبي خمر الدوالي ... من العينين في القلب الكئيب
وتنهمري سحائب من حنان ... على المجروح في اليوم العصيب
خلقت لتطلعي في الافق نجماً ... اذا ما مال نجم للمغيب
وتكتسيَ الخمائل والروابي ... مفاتن من محياك الخصيب
ويرتشفَ الفراش رحيق حب ... من الشفتين والثغر الرطيب
ولو في مهجة الايام قلب ... لامعن في التوجع والنحيب
فتصويح الجمال أمضّ وقعاً ... على الاضلاع من موت الحبيب

حماه ـ سوريا

عارف قياسه

المطر والبرد الى مكامن بيتها .
حقا ان الايمان يغير الوجوه
وان المحبة تغير الوجوه

اجنحة وبخور وشعر اشقر

●

غدا يلبس الصغير « نبيل » وجها اشقر
وشعرا كانه ابر الفجر لا شوك الظلمة .
... غيَّر وجهه ...
وغيرت هي وجهها
وعاد الزهو الى حديقة الملعب
في الدير القديم بين شدة شعر
وقرصة يد وقبلة بريئة
وتعاون عند الجرس الاخير في حمل الكتب والاقلام
هنيئا لاولادنا الصغار
نفوسهم في اسارير وجوههم ترتعش على لونهم
الاسمر او الابيض او الاشقر ،
في جيوب امهاتهم وجوه جميلة يلبسونهم اياها يوم العيد
لن تنسى بعد اليوم تلك الصغيرة الخبيثة
الشقراء كتابها وقلمها في البيت
صار «نبيل» يسالها كل يوم قبل الصعود الى
السيارة عن جعبة الكتب والاقلام .
فتبتسم وتقفز وتشد يده واحيانا تقبله في
جبينه الاسمر
احبت فيه اسمراره
لو غير وجهه لاحرقت هي شقرة وجهها في النار .
سواد على بياض جسر يعبر فيه الصغار
والكبار في المحبة على اجنحة الملائكة الى
ملاعب الجنة بين اعمدة الهياكل
وبخور الاديرة القديمة واباريق
تسكب من شفاهها اطياب الحياة ...

الياس خليل زخريا

رسالة الى ابني وكل فتى

بقلم رشـاد دارغوث

حينما كتبت رسالتي السابقة الى شقيقتك ، يا ابني ، لم يفتني وجوب الاهتمام بشأنك . فانت وهي فلذتان من كبد واحدة . وقد شاء الله ان تكونا ذكرا وانثى . ولكنكما عندي ، وفي مفهومي لرسالة الانسان الحي في الدنيا ، شخص واحد ، سواء سوّى بينكما الشرع والقانون والعرف العام ، او جعلوا لاحدكما فضلا على الآخر . ففي اعتقادي ، منذ اضطلعت بمسؤوليات الابوة ، ان التربية هي الاعداد للحياة ، ولا معنى لها غير ذلك !

ولما كان امر الجنس متروكا لارادة الله ، فقد وجب علي ، بوصفي والدا ومربيا ، ان اهيء لكل مولود — ذكرا كان او انثى — اسباب ذلك الاستعداد الخطير ، على افضل وجه ممكن !

* * *

ولا يهولنك يا ابني انني اعود بك ، بذاكرتك الى ظلام الاحشاء ، حيث عشت مئتين وثمانين يوما ! فان التربية الواعية تبدأ قبل عهدك بذلك العالم الصغير الذي قضيت فيه هذا الزمن المحدود . انها تبدأ منذ اتفق ابواك على تقاسم اعباء الشراكة التي كنت انت واحدا من نتاجها . بل ان التربية الصحيحة تبدأ قبل ذلك .. بأجيال كثيرة !

ولكن ما لنا ولهذا ، فانني لا اود ان اثقل عليك ، وانت ناشيء ، تطل على عهد المراهقة ، بجسم سليم ، وعقل ارجو ان يكون كذلك سليما !

ولكنني اود ان اذكر هنا ، للاباء وللامهات بان حرصهم على سلامة ابدانهم وعقولهم واخلاقهم ، هو اول واجب تفرضه الابوة والامومة ، على كل راغب في دخول حرمهما المقدس !

لهذا كنت ، منذ وعيت نفسي اشد الناس حرصا على سلامة بنيتي من الامراض والعاهات ، وخاصة تلك التي تنتقل بالعدوى حين الاختلاط ... كما حرصت فيما بعد على ان اتطهر تدريجيا من العادات السيئة التي اكتسبتها قبل ذلك الوعي . فعفت التدخين مثلا ، لا عزوفا عن هذه التسلية المرهقة بل كي اكون لك مثالا صالحا واحول بذلك دون انسياقك ، في سن مبكرة ، مع المغريات الاخرى !

بعد هذا كان اقصى همي ان اوفر لك البيئة المؤاتية لنمو جسدك وعقلك وروحك نموا مستقيما ! فان بذور التربية تختنق فتموت ما لم تتوفر لها التربة المخصبة والجو الملائم : من منزل تشيع فيه روح الالفة والمحبة ومدرسة تعمل لغير الكسب والاتجار ، ورفاقة سليمة المظهر والطوية .

واذكر لك يا ابني ان شر مصائبنا والعلة الاساسية لامراضنا كافة ، الاجتماعية منها ، والاقتصادية والسياسية ، هو تخلع تلك الحلقة — حلقة البيت — في سلسلة المجتمع ويوم نتمكن من تأسيس العيلة عندنا على قواعد سليمة ، من محبة متبادلة ، وعطف مستمر ، وشعور بالمسؤوليات ، نكون قد خطونا الخطوة الحاسمة نحو الاستقرار في المجتمع ، والازدهار في الاقتصاد ، والعزة والسؤدد في السياسة .

شأننا في ذلك شأن الامم التي سبقتنا في هذا المضمار : فان اضعفها ، في هذه الناحية ، يتقدمنا اشواطا ، برغم بعض المظاهر السلبية المخيبة . ولو كانت الامم الغربية مثلا — بما فيها امريكا — تقوم على مثل العيلة الشرقية ، في واقعها المتفسخ وانانية افرادها الطاغية ، لما قامت لتلك الامم قائمة ، في اي صعيد من حقول العلوم والآداب والفنون ! بل لما كانت تلك الامم على ما هي عليه من مناعة ومنعة وحيوية ورقي ، ومرونة وسبق !

* * *

ولئن تخطينا هذه الاحوال والوحول التي يعيش اكثر الناس عليها عندنا ، في بيوتهم — فتستنفد صغائر تلك المعيشة قواهم الفكرية والروحية والجسدية — وذهبنا معا الى « المدرسة » ... التي اخترتها لك يا ابني ، لانها افضل الوجود . فما اضيق آفاق الحياة التي تعد لها ! وهي التي تحشو دماغها بالعلوم النظرية ، وتكتفي بذلك ، نافضة يدها من كل تطبيق عملي للمعرفة ، وكل توجيه صحيح للجيل الذي انت منه !

وماذا انت صانع بهذه المعلومات التي تستظهرها ، في عشرات الكتب ؟ انك ستنال بها شهادة البكالوريا بعد سنوات معدودة ! ثم ستخصص لتكون طبيبا او محاميا او مهندسا او موظفا ! وماذا بعد ؟ انك تسير على الدرب نفسها التي عبدتها اقدام المئات بل الالوف من الشبان الذين سبقوك من مختلف الاجيال ! ... ثم قبعوا دون عمل ، او غدوا يعملون ولكن على مثال الهرة التي تلحس المبرد !

انني اؤثر ان توجهك المدرسة يا ابني وجهة اصلح لك ولوطنك ولامتك ! وجهة الاعمال المنتجة ، وهي معروفة منك ومن المدرسة ، بعد ان بحت الحناجر في الدعوة اليها ، وملئت جوانب الفضاء بصخب المنادين بها !

* * *

اما الرفاقة ... فانني اعيذك من « رفيق السوء »

فهو شر محض ، على العكس من كل شر سواه . ذلك بأن اثره في النفس البريئة كأثر نقطة الزيت في الصفحة الناصعة ! وما اذكر انني وقعت على رفيق من هذا الطراز الا كنت معه ضحية ... فروح الشر اقوى ، لانها كالروائح الكريهة ، اشد نفاذا .

ولكن ذلك لا يعني ان تجهل او تتجاهل ذلك الشر كي تتقيه !

وانني لدالك عليه منذ الآن ، كما اوصى الحكيم القديم ابنه ، فقد اوصاه بان يزور الحانات في نهايات الليل ، واندية القمار مع تباشير الفجر ، ودور الفسق في النهار الماتع . فلما فعل الفتى ورأى السكيرين يبلغون ذروة الجنون ، وشاهد المقامرين في أوج انفعالاتهم القاتلة ، وعرف الفاجرات على حقيقتهن دون ظلال واصباغ وبهارج ، ادرك الفتى ان اباه انما اراد له ان يتجنب تلك المصائر المخزية ، التي تحط من قدر الانسان ، وتبطل شعوره بالكرامة البشرية ، وتفتت شخصيته الانسانية .

وانني ازيد على ذلك يا ابني ان العقل المدرك كفيل باراءتك تلك المصائر ، دون سعي الى مشاهدتها بالعيان ، او ابتلائها بالذات ! وان بعض رفاق السوء قد يحاولون جرك اليها ، او الى سواها ، فلا اقل من ان تقف بمحض ارادتك عند شفير الهاوية ، كي تتبصر في النتائج ! وفي اعتقادي انك ستختار السير في اغلب الاحيان في الاتجاه المعاكس .

وانني مورد لك قاعدة اتبعتها في حياتي ، منذ كنت حدثا ، اذا اتبعتها انت لن تضل ابدا : وهي ان لا اعمل في السر ما اخجل منه في العلانية !

لذلك شد يا بني على « فراملك » كلما دلك رفيق على طريق جديدة ... ثم سائل نفسك : اتراني اخجل بما ساعمله ، اذا عرفه الناس مني ؟

ففي اكثر المرات يأتي قرارك منسجما مع مستوى تربيتك ! فيرضى وجدانك ويرضى الله .

ومن هذا القبيل ، رفاقة الكتاب السيء « والفيلم » المفسد . فان في المؤلفين ومنتجي الافلام فريقا همه الكسب ... من أي طريق جاء ، شأن الوصوليين والنفعيين فما عليك يا ولدي اذا تجنبت ذلك النتاج الرخيص كما تتجنب الحشرات المؤذية ؟ فقد عهدتك تعرض عن الكلام البذيء وتتجنب مطارح الخنازير والصراصير !

* * *

ولا اخالك يا ابني تجهل ان لاعضاء هذا الجسد وظائف ، حددتها لها الفطرة ، كما حددت زمان استعمالها . فانت لم تنبت اسنانك منذ ولدت . كما انها لم تنبت دفعة واحدة . ثم انت لا تستعملها جميعها ، حين المضغ لغرض واحد . ولا تستعمل يدك بدلا من لسانك في تذوق الطعام ، او تنهك معدتك في الاكثار من الاكل دون نظام .

وهكذا شأنك مع سائر اعضائك ، وشأنها معك : لكل منها وظيفة يؤديها في الوقت الملائم . فاذا احتفظت بسلامتها وطهارتها الى ان يحين وقت استعمالها ، امنت غوائل الاستخدام المبتسر (أي قبل الاوان) الذي يفقدها الحيوية والقوة ، كالافراط !

* * *

عفوا يا ولدي ، فانني نسيت انك يافع . وفي هذه السن يهزأ اكثرنا بالنصائح . ولكن ذلك لا يمنع سليمان الحكيم قديما من القول : « سدد خطى ولدك في الطريق التي يجب ان يسلكها ، حتى اذا شب وتقدمت به السن ، لم يحد عن تلك الطريق ! » فكان متفقا بذلك مع احدث المربين ، ومنسجما مع الفطرة السليمة ذاتها : فالطير تعد صغارها قبل ان تطلق لها الحرية للتحليق في الفضاء ! وجل ما اقصد اليه هو ان اسدد خطاك ، وانت تجتاز عتبة الشباب . فاذا زعزعت المغريات يوما ايمانك بالقيم ، التي اجهد ليلي ونهاري في زرع بذورها في نفسك ، رجعت انت الى ذاتك فاستلهمتها ، وذكرت ما يلزمك من تبعات الرجل ، ومسؤوليات المواطن ، وملزمات الانسان المتنور . فأبحت لتلك البذور مجال النمو والازدهار في نفسك وقلبك وروحك . حينئذ ، واذا انضجتها بالعلم والمعرفة الصحيحين، اثمرت اطيب نتاج تحصده في رجولتك !

وفي الخامسة عشرة وما يليها تتفتح قلوب الشبان وعقولهم . فعلى الوالدين وسائر المربين ، ان لا يبخلوا عليهم بنصح او باية مساعدة اخرى . ولعل الايمان بالله على انه الخير المحض والمحبة الشاملة ، وبانه « وسع كرسيه السماوات والارض » فهو في كل مكان ، لعل هذا الايمان ضمانة اخرى تعصمك من الزلل والسقوط . فالايمان - مطلق الايمان - هو سبيل النجاة للافراد من مركبات النقص والانهيار - وهو سبيل الخلاص للامم من شتى العبوديات والانحلال !

وشر تلك المركبات يا ابني ما يحمل على الغرور ، فلا تعتقدن انك بلغت الهدف اذا تجمعت لديك المعلومات والالقاب والشهادات ! فتلك جميعها جفاء تذروه رياح الحياة ، اذا لم تقرنه الى العمل المنتج المفيد . فسبيل المعرفة الصحيحة هو التطبيق . وهو سبيل الحياة الانسانية الواعية الكريمة !

* * *

انني امد يدي اليك يا ولدي مؤاخيا قبل ان تكبر . فقد اتخذتك اخا ورفيقا منذ غدوت انت واعيا لابوتي ! وكما انني لم اغلق دون اختك الابواب ولا النوافذ ، فانني لن اقف بينك وبين التجارب . ولكن السعيد السعيد هو من يضم الى تجاربه تجارب الجيل الذي سبقه ، بل القرون التي خلت . فنحن تتمة لما كان ، وسنبقى عنصرا هاما في ما سيكون ! هكذا سنة الله التي ارتضاها الخلق لانفسهم منذ آدم ، فصارت جزءا من كيان كل من بنيه وبناته ، على حد سواء ! وقد ثبت بالعلم التجريبي ان ما من شيء يصير الى عدم ... ولا من شيء ينبثق من عدم ! بل كل يتحول ، فوق هذه الارض ، من حال الى حال . وهكذا الاعمال ... لا تصير الى هباء ، او تذهب مع الريح ! والعقبى ، في هذه الدنيا ، كما هي في الآخرة ، للعاملين الخيرين المتجردين !

رشاد دارغوث

الراقصة العارية

درجت باجنحة النسيم ... مع الخيال تحلق
فكأنها ذات الجناح ... على الوكون تصفق
ولساجع القيثار زغردة ... وشدو شيق
دارت فراحت خلفها ... مهج تدور وتخفق
عين تلاحظها وقلب ... من حنين يرمق
ويد تشد على يد ... وجداً وصدر يشهق
ولواعج كالنار في ... الاضلاع لا تترفق
انّى اشارت اطلعت ... فتناً تضل وتوبق
وبكل جارحة لها ... عين تشير ومفرق
حسرت غلالتها وراحت ... في الوجوه تحدق
ابدت جليلا شائقا ... في خرق ما لا يخرق
عريانة والفجر بالاضواء ... عار يشرق
عريانة والحق في ... الاسمال لا يتخلق
وبصدرها نجمان لا ... يحكيهما متألق
افضت بكل دخيلة ... في صدرها تتحرق
نطقت وما فغرت فما ... لمسائل يتشدق
عري يفيض بلاغة ... ويضيق عنه المنطق
للعري ان كذب اللسان ... لسان حال يصدق
شام الخليع بعريها ... عدناً بماء تغدق
فالفيء تحت ظلالها ... للكادحين محقق
واستاف من ازهارها ... ارجاً زكياً يعبق
الفى على ظمأ الحقيقة ... عندها ما يعشق
فالري في لبّاتها ... لذوي الهوى يتدفق
وبثغرها ذاك المنمنم ... مثمر ومنمق
امل ينمقه الخيال ... لعينه ويذوق
عري اثار بصدره ... الاهواء ناراً تبرق
ورأى المحب وراء ذاك ... العري قلباً يخفق
كلٌ رأى في عريها ... احلامه تتألق
وبدت له في صدرها ... شهواته تتحرق
عريٌ على صفحاته ... صور النفوس تحلق
فكأنه المرآة يعكس ... ما يضيء ويغسق
لكنما الحسناء في ... عشاقها لا ترفق
ظلّت تدور وخلفها ... مهج تدور وتخفق
ولساجع القيثار زغردة ... وشدو شيق

دمشق ... عدنان مردم بك

قصة مصرية

الجدار

بقلم بدر نشات
من رابطة النهر الخالد

على يمين نفق شبرا خلف الصف الطويل من المنازل العالية المتراصة في انتظام تختفي الاف عديدة من بيوت متلاحمة قصيرة تتخللها ازقة ملتوية وحارات ضيقة، منها حارة عثمان المسدودة المزنوقة في آخر المساكن ، والتي لم يكن يقود اليها غير شارع بركات .. فهو الشارع الوحيد الذي يبدأ من جنب النفق ويواصل الزحف بين البيوت ثم يلتقي في آخره بزقاق مسعود الذي يتعرج ويتلوى ناحية الشمال مسافة ليست قصيرة قبل ان يتصل بالحارة ..

ومن عند شارع شبرا العمومي ، يبدو شارع بركات دائما كأحد الشوارع الرئيسية الهامة . فحلقه يغص طوال النهار بصياح البياعين وتحت منازله العالية الاولى تنشط حركة متواصلة في المقاهي ومحال السمك والسجاير والطعمية وتشتد حول عربات الكشري والكفتة والعجوة .

وتخفت هذه الحركة وتتضاءل الاصوات ، كلما امتد شارع بركات الى الداخل ، وامتد على جانبيه صفان متعرجان من دور متلاصقة تأخذ احجامها في القصر والصغر ويأخذ مظهرها في القدم والتهدم حتى تنتهي قرب الغيطان بمجموعة من بيوت ذليلة جرداء يلعب امامها العيال وترابط على ابوابها النسوة ..

في هذا الحي الهزيل وفي ازقته المختنقة وحاراته الرطبة ، يعيش العمال والمتشردون والنشالون وماسحو الاحذية والعاهرات وغيرهم من اصحاب المهن الغامضة والحرف الحقيرة ، ومع تزايد عدد السكان وضيق الاماكن تضطر النسوة الى ان يطلقن كتاكيتهن وعيالهن في الحارات، ويقضين ساعات النهار على عتبات البيوت يأكلن ويغسلن ويتحدثن ...

وفي حارة عثمان المسدودة لم تكن النسوة يجلسن امام دورهن ولم يكن العيال يلعبون في الحارة فهي رطبة معتمة تبدو كقبو مغلق يأخذ في الضيق كلما امتدت الحارة الى الداخل وينتهي بحائط سميك مرتفع عن البيوت يسدها ويعيق امتدادها ويحجب عنها الهواء والشمس في كل فصول السنة .

فاذا طلع الصباح تزحف النسوة من ساكنات حارة عثمان المسدودة الى زقاق مسعود يشاركن جاراتهن افتراش الارض وجلسة الشمس والهواء ، كذلك كان العيال لا يجتمعون الا في زقاق مسعود حيث يلعبون الكرة او ينطلقون منه الى شارع بركات .

وكان عم شحاته سواق القطارات أشد سكان الحارة كراهية لها .. اذا خرج منها في الفجر ليتسلم عمله تشهد .. واحس انه يولد من جديد ، وان عاد اليها في المساء دخلها منقبض الصدر مهموما .. كان طوال ست سنوات وزيادة يتوق الى اليوم الذي ينتقل فيه الى سكن اخر ويترك هذه الحارة المقبضة ولكنه ما وجد شاريا لبيته القديم .. ويوم الجمعة الذي فات قال للشيخ شلبي وهما عائدان من القهوة في العصر :

ـ هي ده حته يسكن فيها بني آدم !. الجدار ده زي الهم على القلب !. سادد علينا رحمة ربنا .. شوف الدنيا بره حلوه ازاي يا شلبي ؟ شمس وهوا ونور .. انا عارف ايه اللي رمانا في الحارة الشؤم دي ؟

وآثر الشيخ شلبي كعادته ان يلوذ بالصمت .. فقد كان يعرف انه اذا فتح باب الكلام في موضوع الحارة واخذ واعطى مع عم شحاته لن ينتهي بهما الحديث قبل العشا ، فعم شحاته سيندفع في الكلام ويمضي يحدثه عن البيت وعن أبيه لما بناه والحارة ومن سكن فيها ومن انتقل منها وعن العرائض والشكاوي العديدة التي كتبها للوزارة لمعاينة الجدار ولهدم الجدار ..

سكت الشيخ شلبي ولم يرد ولكن عم شحاته لم يسكت ..

وفي المندرة التحتانية في بيت عم شحاته كان فنجان القهوة في يد الشيخ شلبي والحديث اياه في فم عم شحاته .. فالحارة كانت ارضا جرداء من تقسيم وزارة الاوقاف وابوه بنى أول بيت في هذه المنطقة حين لم يكن في الحي كله سوى مدرسة قديمة باسوار عالية.. والارض وقتها كانت برخص التراب فامتلأت ببيوت صغيرة مرتجلة بناها اصحابها بالقروش والملاليم وأكملوها بالصفيح وخشب الصناديق .. وتهدمت المدرسة وتداعت جوانبها واصبحت خرابا وانقاضا ولم يبق منها الا ذلك الجانب من الجدار القائم على صدر الحارة يحجز عنها الشمس ويمنع عنها الهواء ويسلبها الضوء ويحرمها الحياة ..

واتى صوت عم شحاته من عند النافذة :

ـ وغلبت يا شلبي !. ياما كتبت شكاوي وقدمت عرايض !. خمس سنين عمال اجري من مكتب لمكتب ومن مصلحة للتانية .. تصدق اني قابلت اربع وكلاء وزارة !. كل واحد وعدني ببحث الموضوع .. لكن فين ؟

ورد الشيخ شلبي في هدوء ساخر :

ـ يا عم خليها في سرك .. بقي عايزهم يجوا يهدوا جدار في حارة عثمان المسدوده اللي ساكنها الفقر !. احنا غلابه ملناش ضهر .. ما فيش فايده في الشكوى والتعب والجري !.

ـ والله يا شلبي يا اخويا انا قرفت !. دحنا بنموت في الحارة الملعونة دي !. ما بنشفش الشمس .. ما نشمش الهوا ..

وتململ الشيخ شلبي في قعدته واخرج ساعة جيبه واطل فيها ثم قال وهو يهم بالقيام ويريد ان ينهي الكلام :

ــ تتعدل .. ربك موجود

وهب فيه عم شحاته ثائرا :

ــ تتعدل ازاي ؟. ما هو لازم احنا نعمل حاجه !. هي دي عيشه اللي احنا عايشنها يا اخي داحنا مدفونين بالحيا !

وصمت فترة نظر خلالها الى الشيخ شلبي نظرة متأنية .. ورجع يقول متحمسا :

ــ انت فاكر يا شلبي البنت سنية الرقاصه !. البنت اللي كانت ساكنه عند الحاجة فاطمه ... يسلام على البنت دي !. تعرف انها مرة قالت لي شكاوي ايه وبتاع ايه ؟. بس رجاله بالاسم ! ما تهدوا الجدار .. خايفين من ايه ؟ . ومن ساعتها يا شلبي والفكره دي عماله تضرب في مخي ..

وهز الشيخ شلبي دماغه وقلب شفتيه ولم يقل شيئا .. كان يريد ان ينصرف ويعود الى البيت ولكن عم شحاته كان يلح في استبقائه .. حتروح فين يا شلبي ؟. آدي احنا بندردش .. يا راجل عليك قاعد ..

ولكن الشيخ شلبي استطاع اخيرا ان يقوم وان يعود للبيت فقد طرق الباب حسين الفران ودخل بقامته الطويلة النحيفة ووجهه الصدىء الهضيم .. كان يلوح عليه الوجل والانقباض ويطل من عينيه الفزع فما ان انصفق الباب خلف الشيخ شلبي حتى اندفع يقول ملهوفا :

ــ ابني رشدي يا عم شحاته !. كان بقاله اسبوعين بيكح .. قلت شويه برد ويروحوا .. واول امبارح !! اول امبارح بس قام من النوم والمخده كلها دم !.

ــ لا حول ولا قوة الا بالله !. الواد رشدي !

ــ اخدته ولفيت بيه على مستشفيات البلد كلها .. رحت القصر والمبتديان والمجموعة والماظه .. ما خلتش .. لكن مارضوش يقبلوه .. ما فيش مكان !. مالهش سرير !. والولد صدره بيتقطع والدم بيسح من بقه !.

وصمت حسين الفران دفعة واحدة .. ثم عاد يقول بعد برهة في تشنج :

ــ ما ليش غيرك يا عم شحاته .. شوف لي معاك قرشين .. اجيب له دكتور .. دا الواد مش قادر يقف على رجليه وكحته تقطع القلب .

وارتعش جسد عم شحاته فقد كان يحب العيال وكان محروما من خلفتهم .. ووجد نفسه يستعيد صورة الولد رشدي وهو يصيح ويعدو وراء الكرة بين زملائه في زقاق مسعود ثم هو يجري بالطوق في الحارة ويقبل عليه كلما رآه ليقبل يده ويقول له .. ازيك يا عم الحاج ؟. ولم يكن عم شحاته حاجا ولكنه كان يفرح وينبسط لهذه الكلمة ..

وتأثر عم شحاته كثيرا واعطى حسين الفران جنيهين وهو يشجعه ويواسيه ويهون من شأن المرض ويذكره برحمة الله .

وحين كان يصعد الدرج الى امراته في الدور العلوي .. قال :

ــ لا حول ولا قوة الا بالله !. الواد رشدي !. السل كمان !. اهو ده اللي ناقصنا .

وفي صباح اليوم التالي كان الخبر قد انتشر في الحي كله .. انتقل الاسم الرهيب من بيت لبيت وخرج من حارة عتمان المسدودة الى زقاق مسعود ثم طلع على شارع بركات .. السل !. يا ساتر يا رب ! رشدي بن حسين الفران !. صدره بيجيب دم .. يا نضري !. ولد يا طلعت اوعى اشوفك تروح يم بيتهم .. اكسر رقبتك .. فيه ايه يا ام السعد ؟ . بيقولوا يا ختي ان الواد رشدي عيان بصدره ..

وبعد الظهر كان اهم حدث في الحارة هو ظهور عربة سوداء صغيرة في مدخل زقاق مسعود يقودها الدكتور وحسين الفران يجلس الى جواره وقد أخرج كوعه من النافذة .. فوقفت النسوة الجالسات على الارض في مداخل البيوت وهرعت غيرهن حافيات الى الابواب وتكدست الرؤوس في النوافذ وتصايح العيال وانطلقوا يستقبلون العربة ثم تحاوطوا بها وابتدأوا يعدون خلفها مع ان العربة كانت قد احضرت وراءها عددا آخر كبيرا من عيال شارع بركات ..

ازدحم الزقاق بالعيال وهم يجرون خلف العربة ويهللون . فقد كان دخول عربة الى حواريهم الضيقة حدثا غريبا فما الف العيال الا مشاهدة عربة المستوصف الخيري التي تروح وتغدو بالقابلات او سيارة الكوكاكولا الضخمة التي تسد مدخل زقاق مسعود كله حين تقف في شارع بركات امام دكان محمود البقال ..

وقبل دكان عم عوض الدكش توقفت عربة الدكتور حتى خرج عم عوض من وراء البنك ومسح يديه في جلبابه وانحنى يسحب جوال الارز الى داخل الدكان ثم عاد فسحب جوال البصل بينما اسرع احد الاطفال بازاحة شراعه العيش الى جانب الطريق .

ولكن العربة عادت مرة ثانية فتوقفت قدام بيت الحاجة فاطمة الدلالة وقد امتلأ الجو برائحة نتنة خانقة وامتلأت الارض ببركة سوداء متسعة غطت ارض الحارة كلها من الجدار للجدار من مجرور بيت الحاجة فاطمة الطافح .

ونزل حسين الفران من العربة وتبعه الدكتور واخذا يخطوان فوق قطع الطوب الكبيرة الملقاة في وسطها للعبور . وعبر البركة خلف الدكتور عدد من النسوة والعيال والرجال وتحاوطوا به وسار بعضهم خلفه حتى بيت حسين الفران .

وبالليل لما وفد المساء على حارة عتمان وعلى زقاق مسعود .. والدنيا بقيت هس .. كانت حارة عتمان المسدودة غارقة في ظلام غامق الا من بعض اضواء بائسة شاحبة تتسلل من بين فرجات الشبابيك ومن تحت اعقاب الابواب .. وفي زقاق مسعود كان المصباح المعلق على دكان عم عوض الدكش ينير رقعة عريضة من الزقاق بنور كئيب متسخ كأن فيه غبارا .

وكان الرجال مجتمعين ككل ليلة في قهوة الاسيوطي على ناصية شارع بركات ولكنهم هذه الليلة لم يقوموا ليتفرجوا على الحاج راتب وهو يلعب الكومي مع الاومباشي عبده الذي تحداه في عشرتين على المشاريب . بل تحلقوا حول حسين الفران يواسونه ويحادثونه وقد ران عليهم الحزن والانقباض كانوا كثيرين .. عم شحاته وعلي الشيمي وخليل سيدهم وعوض ابراهيم والشيخ شلبي وحسين الدباغ .. وجوه صلبة متألمة يخطف عليها ضوء الكلوب

المتدلي من سقف القهوة .. وحسين الفران مقطب الوجه.. متراخي الذراعين .. محني الظهر كعود ذرة مكسور ..

قال لهم حسين الفران ان الدكتور اخبره ان الولد لازم يغير هواء وانه محتاج للتغذية وضروري يخرج بــه مـن هذه الحارة لانها غير صحية فهي مكتومة الهواء محرومة من الشمس ولازم يبعده عن اخواته ويكون من المستحسن لو وجد له مكانا في مستشفى .

ورفع حســين الفران رأسه ومر بنظرات ذليلة لا يوصف أساها على الوجوه المتحلقة من حوله وهو يقول بصوت متهدج :

ــ اعمل ايه بس يا اخوانا؟. واجيب منين انا يا غلبان؟. الدكتور كاتب لي روشته بتاعة ثلاثة اربعة جنيه !. وقايل لي الولد لازم ياكل كويس !. لحمة وخضار وفاكهة !. ولازم يغير هوا !. وابعده عن خواته !. واوديــه مستشفى !. واعمل ايه انا بس ؟. واجيب انا منين ؟

وعاد ينظر في وجوه الرجال مرة ثانية ويقول :

ــ المستشفيات !. لفيت عليها كلها بدل المرة عشرة . اترجيت واتبهدلت ووقفت في طوابير وانضربت ما فيش فايده .. كلها مزحومة !. مليانة !. والناس فـوق بعض كأن العالم كله عيان !

وقال عم شلبي وهو يربت على ظهره :

ــ هون عليك يا حسين يا ابني .. ربنا موجود .

بينما ابتسم علي الشيمي في بلاهة وقال :

ــ انا يا عم من بكره حابعت مراتي والعيال عند ستهم في العباسية ..

وظهرت الحيرة على وجه خليل سيدهم وقال بصوت بائس :

ــ طب وانا اعمل ايه ؟. ما ليش قرايب في مصر . أودى العيال عندهم ؟

ووجم الجميع وران عليهم صمت مفزع فقد ذكرتهم جملة علي الشيمي وكلام خليل سيدهم ببيوتهم ونسائـهم وعيالهم فتصلبت الملامح وامتلأت العيون بالخوف واستمر الصمت ..

وقال عم شحاته ثائرا :

ــ يا اخوانا حارتنا دي بحري !. لو ما كانش الجدار ده موجود كانت الحارة دي تبقى جنة .. تدخلها الشمس ويملأها الهوا ..

وامن الشيخ شلبي على كلامه :

ــ أيوه !. كله من الجدار الملعون ده !. ايه رايكـم يا جدعان لو كنا نهده ؟

وتمطت الدهشة على وجوه الجميع فما جالــت بخواطرهم ابدا مثل هذه الفكرة الغريبة وضربت في ادمغتهم جملة الشيخ شلبي .. ايه رايكم يا جدعان لو كنا نهده ؟. ونظر بعضهم الى الشيخ شلبي في اكبار .. وتصور البعض منظر الحارة وهي مفتوحة والشمس تغرقها بالاشعة والهواء يمرح في جوانبها ، والنهار في الحارة كله ضوء ونور كمـا ألفوا ان يجدوا النهار خارج حارتهم ..

كان جميعا في ذهول من الفكرة المدهشة التي عرضها عليهم الشيخ شلبي بينما كان عم شحاته يقول :

ــ حا يحصل ايه يا اخوانا لو هدينا الجدار ؟. هـي وزارة الاوقاف عايزاه . والا حاسه بيه !. أقل ما فيهـا لو هدينا الجدار ده .. حانستريح من المشوار اللي بنرقعه كل يوم لغاية شارع شبرا علشان نركب المواصلات.. ونبقى نركب من شارع بدوي أهو ورانا على طول بتفوت فيـه الترماي وبيمر منه الاتوبيس ولا الحوجة لزقاق مسعـود وريحة زقاق مسعود ومجرور الحاجة فاطمة اللي كل يوم والتاني يطفح ويعمينا .. وأهم من كده صحتنا يا جدعـان وصحة أولادنا !

وتباينت التعابير على وجوه الرجال . تحمس للفكرة حسين الدباغ بينمـا قلب علي الشيمي شفتيـه ولاذ بالصمت .. وقال عوض ابراهيم في تلكؤ :

ــ بس!. هدم الجداره يا عم شحاته فيه مسئوليه.. الجدرا ده بتاع الوزارة وانت سيد العارفين !. ولازم حتاخذ خبر .. ويمكن يحصل فيها تحقيق ونيابة وبهدلة ؟.

ووافقه خليل سيدهم قائلا :

ــ ايوه مظبوط .. يمكن توصل للنيابة .. واحنـا مش ناقصين .. ولا ايه يا شيخ شلبي ؟

وانكبس الشيخ شلبي ولم يرد ولعل وصول الحكاية للنيابة لم تخطر على باله وهو يعرض عليهم فكرة هـد الجدار فارتبك قليلا وانكمش في نفسه . ولكن عم شحاته اندفع يقول في حماسة :

ــ نيابة ايه ؟. وتحقيق ايه ؟. هو الجدار بيفيـد الوزارة بايه ولا عايزاه في ايه ؟. مش وراه خرابة فيهـا شوية طوب وحجارة .. دنا يا اخونا لمـا رحت الوزارة وحولوني بعد الجري والسعي على الباشمهندس المختص بالمنطقة بتاعتنا .. قال لي جدار ايه ؟. هو فين الجداره ؟. حارة عتمان !. تبقى فين الحاره دي ؟. انا ما سمعتش بيها ابدا !. وتقولوا مسئولية ونيابة وكلام فارغ . ثم احنـا يا جدعان حانشترك في هد الجـدار ده كلنا .. كلنا !. حيعملوا فينا ايه ؟

واستمروا يتحدثون ويتناقشون .. وانتهت الليلة بان انصرف عم شحاته ثائرا بعد ان نشبت بينه وبين الشيخ شلبي مشادة حامية اتهمه فيها عم شحاته بالجبن والخوف.

ومرت ايام كثـيـرة .. وحسين الفران يلف عـلى المستشفيات والدكاترة والاجزاخانات ويبحث عن الوساطات ويستدين من هنا ومن هنا حتى بلغ ما استلفه من عم شحاته لوحده تسعة جنيهات .

لم يعد الشيخ شلبي يمر على عم شحاته في البيت ولم يعد يذهب الى القهوة .. بينما كان حسين الدباغ يزور عم شحاته من اليوم الثاني وقد استبدت الفكرة بدماغه ، كان دائما يقول لعم شحاته :

ــ آه .. لازم نهده .. يعني حيعملوا فينا ايه ؟. انا عندي ثلاث اولاد لو واحد منهم عيا بالسل اصرف عليـه منين ؟. واوديه فين ؟. آه .. مش كفايه مراتي والروماتزم اللي بينشر في رجليها زي المناشير .

وذات مساء مر حسين الدباغ على بيت عم شحاتـه ليقول له :

ــ اسمع يا عم شحاته !.. صلي على النبي .. احنا رجاله بتوع جد مش بتوع كلام .. آه .. انا كلمت لــك محمود سلامة ومدبولي والاوسطى عويس .. ورسيتهم

على الموضوع .. وحاكلم الواد حامد بن المعلم زكريا .. الواد ده جدع قوي .. يعجبك ما يخافش غير من اللـي خالقه .. احنا لازم نتفق على يوم .. آه ..

كان حسين الدباغ متحمسا للموضوع مشغولا به.. يتحدث عنه في كل مناسبة ومع كل الرجال .. في القهوة وفي الحارة وعلى سطح بيت شعبان حين تجمعه مع الشلة قعده يشربون فيها نفسين .

وانتشرت الفكرة بين سكان الحارة وتحدثت عنهـا النساء وتناقش فيها عدد كبير من الرجال ولم يفهم بعضهم العلاقة بين مرض الولد رشدي بن حسين الفران بالسـل وبين الجدار الموجود في الحارة من زمـان .. وتعددت الاراء .. ثم هدأت الحكاية ونساها الجميع .

ولكن موضوع الجدار عاد مرة اخرى يشغل الاذهـان وعاد اسم السل يجري على الالسنة فقد انبثق الدم من فم البنت نوال بنت ام محمود وجلست امها تبكي وتولول بين النسوة قدام البيت .

وتحدثت النسوة عن البنت نوال وانه لم يكن عليها شيء وانها صحيح كانت تسعل منذ ايام .. ولكن الجميع يسعلون كبارا وصغارا .. وانها كانت راجعة في الصبح في أمان الله من عند عم عوض البقال تحمل زجاجة الغاز.. وعند بيت ام عوض امراة علي الشيمي احست البنـت باختناق ووقفت لتأخذ نفسها ثم ابتدأت تسعل بشـدة فاستندت الى الجدار ولم تشعر الا والدم ينبثق من فمها ودخلت البنت على امها والدم على شفتيها وفي اصابـع يدهـا .

وانتشر الخبر في الحارة وانتشرت معه حكاية الشيخ شلبي الذي اخذ عياله في نفس اليوم بعد الظهر وسافر الى البلد ..

في ذلك المساء حين اجتمع الرجال في قهـوة الاسيوطي .. تحلقوا حول عم شحاته ومضوا يتحدثون في خفوت واهتمام .

واوشك الليل على الانتصاف واوشكت القهوة عـلى التشطيب ولم يعد فيها غير واحد او اثنين من الزبائن . وابتدأ الولد بابل يلم الكراس والدكك من خارج القهوة .. وفي وسط القهوة اعتلى المعلم رمضان الاسيوطي أحـد المقاعد وفك محبس الكلوب ..

وكان رجال الحي كلهم قد رجعوا الى بيوتهم ..

وفي حارة عثمان المسدودة سطعت بضعة اضـواء في عدد من البيوت ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذت هذه الاضواء تنطفىء وتحل مكانها الحلكة .. واخذت الحارة تغوص رويدا في السكون والهدوء حتى صارت قطعـة داكنة من ظلام دامس ..

وفجاة .. هبت الحارة كلها مذعورة واجفة عـلى اصوات صراخ عنيف ينبعث من آخرها من ناحية بيـت حسين الفران . وفي لحظة .. انقلبت الحارة رأسا على عقب .. سطعت الانوار في ارجائها . وهرع الرجال الى الخارج وخرجت النسوة من البيوت . وهب العيال من النوم وغصت النوافذ بالرؤوس .

واستيقظ الحي كله مذعورا يستطلع الخبر ..

وعرف الجميع ان الولد رشدي بن حسين الفران .. مـات ..

وامضت الحارة ليلتها في مأتم مفجع مؤرق .. فقد استمر العويل والصراخ الى الصباح ..

وحين وفد الظلام على الحارة في مساء اليوم التالي استقبلته الحارة واجمة حزينة . وارتدت النسوة الملابس السوداء . وخيم على الوجوه الم كئيب ، ولم يفتح عـم عوض الدكش الراديو ، وكان ضوء مصباحه المعلق قـدام الدكان مدغمسا شاحبا .. والحارة كلها ظلام وتجـهـم وصمـت ..

وعند الجدار في نهاية الحارة كان نور وقور قوي ينير الارض والجدار المقابل من شباك حجرة حسين الفران وصوت ترتيل القرآن ينتشر في الوجوم الراكد ويشحـن السكون بالرهبة والحزن ..

وما ان وافت الساعة على العاشرة مساء حتى كانت الحارة كلها غارقة في الصمت والسكون وقد انطفأت بهـا الانـوار ..

وحين بدأ بياض الفجر يصعد السماء في بطء اخذت النجوم تتباعد وتبهت انوارها ، ثم طلعت الشمس وتنفس الصبح وابتدأت النوافذ والابواب تتفتح في حارة عثمـان على أضواء قوية غير عادية تغمر الحارة كلها وتملؤهـا الى آخرها .. وانتشر الخبر ..

الجدار مهدود .. الجدار مهدود ..

بنت يا عيشة !. انت يا ام احمد !. يا عثمان .. واد يا عثمان !. شوفي يا اختي الشمس ؟. يا حلاوة يا عيال !. ازاي ما سمعتيش ؟. هو انت كنت فـين ؟. شوفي يا ام رتيبة الهوا حلو ازاي يرد الروح ؟. انا قمت يا اختي في الفجر واتفرجت عليهم وهم بيهدوه .. انده يا واد عـلى عمك صابر !. اخص عليكي طب كنتي صحيني !. انا اللي سمعت الخبط بصحيح لكن افتكرته عند وابور الطحـين اللي ورانا .. دي الحارة كانت زي القبر !. كان لازم يهدوه من زمان !.

وخرج جميع السكان الى الحارة وساد الهرج وكثر الكلام وعلا الصياح . كانوا مأخوذين بالضوء القوي فرحين بحرارة الشمس منتشين بالهواء الطلق المنعش .. وافترش عدد من النسوة الارض وانطلقت بعض الزغاريد ــ فقد كانت الشمس تغمر الجدران والارض وتدخل مـن الشبابيك وتسيل على كل شيء .. والنور والدفء في كل مكان .. والهواء يهب من الجزء المفتوح منعشا قويا والفضاء الرحب يلوح على امتداد الحارة وينتهي بسماء رائقـة زرقاء ...

وانطلق العيال عبر الحارة واندفعوا الى قطعة الارض الفراغ التي امتلأت باكوام من الطوب ومضى العيال يقفزون فوقها في لهفة وهم يهللون ويتصايحون في فرح وبهجة.. ووقع بعضهم على الارض وتعفرت وجوههم بالتراب ولكنهم قاموا مسرورين يتصايحون ويتزاحمون وكأن بهم مسامن خبل ...

ومنذ ذلك اليوم ... لم يعد العيال يلعبون في زقاق مسعود ولم تعد النسوة يغادرن حارة عثمان فقد وصل الهواء اليها .. وغمرت الشمس الارض والبيوت والغرف.. واتصلت الحارة بالحياة ...

القاهرة — **بدر نشات**

الشاعر والموت

بقلم ثريا ملحس



اذا كان الانسان شاعرا احس الحياة كأقوى ما يحسها اي كائن . ومن طبيعة الشاعر ان ينتظر الكثير الكثير من الحياة ، ومن طبيعته ان ينتظر الكثير الكثير من الناس . وسرعان ما يتجهم في وجه الحياة البخيلة ، يعبس في وجه الناس المنافقين المتزمتين ، ويبدأ الصراع في اعماقه . وصراع الشاعر شديد اليم . ومن هنا ، من هذا الصراع تبدأ مأساة الشاعر، ويبدأ معها الصراع العنيف الذي لا يرحم ، يملأ الصدر ، ويهد العصب . ينشف الدم ، ويقدد اللحم . من هذا الصراع العنيف تضج الحروف في الكلمات، فتنفجر الكلمات شظايا تحرق الجيف النتنة حتى الرماد ، تسوط الصخور الصلدة ، وتفلقها ذرات ، تلسع الالسن المثرثرة ، وتكوي النفوس الحقيرة لتطهرها من اللؤم والحقد . من تلك الشظايا المقدسة ، شظايا الحرف ، تبدأ معركة الحرف على الحرف ، معركة الحياة على الحياة ، معركة الشاعر على الموت . وبين الحياة والموت يقف كل شاعر ، ويصارع كل شاعر .

وشاعرنا فؤاد سليمان (1) يحب الحياة ، يحب كل شيء حي . يتغنى بالحياة وثروتها ، ببهائها وجلالها ، بزهورها وطيورها . يكره الموت ، يكره كل شيء ميت ، يكره اصفرار الموت ونحوله ، تجعداته وصقيعه .

في كل شيء يكره الشاعر الموت الا في سبيل حياة عظمه وكرمه . في سبيل حياة أمة ، او حياة عقيدة ، او حياة عالم باسره يحب الموت . وكيف يكون الموت في سبيل حياة ؟.. في سبيل حياة يحبب الموت الى قلب الشاعر ، في سبيل عقيدة يقدس الموت ، ويحشد من يموتون . من سم سقراط الى صلب المسيح الى قتل غاندي الى استشهاد الابطال ذودا عن الفكر والوطن ، لاجل هؤلاء يحب الموت .

اما الموت الطبيعي فيكرهه ويبغضه ، ويتمنى ان لا يكون مع الحياة . وهو كثير التبرم بالموت .

وما وقعت عينه اليمنى على شيء حي الا وقعت عينه اليسرى على شيء ميت .

لم يذكر الحياة الا وذكر الموت مع الحياة .

وهو كثير الترديد لهذه النغمة مما جعلنا ان نفكر في القلب الذي حدس بالموت المبكر ، وفي العين التي بصرت مصيرها قبل ان تغفو .

وهو كثير الترجيع لحبه للربيع . وما كان الربيع الا وسيلة ليقهر به فكرة الموت في قلبه ، حتى اذا هل بالاشراقة الحلوة ارتاح له وغرد .

والربيع يمثل الحياة بعطره والوانه ، بشبابه المتجدد ونشاطه . لا يلبث دقيقة حتى يعود ثانية مع الخريف والشتاء ، وفي عينيه مسحة حزن ، وفي قلبه غصة اسى ، لم يسمعها اي انسان من فمه ، بل حملها مجللة بثورة عارمة في كل لفتة من لفتاته ، وفي كل حرف من حروفه . وهذه المسحة من الحزن وتلك الغصة من الاسى لازمتاه ملازمة الظل للانسان في حياته القصيرة .

في جلسة كنا نتحدث عن الموت ، وعن فشل الانسان منذ كان بالبحث عن كنهه ، والقبض على سببه . كنت انقل تأملاتي في الموت وفكرتي فيه ، وفي الوقت نفسه أثارتني محاولات العلم الحديث في الجد وراء الموت وسره ، وابعاده عن البشر !

وهل هذا صحيح ؟! سأل بغصة . يقلقني شيء واحد. الدنيا لا تسعني لا تسعني ، فكيف استطيع ان اقنع بقبر محدود .. الشمس ، كل ما فيها من نور ونار ، والفضاء ، كل ما فيه من ضياء واشراق ، كلها لا تكفيني ! فكيف اقنع بقبر اسود ، اسود ، بارد ، بارد .

ان مت فلن ارضى ان ابيت في قبر اسود لا يرى اخضرار الربيع .. سأحط على راس السنديانة ازقزق مع العصافير ، أروح واجيء مع نسمات الربيع ، ادخل كل بيت من قريتي غصبا عن رقبة الموت ! هل فهمت ؟

وكيف لا افهم ! لك سنديانة تأوي اليها ! وليس لي الا الفضاء الذي لا يحد ، ولي الصحراء القاحلة الكالحة ، هناك قبري مع قبور الوحوش بعيدا بعيدا ، مع الرمال والنسور . لماذا لا يستطيع الانسان ان يموت كما يريد ؟ أريد ان اموت بين اشجار الارز !

وقهقه عاليا ، وقهقهت .. وانقطع ذلك الصوت الرهيب ..

* * *

حتى الربيع يبكي على الشاعر . وكيف لا يبكي وقد احبه حبا صادقا ؟ وتقيم له الورود مآتم ، ومن شدة الحزن تمر جنازات الورود واحدة واحدة :

ضرب الموت على اجنحتي
كفه السوداء فانهدت شظايا
غلغلت في كل ضلع غصة
وجنازات تهادت في الحنايا
تمشي الورود بمأتم
وتغص اعراس الملاح

والشاعر كثير الاوجاع ؟ شديد الحساسية . اسودت الدنيا في عينه لسوء صحته ، ومع هذا فلم يشك الما ولم ينكسر منه الجبين امام الالم ، بل أعرض عن كل من سأله عن آلامه :

لا تسالي ما بي ، فما ضرني
سقمي وآثاره البادية
لو هدت الاوجاع صدري
لما شكوت من ضعفي واوجاعيه

---

(1) بمناسبة ذكراه الرابعة توفي في ١٤ كانون الاول ١٩٥١

أما في قصيدته « بعد موتي » فأحس الموت احساسا كليا ، رأى شبحه يقترب منه ويلازمه ويعايشه ، وقبل ان يلتهمه يقف مطمئن النفس ، هادئا في هذه المرة ، مقتنعا انه لا يستطيع ان يهرب من القدر اللعين ، مستعدا للقائه بالتمدد على السرير ، مخاطبا احباءه ان يكفنوه بالورود والياسمين ، وان يشيعوه بالصمت والهدوء ، فالموت عنده انعتاق ، والقبر مرقد حلو تحت ظلال الغصون ، ويعود كالعبير في دروب الكروم ، وكالطيور الشوادي ينزل الى الوادي ليطلع على التلة البيضاء :

كفنوني بالورد والياسمين
واجلسوا عند هامتي في سكون
هداة الموت منعة لخيالي
وانعتاق لصبوتي وظنوني
يتجلى في الموت عمر نموي
هو سر الخلود بعد المنون
يا رفاقي ويا احبة عمري
شيدوا القبر في ظلال الغصون

وبعد هذا الاستسلام للموت ، واكبر ظننا انه كان بعد فشل في حبه الذي قدسه وهو في العشرين من عمره ! يهب مرة ثانية ينفض عنه التراب ، يريد الحياة ، يريدها بقوتها وبراكينها ، بفشلها وشقائها ، بثورتها ولعلنتها ، بضجيجها وعجيجها ، يعود الى الحياة ، الى حياة اقوى وامل اجد ، ينفض عنه رومانسية المحب المريض ، وينظر حوله فيرى بلاده غارقة في فوضى ، ويسمع صوتها تنادي كل فرد الى النضال ، الى النضال الاجتماعي والسياسي والادبي ، فيحمل قلمه بين الجريدة وبين المجلة ، على صفحات الجريدة يصبح الناس بالخير ليدخل في قلوبهم اولا ، ثم عندما يتربع في قلوبهم ينطلق بقذفات تدمي وبشظايا تحرق ، تدمي وتحرق تلك القلوب القاسية والرؤوس الفارغة ، ويرتاح لهذا الانتصار .

وعلى صفحات المجلة يعود الى نفسه ويكتب ما تبعث نفسه من تأملات خيرة ، ومجالات عارك بها الحياة وعركته ، غير ان زاوية في قلبه لم تزل مغلقة ، تظهرها اللفتة ، وما اسرع قلمه لاقتناص الالم ، يظهر عداءه الشديد للموت مرة ثانية لانه احب الحياة أحبها كلها .. لانه أحس بالموت ، احس به يقترب منه ليخطفه ممن احب ، زوجته واطفاله واصدقائه ، فيشتد تعلقه بالاهل والاصدقاء ، ويشتد كرهه لمظاهر الموت في الطبيعة الحية . يعشق العواصف لانها تسوط الموت وتطرده من بيوت الاحياء . وكان يصفق كالطفل كلما هبت عاصفة هو جاء حول بيته في قريته .

★ ★ ★

ويعود الشاعر الى الانقباض النفسي ، يحمل العاصفة ويدك بها معامل التوابيت دكا دكا : « أنا ما لعنت احدا مثلما العن هؤلاء .. » الذين يكتبون اللافتات أمام دكاكينهم يذكروننا بالموت في كل خطوة .. « وما كفانا ما عندنا من وجوه تطلع علينا بمثل سحنات التوابيت .. اتركونا .. ننس أجسادنا المريضة .. لا تزرعوا صباحنا بالتوابيت .. »

يلهب الكلمات بنفسه الحار الثائر عله ينسى الموت ، غير ان قلبه لم يرتح ، وغصته لم تكتم . يكتب والموت الى جانبه ، فالشعاع يموت .. واجنحة الموت السوداء تنتشر . قبور تهتف لقبور .. والموت يهدده ، ويحس ولا يكتم :

« انا هنا ياصديقي
مثلك اسير في موكب المائتين
انا هنا لا ازال مريضا يا اخي !
فايمتى اشفى من مرضي ؟ »

وفي اعماقه احساس قوي بالموت ، في كل ما كتب سواء عن نفسه او عن غيره ، والحقيقة واضحة في حدسه ونداءاته البعيدة يصارعها لانه لا يريد ان يصدق : « وتمشي الارض حزينة في جنازة الربيع ، ترى أيصدق النبأ ، ويكون الناس في غد على موعد مع الموت ؟!

ايمشي نيسان في الارض مثقل الجناح بالحديد وفي فمه تجاديف يفلتها على وجه السماء ؟

أيموت البلبل في عشه وتموت اغانيه في قلبه ؟! »

وتشتد رائحة الموت . ويضيق صدره بها ، وما القطعة التي سلخها من قلبه ليكتبها في موت ابي شبكة الا له وحده .. له وحده كانت القطعة : « أن رائحة الموت تعبق الان ، في الغرفة الصغيرة التي ينام فيها الشاعر .

والشمعة البيضاء عند رأس الميت ، تلهث لهثتها الاخيرة وتنطفىء .

لماذا ؟ هكذا .. سريعا .. سريعا .. تسبق الربيع . يا شقائق النعمان يوم تطلعين على الصحوة ، اطلعي على قبر الشاعر الذي مات قبل ان تطلعي .. »

يحس الشاعر بهذا الواقع الاليم ، وتكثر اوجاعه ويصرخ :

خلصوني من اوجاعي .. خلصوني .. الموت يريحني من هول الالم ..

اعطوني مخدرا .. خدروا جسدي بالموت ..!

ويستسلم فؤاد الشاعر مرة اخرى للموت ، وفي هذه المرة استعجل الموت ، واستعجل العاصفة لتحمله على اكتافها الى قريته التي احب ، الى هناك في دروب الكروم على طريق التلة البيضاء ، صعد محمولا ليقفز فوق السنديانة ، ويظل يغني اغاني قريته .

صوته قوي .. قوي ..

مع الخريف والشتاء يعود الى قبره ، ويطلع مع شقائق النعمان ..

ما اعظم قوة الحرف !

وما اصدق صوته في صدر الشاعر !

ساحر حاو يعرف المستقبل والغيوب .

ما اعظم الشاعر الذي يخلد الحرف !

فعله عجيب ذلك الحرف .

يخلص للشاعر كما يخلص له الشاعر .

فعله عجيب ذلك الحرف .

ساحر حاو يعرف المستقبل والغيوب ..

ثريا ملحس

فن ترجمة الشعر

بقلم الدكتور بديع حقي

يجاذبني دوما (١) ، شعور مضن قريب من معنى الخيبة، كلما انتهيت من تعريب قصيدة ، يخيل الي ان ثمة شيئا مفقودا لايني يغازل قلمي ، فلا اجد في ميسوري نفضه والتعبير عنه ، ويمثل في وهمي ان هذه القصيدة التي راقت لي ترجمتها ، منثورة ، تماثل قيثارة ملهمة كانت تريق النغم الحلو . فتقطعت اوتارها على يدي، او تماثل وجها منظرانيا فتيا ، يمتلىء عافية ورواء ، كدرت انا قسماته ، فقطب واربد وتجهم .

ولعل الاستاذ سعد صائب ، قد جاذبه مثل هذا الشعور ، فالمح اليه حين قال لي ، وهو يسلمني مجموعة « القبس الحي » : لن اعود لمثلها وحياة ربك .

ولا ريب ان القصيدة تتراخى ، بعد ان تترجم وينزع عنها ثوب الوزن والقافية الى فقدان مميزاتها ومقوماتها التي بها تستمسك وعليها ترتكز . فترجمة القصيدة ضرب من التفسير ، والتفسير لا يتطلب المشاركة بالنغم ، نغم الوزن والقافية ، بل هو اجتزاء بالمعنى واطراح ما عداه . ومتى تناهي الكلام الى المعنى ، اذا كان هو المقصود ، فحدده وجلاه ، تمت الفائدة منه ، ولم تعد ثمة حاجة الى ترديده .

ولا يقتصر الامر ـ حين تلبس القصيدة ، في اللغة المترجمة اليها ، اهاب النثر ـ على انطفاء نغم الوزن والقافية، بل يتعداه الى الالفاظ التي كانت لصيقة بالقصيدة . فاللفظ في الاصل ، اصطلاح صوتي يرمز الى شيء ، وحروفه هي مجموعة من الاصوات التي يهتز لها السامع ان عرف الشاعر ان ينتقيها ، ان يجمع بينها على نسق يلائم المعنى الذي قصد اليه فالمعاني وحدها ليست كافية في الشعر . لانها ان لم ترتد ما يناسبها من الالفاظ فالنثر بها اجدر . وعلى اللفظ حين يزجى المعنى المتداول المحبوس فيه ان يبذل في جرس حروفه صورا ممتدة تتمم معناه المعروف المبذول وتضيف اليه رعشة جديدة . للشعر اذن الفاظ خاصة يتميز بها عن النثر ، هو كما قال فاليري : لغة خاصة في اللغة نفسها. وليس من شك ان لكل شاعر الفاظه الاثيرة لديه التي يتسق فيها اسلوبه، فاذا ما استشرفت نفسه افق الوحي، ترادفت هذه الالفاظ لتنسج افكاره ورؤاه . ففي ترجمة قصائد الشاعر ، تفقد الفاظه قيمتها . ويمحى اسلوبه ويضيع .

وتتبدى الصعوبة في الترجمة ، حين تكون المعاني الخبيئة في القصيدة رمزية بعيدة الدلالة ، تقبل تفسيرات عديدة مختلفة بله متناقضة (كما هي الحال في شعر رامبو ومالارميه وفاليري) وقد يكون جمال القصيدة ، كامنا في خصب التأويل وفي قلق البحث عن المعنى « لان قارىء القصيدة الرمزية لا يقتصر على الاخذ والتلقي . ولكنه يعطي ويمنح ، فهو يتأثر بالقصيدة وينعم بالوانها فينادم الفاظها الرقيقة ، ويعيش في الجو الموسيقي الحالم الذي خلقه الشاعر وهو الى ذلك يواكب معنى غامضا ، يحاول ان يجلوه فيمنحه تفسيرا ويضفي عليه ظلا جديدا ، انه يضيف اليه من ذاته شيئا ، وقد لا يتيسر له العطاء فيظل يلوب في قلق حلو مبدع على طلبته المنشودة » (٢)

وترجمة القصيدة الرمزية هو تفسيرها ، هو تحديدها ، هو منحها المعنى الذي يراه المترجم وحده ، ففي الترجمة اذن ينتسخ القلق الحلو المبدع الذي اشرت اليه .

ان القصيدة تشبه ، في رايي ، كائنا سويا حيا ، انها تلهث وتتنفس بالفاظها . وتسعى وتتحرك باوزانها ، وتنادي وتستجيب بقوافيها ، وتحلم وتفكر بمعانيها ، فاذا انت تحيفت عضوا من اعضائها وافتلذته في الترجمة تداعت وغاض رونقها وجفماء الحياة فيها ، واضحت مهمة المترجم كمهمة الطبيب ، ان يسعف القصيدة بعلاجه ، بالفاظه المنتقاة ، بلقانته وحسن فهمه ، حتى يتأتى لبعض نسيمات الحياة ان تفيء اليها وتتردد فيها .

الترجمة هي نقلة بالقصيدة من جو مترع بالمعنى الملحن المنغم الى جو آخر لا يلعب فيه سوى معنى القصيدة المجرد الساكن ، فالوزن في القصيدة ، كما يقول الشاعر (فيرهارن) هو حركة الفكرة . ان اللفظ قد يعبر عن اللون او الرائحة او الصوت والوزن هو حركتها ، الشاعر ـ كما يقول احد الشعراء ولعله ماليرب ـ يماثل الراقص والناثر يشاكل السائر ، الراقص لا يستهدف في حركته مكانا يقصده وقد يبقى في مكانه نفسه ، فيتلوى ويدور ويتثنى ، دون ان يغادره او يتحول عنه ، اما السائر فله مكان قريب او بعيد ، يسعى اليه فاذا ما ادركه سكن اليه واستراح .

وفي ظل هذا التشبيه ، يطيب لي ، حين اقرأ الشعر ان اتمثل الالفاظ التي تحبو على الاوزان كفرسان يمتطون صهوات جياد الفارس الذي لا يستطيع ان يمسك جيدا بعنان جواده ـ المنطلق في المدى المنفسح امام بصره . كاللفظ الذي لا يستطيع بما يحمل من معنى ، ان يتلاءم مع وزنه ، انه يتعثر ويسقط . الاوزان الرائعة تنطلق مع الالفاظ المتجاوبة معها في الروعة والاسر ، وعلى ذلك الفارس وهو ينطلق في تلك الغابة الملأى بالرموز والظلال ان يؤتى احساس التوازن ومرونة القيادة ، لئلا يكبو جواده .

وقد شاء الصديق الاستاذ سعد صائب ان يدخل غابة الشعر الفرنسي ويأخذ من كل شجيرة ورد عذقا يضمه الى باقته ، ومن كل دفقة نور « قبسا حيا » ينسله ويغزل منه الوانا وتهاويل ، شاء ان يجوز هذه الغابة راجلا. صدف عن الاوزان والقوافي وهو يعرب الموزون المقفى من الشعر الفرنسي ، في نثر ناعم رقيق . ولعله الفى ان النزهة المتمهلة ، في هذه الغابة المسجورة بالظلال المسحورة بالنور، امتع عنده واسهل لديه ، اعني اسلس لالفاظه واقرب الى غايته من دقة التعبير ، لقد كان هجيراه ، ان يدل على المعاني التي انتظمت في تلك القصائد ليستروح القارىء في قبسها الحي الى سحرها وروعة دلالتها ، ولئن رغب الاستاذ سعد عن الاوزان والقوافي في التعريب ـ اذ لم يعرب الشعر بالشعر ـ فقد عرف بما لديه من الفاظ طيعة منتقاة ان يفرى معاني قصائده المعربة بالفاظ قشيبة . وتيسر له ان يضم الى باقته افانين من روائع الشعر الفرنسي . وكبستاني عالم صناع اليد ، يصنف الورود والزهور التي زكت في حديقته فيردها الى اصولها ويشير الى منابتها ويصف الوانها . ويحنو على اشطائها وبراعمها ويستاف عبيرها الشذي ويدل عليه . كهذا البستاني الحاذق البصير حنا الصديق الاستاذ سعد على قصائده المترجمة فصنفها

(١) مقدمة كتاب ماثل للطبع بعنوان (القبس الحي) للاستاذ سعد صائب

(٢) من مقدمة ديواني « سحر » في منشورات دار مجلة الاديب

دمية من جبس

الى سميرة عزام صاحبة [القارة البكر]

[انانية الرجل وغروره هما العقبة الكاداء التي تقف بينه وبين قلب المرأة ، فاما ان يقوداه الى الغيرة حيث يفقد اتزانه الشخصي ، واما الى العنف في المعاملة حيث يصل به الاعتقاد في بعض الظروف الى الظن بالمرأة بما هي منه براء ، فينزل بنفسه وبها منازل التهلكة .

اما حيوانية الرجل اذا تغلبت على انسانيته ، فهي سيف سليط لا يني يتهجم على المرأة حتى يقودها مرغمة اما الى الاذعان الذي يتآكل منها الحياة لقمة لقمة .. واما الى الاشمئزاز حيث يقتل فيها ايمانها بالخير ، ثم ايمانها باكباره]

ـ هل لي ان اعلم لماذا ترين هذه الكآبة المملة على وجودك ؟؟

ـ انني متعبة ، ولا اجد ما يمكن ان يمسح عني هذا الكلال .

ـ وانا ؟! ما هو حظي من هذه اللفتة الطيبة . التي تسهين ابدا عنها او تسهين .

ـ حظك ؟ ! انه كحظي انا بالذات من تفكيرك ، كحظ وجودي من حياتك القاحلة الجوفاء الا من ...

ـ الا من البهيمية كما يحلو لك ان تسميها ..

ـ بل سمها ما شئت، فما تعدو في تسميتها حقيقة الواقع .

ـ الواقع ؟! انك ابدا حيال الواقــع تقفين ــ بل بــه تستشهدين ــ لكأنك قانونية متزمتة . لا تحيدين عن (موادك) او مثلك قيد انمله ! !

ـ كما انك لا تحيد عن مبادئك الجنسية قيــد انملة ... وكذلك عن مفهومك للمرأة . هذه المخلوقة التي هي في عرفك لم تخلق الا للتعامل مع غريزة الرجل . وليس مع فكره . كأنما هي ليست بانسان. بل هي دمية اشبه بالجبس.

ـ انها لرجولة صادقة هذه التي تنعتينها بالاستهتار . وليست هي هذا الشذوذ الذي ابتليت بــه . وتعتلين من جرائــه شبابك الريق وانوثتك الطاغية ..

ـ حبذا هو من شذوذ محمود ، اذا كان حقا شذوذا ، ارى فيه ملاذا لي حينما ابتغي منك الحماية والهروب .

ـ اتخالينني اصدقك ، أصدق هذه الترهات الصبيانية ؟ ! ان وراء هذا الشذوذ المزعوم ما وراءه من اسباب ، اسباب ما احسبك تخشين مصارحتي بها فيما لو سألتك اياها ، ولذلك فانا اوجس شرا من سؤالك مثلا اذا كنت تحبينني حقا ... او ان هنالك من ... من يقاسمني قلبك العتي .

ـ او تتحدث عن القلب أيها المالك سعيدا على جسمي المسكين وتتحدث عن الحب !! بمثل هذه المناسبة الجافة الصارمة !! قل لي بالله لماذا لم تبدأ بحديث الحب وتصارحني بذات نفسك (النقية المتألة) منذ ان بداتني بجدلك هــذا ؟؟!!

يا لك من مراوغ صغير لم يعتد الا الغرور ، ولم تعتد ميوله ـ على وضاعتها ــ الكذب او المداورة ...

ـ اذن لماذا لا تلاطفين صغيرك هذا فتلطفين من حدة ميوله، وتحدين من غروره واستهتاره ؟ !

ـ يا لانفاسك المتتابعة ما اشد وقدتها ، ابتعد بالله فاني لاكاد اختنق ، ان قلبك يا هذا قد عفت اثاره . وذرتــه الريح فاتت عليه ، وحبك ! هذا الذي تتحدث عنه من طرف لسانك لتحاجني فيه .. ما هو في الحقيقة الا هذا اللهب الذي يتآكل رجولتك ويأتي على انسانيتك .

ـ انسانيتي ! رجولتي ! ميولي ! انها لفلسفة عويصة تبتكر

ـ انسانيتي ! رجولتي ! ميولي ! انها لفلسفــة عويصــة تبتكرينها لتعدلي من موقفك مني ... انك امرأتي يا هذه . وانا رجلك . هذه هي الحقيقة الراهنة التي لا لبس فيها . فلئن تأبيت علي ... فثمت نساء كثيرات ما اظنهن يأبين ان يتعاملن مع رغبات الرجولة التي خلقن لها ...

ـ ...

ـ مالك لا تنطقين ! او لم تسمعي ما قلت ؟!..

ـ بل سمعته ووعيته . كما لم اسمعه واعيه يومــا ... ولكني قلت لك انني متعبة ، فاعفني بالله من هذا الاجترار المقوت ، وذرني لوحدي ، اتنفس بسهولة ، فلا اشق علي من التنفس بوجودك ...

ـ سأتركك ... ولكن على ان تعدي .

ـ اعدك ؟ ! اجل اعدك فاذهب .

ـ وعدا صادقا ، لا مداورة فيه ولا محاورة .

ـ وهو كذلك .

ـ اذن فقبلة الى اللقاء ... بل قبلة حارة هوجاء ...

[وبصفق الباب وراءه ، اما هي فتخاطب نفسها وقد شردت منها الحواس]

ـ لكأن المرأة قد حسبت انها بمساواتها الرجل في الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية قد سوت مشكلة الحياة بينها وبينه ، وما علمت انها ستظل على صعيد وهو على اخر ما دامت المرأة قلبا نابضا قبل ان تكون مادة دسمة ، وما دام الرجل ــ حيوانا ضعيفا ــ قبل ان يكون انسانــا قويا مهذبا .

جهان غزاوي عوني

في المدرسة الشعرية التي تنمي اليها وكتب عن ناظميهــا كلمة مبتسرة ولكنها كافية ، وطالع بحوثا مستفيضة عــن سيرة الشاعر ونقر عن مميزات شعره ، في مصادر مختلفة فاخذ عنها واشار اليها واتكأ عليها .

والحديث عن الشعر الفرنسي ، حديث شهي طــلي ، يتفطر شؤونا ويتشقق الوانا من المتعة الخالصة ، ابتــداء من الكلاسيكية الواضحة باسلوبها الجزل المستحصد ، الى الرومانتيكية العاطفية التي وصلت الطبيعة بالانسان ومنحتها احلامه واوهامه وآلامه ، الى البرناسية التصويرية التــي نزعت الى الوصوف الدقيق للطبيعة ، واقامت حاجــزا يفصلها عن عواطف الانســـان وجعلت من الشاعر اشبــه بمصور فوتوغرافي يجلو مفاتن الطبيعة وهو عنهــــا

بعيد ، الى الرمزية العميقة التــي وافت لتستعيــر مــن الكلاسيكية بعض الفاظها المرنانة ، وتمتح من الرومانتيكيــة عاطفتها المتقدة وتجعل صور البرناسيــة دافئــة جياشــة مسربلة بالغموض والابهام ، الى تلك المدارس التي ترادفت واقعية او سريالية ، وكلها تتسلســـل وتتشعب وترفــد الفكر الانساني بالخصب والابداع .

ولكم كنت اتمنى ان تكون هذه اللوحة التي جلاها الاستاذ سعد عن الشعر الفرنسي القديم والحديث ، احفل بنماذج من الشعر الفرنسي المعاصر ، فيتحدث الينا ، مطولا، عن اراغون وابلوار وجاكوب وبريفير وفارغ وغيرهم ، ولعله فاعل في كتاب آخر .

دمشــق **بــديع حقــي**

الخصام اليومي

✷

أختاه هل تبكين ان في مساء ... صفقتُ خلفي الباب.. ثم انصرفتُ

أتلحقين بي .. تنادين : عدْ لي ... أمْ كلُّ شيء قد مضى اذ مضيت

أمسِ تخاصمنا .. فلم تعبأي بي ... وعندما صوتك دوّى .. سكتُّ

عرّضتِ بي .. وقلتِ شيئاً مقيتاً ... مرّ ولم أغضب.. كأن ما سمعت

يومضُ في عينيك ان ثرتِ حقد" ... وفي فمٍ كالورد يشتدُّ صوت

أعرفها ثوراتك السود ريحاً ... تعصفُ ان ثرتُ عليها .. وتعتو

سكتُّ يا أخت..وفي الصدر شيء" ... كم شئت لو قيل .. ولكن كتمت

★ ★ ★

أحبُّ في ثغرك نفخ الأفاعي ... يشعله حب أصيل .. ومقت

أحب في اليدين قبضاً وبسطاً ... مخالبَ الهرّة.. صاحت.. فخفت

تقذف في وجهي هداياي زهداً ... وكلّ شيء لهوانا يمتُّ

تقذفها أرضاً .. فينهار قلبي ... كأنني أنا الذي قد قُذفت

★ ★ ★

يا ما تخاصمنا .. وقلنا .. انتهينا ... ثم تخاذلنا .. فعادت .. وعدت

من مجموعة « لكل حب قصة » تصدر قريبا

دمشق — شوقي بغدادي

قصــة عراقيــة

العاشـقـة

بقلم شـاكر خصباك

*

هبت نسمة خفيفة فطارت ورقة من فوق المنضدة وسقطت على البلاط وانتبهت سلوى من افكارها ودفعت الكرسي قليلا الى الوراء ، وانحنت على الورقة والتقطتها . كانت المسألة « الفيزياوية » ما تزال متعذرة الحل ، وربما قضت ساعتين او ثلاث حتى تتوصل الى النتيجة . كم تكره « الفيزياء » ! انها لم تحبب هذا الدرس قط ، ولم تشعر يوما بادنى مودة نحو مدرسته الست حسيبة . ولو كانت الست رفيقة تدرس « الفيزياء » لهان الامر ، فليس في الامكان احتمال « الفيزياء » والست حسيبة في آن واحد . وما ابعد الفرق بين الست رفيقة مدرسة « الاجتماعيات » والست حسيبة ! فالست رفيقة جميلة الى نازكة ، وفيها شبه كبير بالممثلة جون اليسون ، ولا يسمينها عاشقاتها بغير هذا الاسم . ودرسها محبوب ، سهل الفهم ، ينقضي اغلبه بالفكاهات ، ولا تكاد اية طالبة ترسب فيه مهما كانت مهملة ، فلا يبعد اذن ان يكون ادعاء محباتها صحيحا بانها تملك اكبر عدد من العاشقات ، اما الست حسيبة فهي دميمة ، جافة الطباع ، شديدة البخل بالدرجات ، واغلب الطالبات يرسبن في درسها . ومن المحتمل ان ترسب هي فيه هذا العام ، فقد اوشكت السنة ان تنتهي ولما يزد معدلها على الخمسين ، واذا لم تنجح في امتحان غد فقدت آخر امل لها في النجاح .

والقت سلوى نظرة امتعاض على كتاب « الفيزياء » المفتوح امامها ، ثم اشاحت بوجهها عنه ، انها لتعلم جيدا ان الواجب يقتضيها بذل جهد خاص في اتقان المادة لكي تحصل على درجة عالية غدا ، لكن ضجرا لا يقاوم يأخذ بخناقها ويشلها عن الدرس .

وزفرت سلوى زفرة حارة وقالت وهي تزحزح الكرسي وتنهض : أوف ربي .

واتجهت الى الشرفة واستندت بذراعيها الى السياج الحديدي واطلقت انظارها في حديقة الدار ، كان اخوتها الصغار يتلاقفون كرة صغيرة ويجرون وراءها في مرح وبهجة ، ونازعتها رغبة قوية ان تعود صغيرة مثلهم ، ان تلعب بمرح كما يلعبون ، الا تعرف معنى للتفكير في الدروس وتخيلت نفسها وهي طفلة لم تتجاوز الخامسة ، يتدلى شعرها الذهبي في غدائر طويلة بلون الكهرب ، تتقافز في حديقة الدار بفرح و « ام حنون » تجري وراءها متعثرة لقد مضت تلك الايام الجميلة الى غير عودة ، و « أم حنون » العزيزة ماتت منذ سنين وطمرت معها ذكريات الطفولة .. حتى شعرها الذهبي تحول الى بني فاتح وفقد لونه البديع!

ورن جرس الباب الخارجي رنينا متصلا فانتزع سلوى من اخيلتها . وانصتت برهة فترامى اليها صوت صلاح وخالتها منبعثين من الصالة — وغمرتها موجة فرح ، وهمت بمغادرة الغرفة ، ثم ما لبثت ان فترت حماستها وترددت في الانصراف ، وارسلت انظارها عبر الشرفة ، ثم تحولت الى كتاب « الفيزياء » وظلت تنظر اليه حائرة . ثم تقدمت نحو المنضدة ووضعت ورقة بيضاء في الكتاب واطبقته وغادرت الغرفة .

كانت امها وخالتها وصلاح جالسين في الصالة ، وكان صوت صلاح الجهوري يملأ المكان كالعادة ، والقت عليهم التحية وجلست صامتة تنقل انظارها بين الوجوه في فتور، واستقرت عيناها على وجه صلاح ، وجعلت تفحصه بدقة . أيمكن اعتبار صلاح جميلا ؟! ان قامته ، وان لم تكن طويلة ، لا يشوبها قصر . ولو اهتم بشعره الاسود الفاحم ومشطه بعناية لبدا بديعا للغاية ، اما قسماته فهي معتدلة ليس بينها ما ينبو عنه البصر . لكن هذه البعثرة في هندامه العام وفي ملابسه تجعله اقرب الى الدمامة ، وانها لتعجب اي جدوى يمكن ان يكسبه الانسان من وراء هذا المظهر ، واي ضرر يحدث لو صرف بضعة دقائق على اناقته .

التفت صلاح نحوها وتساءل : كيف الحال ؟

فقالت بلهجة جامدة دون ان تتحرك : لا بأس .

فتساءل صلاح وهو يبتسم ابتسامة خفيفة : وكيف حال الدروس ؟

فتململت في مقعدها وقالت بضيق : وقع بلاء على الدروس .. عندنا امتحان « فيزياء » غدا . اوف يا ربي ، متى أخلص من « الفيزياء » ؟!

فقال صلاح في سخرية خفيفة : بامكانك ان تخلصي منها هذا العام لو شئت .

فقالت في يأس : كلا ، لن اخلص منها هذا العام . انا اعلم انني سأرسب في « الفيزياء » ، ان معدلي خمسين ، وانا لست مستعدة لامتحان غد .

فتساءل صلاح في سخرية وعجب : وما الذي يمنعك من الاستعداد للامتحان ؟!

فقالت سلوى بسأم وهي تتململ في مقعدها : انني بدات بالدرس حالما انتهيت من الغداء ، لكنني لم اقرا سوى صفحات قليلة . أنا لا احب درس « الفيزياء » ، واكره مدرسته .. انها لا تفهم شيئا .

فقال صلاح وهو يسلط على وجهها نظرات قوية : ليس الذنب ذنب مدرسة « الفيزياء » ، بل هو ذنبك . انت لا تحبين الدرس .. انت لا تحبين سوى تضييع الوقت .

فقالت سلوى في ضيق وهي تعبس وجهها : انت بطران يا صلاح .. انت تريد من الناس جميعا ان يكونوا مثلك ، لماذا تلومني دائما ؟!

فقالت امها : لم يقل صلاح غير الحق . انت تحبين تضييع وقتك ولا تحبين الدرس ، انك تقضين اليوم كله

في سماع الاغاني ، ولا يفوتك موعد من مواعيد « طلبات المستمعين » في كل الاذاعات .

فقالت خالتها وهي تنظر اليها بحنان : ان سلوى تدرس بقدر طاقتها ، فلماذا تلومونها ؟! هل يجب ان تقتل نفسها بالدرس ؟!

فنهضت سلوى وقد بدا عليها الضيق وغمغمت : ان الرجال بطرانون ، فهم يقضون اوقاتهم في الخارج متى شاؤوا ونحن نظل حبيسات البيوت ، ثم يتحدثون عن تضييع الوقت .

وخرجت الى الحديقة وهي تحس ان ضجرها لم يعد يطاق . وشعرت كأنها حبيسة في قفص ، ووقفت بعيدا تراقب اخوتها الصغار يتراكضون وراء الكرة ويرميها كل منهم للاخر ، وقفزت الى ذهنها فجأة صورتها وهي في عمر بهجت الصغير وتخيلت نفسها تلعب الكرة مع صلاح في حديقة الدار ، لكأن صلاح الان هو نفسه ذلك الطفل الضخم الجثة المشوش الهندام الجهوري الصوت الذي يلومها باستمرار على افلات الكرة .

ولاحت بسمة خفيفة على ثغر سلوى ، وشعت في اعماقها غبطة مفاجئة ، وهتفت باعلى صوتها : اديب .. ارم لي الكرة .

فصاح اديب فرحا : « ابله » ، أتلعبين معنا ؟

فهزت راسها قائلة : سألعب معكم .

فضج الاطفال فرحين ، وتراكضوا نحوها وهم يسوقون الكرة باقدامهم ، واخذت سلوى تجري معهم وتتبادل معهم تلقف الكرة ، وتزايلت كآبتها وتبدد ضيقها. لكنها ما لبثت ان انصرفت عنهم ضجرة ، وانتحت ركنا منعزلا من الحديقة وجلست على العشب . وراحت تراقب الاطفال في فتور ، لكن ذهنها شرد عنهم سريعا . وارتسمت في مخيلتها صورة صلاح وصابر ، الاول بهندامه المشوش ، والثاني بأناقته البالغة ، أي منهما يحبها اكثر من الثاني ؟ ان صلاح ينسى نفسه احيانا فتجيش في عينه عواطف متقدة تنم عن غرام ملتهب . ولكن لماذا ينتهز الفرص دائما ليوجه اليها اللوم ؟! صحيح انه شاب مثقف وان له مستقبلا زاهرا ، فهو الاول في صفه دائما ، وهو يقرأ كثيرا ، وفي غرفته مكتبة حافلة بالكتب . لكنه يقرأ اكثر مما يجب ، وطالما رثت لحاله وعجبت كيف يرضى عن طيبة خاطر ان يقضي عمره كله في قراءة تلك الكتب التي لا تنتهي ، وانه ليطلب منها عمل المستحيل اذ يريدها ان تقرأ مثله ، ولقد عزمت فعلا ان تحقق رغبته وتقرأ ، لكن عزيمتها كانت تخونها كلما قلبّت الكتب التي جلبها اليها فواجهتها صحائفها الكثيرة وعدد كلماتها الهائل ، ولم تستطع ان تكمل حتى رواية « اني راحلة » على الرغم مما فيها من مواقف مشوقة ، وعلى الرغم من ان زميلاتها جميعا قد قرانها ، بل ان بعضهن اعدن قراءتها مرارا . ولكنها ما تزال على أية حال عازمة على تنفيذ تصميمها ، ولا بد ان تثقف عقلها يوما ما ، وستقرأ كتبا كثيرة ، وربما قرات كل الكتب التي في مكتبة صلاح وسمعت صلاح يقول فجأة : أانت مصرة على الرسوب في « الفيزياء » ؟!

فانتبهت مذعورة ، ورفعت رأسها فاذا بصلاح يستوي امامها باسما ، فقالت في عتاب ، انك اخفتني .

فقال صلاح في دعابة تشوبها سخرية خفيفة ! بماذا كنت تفكرين ؟! بالفراغ كالعادة ؟! اليس من الافضل لك ان تنجحي في « الفيزياء » ؟

فتفرست سلوى في وجهه مفكرة .. ان لون عينيه جميل حقا ، ومن الغريب انها لم تلاحظ فيهما هذا الجمال من قبل ولعل سبب ذلك انها لم تتفرس فيهما ابدا . ان صلاح مظلوم ، فلا يبدو للناظر جمال عينيه ما لم يحدق فيهما ، ولا شك انه اجمل من صابر . فصابر لا يملك سوى التأنق ، وانفه كبير وان حاول ان يستر كبره بشارب غزير لكنه يبدو الطف من صلاح على أية حال . وربما كان سبب ذلك روحه الخفيفة واناقته البالغة . وهي لا شك انه يحبها من اعماق قلبه . فهو لا يستطيع أن يكبح جماح عواطفه ابدا ، ولا بد ان تظهر في حركاته وتعابير وجهه . انه يبذل المستحيل كي يراها عدة مرات حينما تزور بيتهم لتدرس مع افتخار ، وان افتخار لتبتسم ابتسامة خبيثة وترمقها بنظرات خاصة كلما اطل عليهما صابر متعللا بأتفه العلات ، فهو تارة يطلب من افتخار قلما ، وطورا يسألها عن موضع احد اشيائه ، ومرة ثالثة يوصيها بامر لتذكره به فيما بعد. وهو في كل مرة يبدو شديد الارتباك لا يقوى على التحكم في اعصابه ، ومع ذلك فلا بد ان يخلق المناسبات ليقول لها عبارة رقيقة ، او ليلقي فكاهة طريفة تنتزع منها الضحك انتزاعا . وكم يبتهج لاستجابتها لفكاهاته ، فيشع وجهه بالسرور ، ويرتجف شاربه الكث طربا . حقا انه شاب رقيق لطيف ، وانه لجدير بحبها .. أجل ، يجب عليها ان تبادله الحب .

وسمعت صلاح يقول في سخرية : ما هذا الاستغراق في التفكير ؟! أانت مصرة على التفكير في الفراغ وتضييع الوقت ؟!

كلا ، ان صلاح لا يحبها ابدا . انه لم يحببها قط ، ولو كان يحبها ما عاملها بهذه الخشونة ، انه يحاول دائما ان يقتنص الفرص لينحى عليها باللوم ، ليسخر بعقلها ، ليستخف بشخصيتها ، فاي نوع من الحب هذا ؟!

قالت سلوى وهي تنتزع اغصان العشب وتلوكها : لماذا تحاول دائما ان تغتنم الفرص لتلومني ؟! انا لا احب هذه الطريقة .

فقال صلاح دون تردد : ليس المهم حبك لهذه الطريقة او عدم حبك لها . فانت تضيعين وقتك بأتفه الامور ، وهذا امر يزعجني ولا ارتضيه ابدا .

فقالت سلوى وهي تحدجه بنظرات قوية : وما شأنك بي ؟ أنت لست مسؤولا عني ، فلم تزعج نفسك من اجلي ؟!

فلاح اضطراب خفيف على وجه صلاح ، وصمت لحظة ، ثم قال بلهجة ذات روح خطابي : صحيح انني لست مسؤولا عنك باعتبارك ابنة خالي ، لكنني مسؤولا عنك باعتبارك احدى المواطنات ، وانت أقرب مواطنة تسمح لي الظروف بالكلام معها في حرية تامة ، أنا لا ارتضي هذه الحياة لجميع الفتيات امثالك اللواتي يتفنن في تضييع اوقاتهن . ولو كان باستطاعتي لوبختهن جميعا ، أي خير يعود من ورائهن على هذا البلد ؟! انهن لا يحاولن ان يثقفن عقولهن فيقران كتابا مفيدا او مجلة جدية .. سوى الروايات الغرامية الخليعة والمجلات المصورة المبتذلة التي تروي اخبار الممثلين والممثلات وحياتهم الخاصة ، فكيف يتعرفن بهذه الطريقة على مشاكل الحياة في بلدهن . وكيف يستطعن مشاطرة الرجل مسؤولية الحياة العائلية في

المستقبل ؟! نحن في حاجة الى فتيات مثقفات يعرفن مركزهن وواجباتهن تجاه الوطن والمجتمع ، وانا اريدك ان تكوني احدى تلك الفتيات .

وسكت صلاح فساد صمت ثقيل كانت تعكره صيحات الاطفال المتقطعة . وانكبت سلوى على اغصان العشب تنتزعها بقوة ثم ترميها جانبا . ونهضت اخيرا وقد لاحت على وجهها سأمة حادة وقالت بملل : اوف يا ربي .. أنا ضجرة ، لست ادري ماذا افعل .

فقال صلاح بسخرية تشوبها رقة : انت ضجرة طول عمرك .. اذهبي الى غرفتك وادرسي « فيزياء » . فتلكأت سلوى قليلا ثم قالت : نعم ، الاحسن لي ان اذهب الى غرفتي .

عادت سلوى الى غرفتها وقلبها يفيض بحنين مبهم تمازجه كآبة وسأم ، وجلست وراء منضدة الكتابة في ضيق وفتحت كتاب « الفيزياء » . ما أضخم هذا الكتاب ! كيف لا يفكر رجال عقلاء كأولئك الذين يقررون المناهج ان الطالبات لا يستطعن قضاء الوقت كله في الدراسة ؟! لكأن كل مؤلف يباري الاخر في ضخامة كتابه ، وعليها هي ان تهضم « الفيزياء » وستة كتب اخرى بضخامتها ، كيف يمكن ان تفعل هذا ، كيف ؟!

وشرعت سلوى تقرا في فصل الكهربائية ، فلم تستطع ان تفهم شيئا . كان ذهنها يشرد عن الكتاب باستمرار . وكررت قراءة بعض العبارات فلم تع معانيها ، واجتاحها فجأة شعور أليم بالتعاسة ، وبدا لها بشكل واضح جلي انها انسانة شقية ، هل ستبدد شبابها على هذا النحو ؟ ستظل اعواما طويلة اسيرة الدراسة والامتحانات . وقد امتحنت في « الجبر » قبل اسبوع ، وستمتحن في « اللغة الانجليزية » بعد ثلاثة ايام ، وعليها ان تستعد منذ الان للامتحان العام . فمتى ستتخلص من الدروس والامتحانات ، متى ؟! ليتها تغمض عينيها وتفتحهما فتجد موعد العطلة الكبيرة قد حان .

واسندت سلوى مرفقيها الى المنضدة وتاهت انظارها في الافق البعيد . لقد اقبل الصيف وهي لم تتأهب له بعد . وعليها ان تقضي ما تبقى من السنة الدراسية بملابس السنة الماضية ، فليس لديها الوقت الكافي لشراء ملابس جديدة وخياطتها قبل حلول العطلة الكبيرة . ولن تتقيد هذه المرة بآراء امها الرجعية ، بل ستخيط ملابسها كما تشاء . فليس في طاقة امها ان تتصور بان الفساتين المغلقة تجعل منظر الفتاة كريها . ولا بد ان يكون الفستان الصيفي في مدينة كبغداد بدون اكمام ، ولا بد ان تكون فتحة الصدر والظهر واسعة . واي بأس في هذا ؟! لو كان لحر بغداد مثيل في اوربا لسارت النساء في الشوارع عرايا . ان امها بصورة خاصة لا يمكنها تقبل هذا المنطق . وكيف يتم لها ذلك وهي من نساء الجيل القديم ؟! كلا ، انها لن تخضع لمشيئتها بعد الان ، فهي ما تزال تعيش في عقلية القرن الماضي . وستضرب باوامرها عرض الحائط حينما تحل العطلة . لن تظل حبيسة الدار لا تخرج في انهار الا لزيارة صديقاتها ، ولا يجوز لها ان تتمشى في شارع الرشيد او شارع النهر ، لتتفرج على الناس ومخازن البضائع النسائية . ولن تتبع طلباتها بخصوص « السينما » ، فهي طلبات سخيفة لا تحتمل ، يجب عليها ان تذهب الى « السينما » مرة واحدة في الاسبوع ، والا تذهب بمفردها او مع شاب ، بل مع احدى صديقاتها . فما الداعي الى هذه الاحكام ؟! ولماذا لا يجوز لها ان تذهب اكثر من مرة في الاسبوع بمفردها او بصحبة شاب ؟! فصابر مثلا يذوب شوقا الى مرافقتها يوما الى « السينما » . لكن افتخار افهمته ان امها لا توافق على ذلك ابدا ، مع انها تتوق الى ذلك من كل قلبها . فصابر انسان رقيق للغاية ، وهو يبذل كلما يستطيعه لادخال السرور على قلبها . وقد التقى بها مرة ، هي وافتخار ، عند باب « سينما روكسي » فقطع لهما تذكرتين على حسابه ، واشترى لهما كمية عظيمة من الفستق واللوز والحب . ولم يجلس بجوارهما رغم لهفته الشديدة لذلك ، وجلس في صف وراءهما . فما معنى هذه القيود السخيفة ؟!

وعادت صورة صلاح وصابر تلحان على ذهنها ، حقا انها لا تستطيع ان تفضل احدهما على الاخر لو خيِّرت بينهما ، فلكل منهما ميزات تحبها ولا تتوفر للاخر ، فصلاح رغم خشونته ذو رجولة قوية وشخصية طاغية . وصابر رغم انفه الكبير ذو لطف متناه ورقة بالغة ، لكنها لا تستطيع ان تعيش مع اي واحد منهما ، ولو كان لصلاح لطف صابر ، او لو كان لصابر رجولة صلاح لامكن ان تحب احدهما ، لكنها موقنة انها ستلتقي يوما ما بشاب يجمع صفات الاثنين . ربما التقت بذلك الشاب وهي سائرة في شارع الرشيد ، او موجودة في « الباص » ، او جالسة في « السينما » . وكم وقعت انظارها وهي في « الباص » على نموذج للشاب الذي تفضله ، ولم تكن تتزود منه بغير نظرات سريعة ، ولقد حدث لها مرارا ، وهي جالسة في « السينما » ان شعرت بهزة عنيفة وبمغناطيسية لا تقاوم تجذبها الى وجه شاب من بين مئات الوجوه ، وقد تتبادل معه نظرات اعجاب ، ثم لا يلبث ان يختفي من افق حياتها حالما تبارح دار « السينما » . ولم يحدث لها ابدا ، ان التقت مرة ثانية بأحد اولئك الشبان الذين اعجبوها .. وكيف تلتقي بهم ثانية وهي تحيا هذه الحياة الضيقة الجبيسة التي تشابه حياة السجينات ؟!

وتجمعت سحب الكآبة مرة اخرى في افقها ، لكن نبعا فوارا من البهجة تفجر في اعماقها فبدد تلك السحب ، ستلتقي بذلك الشاب في يوم من الايام حتما . وسيحبها من كل قلبه ولا يفضل عليها أية امرأة في الدنيا ، وسيعاملها برقة صابر ، ولن يطالبها كصلاح بقراءة الكتب الضخمة ، وسيسمح لها بالتنزه كل يوم في شارع الرشيد وشارع النهر للتفرج على مخازن البضائع والناس . ولن يعارض في خياطة فساتينها بدون اكمام وبفتحات واسعة للصدر والظهر ، وسيصحبها كل مساء الى « السينما » فتستمتع بجوها المزدحم المرح المشبع بالموسيقى واللفتات والنظرات ، وسيسمح لها بشراء « جرامفون » كهربائي وجمع كل اسطوانات فريد الاطرش ومحمد عبد الوهاب . وستتصرف على هواها لا يمنعها احد ولا يلومها لائم .

وامتلأ قلب سلوى بنشوة عميقة ، وغمرتها سعادة فياضة ، وكانت الشمس قد اختفت وراء النخيل البعيدة مخلفة وراءها غيوم صفر . وانعكست الاشعة الغاربة على محياها المشرق فبدا ذو جمال اخاذ ، وكانت نسمات خفيفة تهب عبر الشرفة فتداعب خصلات شعرها الكستنائي البديع المتدلية على جبينها .

بغداد **شاكر خصباك**

قدامى ومجددون

بقلم نسيب الاختيار



ما اكثر الناس الذين تحدثوا عن القديم ، كما تحدثوا عن الجديد ، انهم منذ الازل يعالجون هذا الموضوع في شيء من الرفق في حين ، وفي شيء من العنف في حين آخر وتمضي الايام تباعا والهوة بين الجانبين فاغرة الفم ، تتلقف اقوال هذا ، كما تتلقف اقوال ذاك ، وهي هي ، فجوة عميقة الغور، تتلاشى في رحابها الاصوات دون ان تخلف وراءها ، غير الاصداء .

فانصار القديم اذ يدافعون عن تراثهم ، انما يدافعون، كما يخيل اليهم ، عن حياتهم ، تلك الحياة العتيقة التي عشعشت في افكارهم وتغلغلت في مشاعرهم ، تقمصت حركاتهم وسكناتهم ، فلا يصدرون الا عنها ، ولا ينطلقون الا منها ، فهم يدافعون عن الارث التاريخي ، ويجعلون من انفسهم حماة معاقله ، يناضلون عنه ويجاهدون في سبيله، والمتحررون من هؤلاء الانصار يقولون ان الحياة وحدة وان صرحها لن يتماسك ، اذا لم يأخذ الانسان باسباب القديم ، ليدعم به صرح الحضارة ، الذي ساهمت في بنائه الاجيال والاحقاب .

وانصار الجديد ، اذ يدافعون عن جديدهم ، انما يدافعون عن حياتهم ايضا ، ذلك لانهم يعتقدون بان الجمود لا مرادف له ، الا الضياع والانحلال والفناء ، فالماضي في عرفهم ، لم يكن حاضرا ابديا في يوم من الايام، لان الحياة تيار تاريخي ، يتابع مجراه دون توقف ، خلال العصور ، وهو في نمو مطرد ، يكبر ويعظم الى ما لانهاية له . فالقديم ، هو الشيخوخة ، والجديد هو الشباب . والتجارب ليست ارثا ، وانما هو ابداع ، والابداع وحده هو الذي يهب الحياة القوة والجمال .

والصالح في عصرنا ، لا يصلح لكل عصر ، اذ ما من قيمة من القيم ، الا وهي نتيجة طبيعية لاوضاع الزمن الذي وجدت فيه .

على هذين الجرفين المتباعدين ، يقف انصار القديم وانصار الجديد ، والناس يستمعون الى هذا كما يستمعون الى ذاك ، تطل عليهم من اعماق الماضي الامجاد الماتعة ، فينكسون الرؤوس ويحنون الهامات ، وينبثق امامهم فجر الحاضر وما في الحاضر من واقع وحقيقة ، فيشرئبون اليه بالاعناق ويتطاولون ، ويتطلعون ، فهم بين امسهم الغابر ويومهم الحاضر ، يقفون ، وقد توزعتهم الاهواء ، والتبست عليهم الاراء ، لا يدرون ماذا يصنعون ، واي سبيل يسلكون. فاي قديم ذاك القديم الذي يعتز به انصاره ؟ واي جديد ذاك الجديد الذي يعتد به اعوانه ؟

وهل كل تراث قديم ، له رايات ممتدة ، ترفرف في كل زمان وفي كل مكان ؟ وهل كل ابداع جديد له انوار متألقة تغمر الاجواء وتضيىء الارجاء ؟

يقولون ان الحياة وحدة ، وحدة متماسكة تربط بين الماضي والحاضر ، والحاضر والمستقبل ، ولكن هذه الوحدة ليست قياسا ثابتا ، لا يتبدل ولا يتغير ، وانما هي وحدة مطردة ، مستمرة منظورة ، فالحياة في الازمنة الخالية ، اخذت لنفسها اشكال قيم الاوضاع السائدة والوانها تلك القيم التي املتها الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لعصر من العصور ، وقد تجلت هذه الاوضاع في الاداب ، في مظهرين متضادين مختلفين ، فهناك فريق من الادباء عكسوا في مبدعاتهم تلك الاوضاع بكل ما فيها من شر ، ونظروا الى المجتمع من قمته لا من قاعدته ، وهناك فريق من الادباء ، عكسوا في مبدعاتهم تلك الاوضاع ايضا ، ولكنهم نظروا الى المجتمع من قاعدته لا من قمته . فالفريق الاول ، عاش حياته ، وهو غريب عن المجتمع ، لا يفكر تفكيره ولا يحس احساسه ، ولا يؤمن بمستقبل الانسانية التاريخي ، انه يقر القيم الرجعية ، يعبر عنها ويصورها ويرى فيها المثل الاعلى . والفريق الثاني ، عاش حياته في وسط المجتمع ، فكر بفكره ، وشعر بشعوره وآمن بمستقبل الانسانية ، وعزف بوجهه عن القيم الرجعية ، فلم يعبر عنها ولم يصورها ، وناضل في سبيل المثل الاعلى المنبثق عن الحقيقة والواقع .

فذاك الاديب الذي عاش غريبا عن مجتمعه سواء اكان ذلك في الماضي أم الحاضر ، هل تصلح مبدعاته لتكون ارثا خالدا ، تتناقله الاجيال والاحقاب ؟ هل تصلح مبدعاته لتكون نموذجا يحتذى ، في زمن تطورت فيه القيم والمفاهيم والمثل لمختلف الاوضاع العامة ؟

وذاك الاديب الذي عاش في وسط مجتمعه ، اليس هو الاديب الخليق بالخلود ؟ الم يصور لنا الحقيقة فيما ابدعه مهما كانت الصفة التاريخية لذاك الابداع ، ما دامت تعبيرا تقدميا لحاجات الانسان الفكرية والمادية ، وعاملا فعالا ، في دفع موكب الحضارة الانسانية الى الامام ؟

فالقديم او الجديد ، لا يقدس ، بالنسبة للمكان والزمان ، وانما يمجد بالنسبة لما اداه من رسالة ففي تاريخ الاداب القديمة ، ادباء رجعيون ، وادباء تقدميون ، هناك كتاب في بريطانيا مثل « ووردث ورث » تغنى بالتقاليد الرجعية وكتاب في بريطانيا مثل « ديكنز » انكر الظلم الاجتماعي وفي فرنسا كتاب على غرار بريطانيا هناك « شاتوبريان » و « بلزاك » وما يقال عن فرنسا يقال عن المانيا فالى جانب « نوفالس » هناك « كوته » . وفي تاريخ الادب العربي كتاب رجعيون وكتاب تقدميون هناك مثل القاضي الفاضل ومثل المعري .

وفي تاريخ الاداب ادباء اضفوا على مبدعاتهم تصوراتهم الذاتية ولكنهم وقفوا الى جانب الكثرة المطلقة من ابناء المجتمع فأبدوا مطالبها وناصروا مصالحها ، وفي تاريخ الاداب ، ادباء لم يعيشوا في وسط المجتمع ، في أعمق اغواره ، ولكنهم نظروا الى الاشياء بعين المجتمع وسمعوا باذنه وفكروا برأسه ، مثل هؤلاء الادباء الذين

عاشوا في العصور الماضية ، يؤلفون ثروة وطنية وان اعوز آثارهم ، النضج التاريخي ، والمؤهلات الكافية لاماطة اللثام عن الوجه الحقيقي للمجتمع والمعرفة اللازمة للاسباب الرئيسية للمصالح المادية فالمعيار الصحيح للاثر الادبي هو فيما تؤديه فكرته من نفع عام في تكوين العصر وتقدمه ، لان الاثر الادبي الذي يؤدي هذه الرسالة ، هو اثر ادبي نموذجي ، مهما اوغل في القدم ، او اوغل في الجدة ، انه ارث وطني يفخر به المجتمع فمحتواه لا شكله ، هو الاصل، وأثره لا تاريخه هو المنشود .

فأين نحن من تلك المعركة القائمة بين القديم والجديد؟ أينَ نحن من ذاك الدوي الذي ملأ الارجاء وغمر الانحاء ؟

يريد انصار القديم ان نكتب ، كما كتب الاوائل ، نحتفظ بالنوع والطريقة والشكل الذي احتفظوا به . انهم يريدون ان نفكر ونشعر ، بعقل الاوضاع البائدة وقيمها ولكن أنى لهذه القيم ان تظل محتفظة بطابعها القديم في الاداب في عصر لم يعد يؤمن فيه الانسان ، بالقيم الفردية والمثل الذاتية ؟

ويريد الجديد ، ان نتحرر من القديم ، ان نتحرر من طرقه وانواعه واشكاله ، فنكتب باساليب جديدة ، انهم يريدون ان نتحرر من الصفات الظاهرية ، لا من القصر العاجي الذي يطلون منه على المجتمع ، فيعالجون معضلاته ، ويتدارسون مشكلاته ، من وراء منظار مترف انيق ، لا يعكس الا شخصيتهم المنطوية على نفسها المستغرقة في ذاتها .

ان هذا الجديد ، وذاك القديم ، اذ يتباريان ، انما يتباريان على حياة ضائعة ، انهما يخدمان بافكارهما ، القيم الرجعية ، التي كانت وما زالت ، تعمل جاهدة لوضع الادب خارج دنيا المجتمع .

فالمعركة بين القديم والجديد ، ليست معركة لفظية ولا شكلية ، وانما هي معركة قيم عامة ، تخلع طابعها الخاص ، على الاداب ، فالرجعيون من الادباء ، سواء اعاشوا في هذا العصر أم في العصور الخالية ، هم اولئك الذين تجاهلوا حقائق التكون التاريخي للوطن وللانسانية وتغنوا بامجاد القيم التي لم يعد في الامكان ان تتجاوب مع التطور الخلاق ، وتحدثوا عن عالمهم الذاتي ، كأن هذا العالم لا تربطه رابطة بالمادة الاولية المؤلفة للتاريخ . والمجددون الحقيقيون من الادباء سواء اعاشوا في هذا العصر ام في العصور الماضية ، هم اولئك الذين استمدوا وحيهم من مجتمعهم الذي وضع بين ايديهم المادة الاصيلة لابداعهم ، فتحدثوا عن مطالب المجتمع الذي وجدوا فيه ، فكانت آثارهم الصوت التاريخي لوطنهم ، فخلدت بذلك مبدعاتهم في دنيا الاداب الوطنية لشعوب الارض .

وهكذا تغدو قيمة القديم وقيمة الجديد من الآداب ، موقوفة على ما تؤديه من رسالة وطنية وانسانية ، فالاديب الحق ، هو الاديب الذي يعبر عن مطالب المجتمع ويصور هذه المطالب ، وينفذ ببصره الى اعماق الحوادث والى العوامل المكونة للمجتمع ، فمن وراء التناغم الفني ، تتجلى الحقائق الواقعية للتاريخ ، ومن خلال الجمال الشعري ، تنبثق انوار الحياة .

دمشق **نسيب الاختيار**

خلط عاطفي

حالات نفسية مستمدة من الواقع

●

توفيت الام وتركت طفلة تعلق الاب بها واحبها حبا مركبا كزوجة وكابنة . وعندما صارت الابنة شابة وبدات تحاول التفكير في الاتصال بالشبان بنية الزواج ظهرت غيرة الاب بشدة غريبة . وقدمت الخالة شابا للفتاة ولكن الاب اعترض بدون حجة معقولة وحبس ابنته في المنزل ، فبدات تخرج خفية لتقابله في منزله بصفة بريئة ، تجلس لتسمع الحان البيانو اذ كان موسيقيا يعزف مساء في صالة رقص .

وعلم الاب بذلك فوضع عليها رقابة ، ولكنها تغلبت على هذه الصعوبة باتفاق مع من وضعهم الاب مراقبين عليها ، فحبسها في المنزل فكانت تخاطبه بالتليفون فقطع سلك التليفون ووضع ملابسها في الدولاب وقفل عليها فامتنعت عن تناول الطعام واصيبت بالتشنجات .

ولما نقلت الى المستشفى لتعالج من كسر اصابها في العمود الفقري نتيجة لصدمة سقوط اثر نوبة تشنجية كان الشاب يزورها خلسة ويقدم لها الزهور والهدايا ، ومن شدة اندفاعها في الحب لم تكن تحترس وتخفي الهدايا لكثرتها وضخامة باقات الزهور . فتدخل الاب وبعث للشاب مع الخالة يهدده فامتنع عن زيارتها . فكانت تطلب من الممرضات تمكينها من مخاطبته في التليفون ووافق الجميع واشتركوا في المساعدة وسمح الدكتور بنقلها في « عربة العمليات » لتصل الى التليفون وتخاطبه . ولكنها شعرت ان الشاب بدا يتراجع ليأسه أمام قسوة الاب وخطورة حالة الفتاة ، ثم ترك الشاب البلد ليسافر نهائيا وراحت تسأل عنه في كل مكان ، ولما خرجت من المستشفى راحت تتردد على الامكنة التي كان يوجد بها .

ويتنازل الاب في داخل نفسه عن تعلقه بابنته ويختار لها زوجا ضعيفا تخضعله ويمكنه من التحكم فيها والتصرف في امورها والتدخل في شئونها كما لو كانت فتاة كما كانت من قبل ، وتستمر الامور على حالتها . وتمشيا مع هذا المبدا يقرر السفر الى الخارج معها دون زوجها ، وهناك يحاول التدخل في كل صغيرة وكبيرة من سلوكها فتثور على والدها ويدفعها الضغط الى انفجار وتتصل بالشبان اتصالا بريئا يقتصر على الحديث السطحي . ولكن غيرة الاب تعمل عملها في ذهنه وتصور له الاخطار الجسيمة وتكبر اوهامه وتعذبه الاحتمالات ويصاب بتشنجات عصبية .

وبعد سهرة في بهو الفندق تدخل الابنة على ابيها غرفته فتجده في حالة خطيرة ، فتنزعج ويظهر خوفها عليه معبرا عن أكبرحب وعطف، ولكنه لا يتجاوب معها. وتسرع لتستدعي الطبيب تليفونيا فيحضر ليسمع الاب يردد « لا أستطيع مشاهدة ابنتي تخاطب الرجال ، أنا لم أعد احبها فهي السبب » وترد عليه « أنا بريئة ، أنا بنتك » ويعقب أبوها على كلامها « أنا لست أباك ، أمك كانت تحبني اكثر منك . »

القاهرة **ابو مدين الشافعي**

ابن الـرومي

ان ابن الرومي بين شعراء العربية اشبه بطائر يطير في غير سربه .

بقلم السيدة سيليا جردي

شذ ابن الرومي في شعره ، كما شذ في حياته ، وسلك طرقا جديدة في الشعر العربي لم تكن معهودة من قبله . ولا ريب ان علة هذا الشذوذ هي ما امتاز به هذا الشاعر من عبقرية خاصة ، هيأت له اسباب الانفراد عن سائر الشعراء ، وساهمت البيئة ، والاحوال التي احاطت بحياته ، في توسيع نطاق تلك العبقرية وحملها على الايغال في هذا الانفراد .

وقد شاء بعض النقاد ان يفسروا خصائص هذه العبقرية ، بارجاعها الى اصل الشاعر اليوناني ، وقد يكون لاصله في الواقع ، اثر في توجيه شاعريته ، ولعرقه يد في مساعدته على استيعاب الحضارة العباسية المختلطة ، وفيها للثقافة اليونانية نصيب وافر . فاستطاع من ثم ان يمزج بين مؤهلاته الوراثية ، ومكتسبات الثقافة مزجا خصبا فريدا ، قرب عبقريته من العبقرية اليونانية في بعض النواحي ، وانآها من نواح اخرى ، وليس من العسير ادراك مواطن البون بين شعر ابن الرومي وأي شاعر اغريقي ، ولا سيما من حيث قلة اعتدال شاعرنا في الاحساس ، وعدم ملازمته خطة متزنة في التفكير ، وكثرة احتفاله للمعاني مع اهماله العبارة احيانا كثيرة ، كما لا يخفى ما تقترب به عقلية ابن الرومي من العبقرية اليونانية وخصوصا من حيث عبادته للجمال الى حد ان يجعله مبدأ الخير ، ومن حيث شغفه بالحياة ومتعها ، واتخاذه الاحساس موضوعا للادب يكشف به عن أحقر حركات النفس البشرية .

ولا ريب ان لشخصية الرومي يدا واسعة في صوغ عبقريته ، وصبغها بميزاتها الخاصة من شعور متوفز ، حاد دقيق الاحساس الى حد بعيد ، وخيال جامح ، ذي مقدرة عجيبة على الابداع ، غاية في دقة الملاحظة والتصوير ، جعله يتمثل كل شيء ، حتى الطبيعة الجامدة والخواطر المجردة ، أشخاصا حية ، تستولي على نفسه بأخف مظاهرها ، فيندفع الى تدبرها من جميع نواحيها ، حتى زخر شعره بالخلق والتشخيص ، واستفاض فيه استقصاء المعاني .

فهل قرانا لشاعر قبل ابن الرومي وصفا للطبيعة بما توصف به الاحياء ناسبا اليها العفة والاحصان والشهوة .. كقوله :

هي في زينة البغي ولكن   هي في عفة الحصان الرزان

شاعر يعبد الجمال فيغلو في تشبيه الاحياء بما في الطبيعة من اشياء فيظهر اثر التكلف واضحا في هذا الضرب من شعره ، فقصيدته : « دار البطيخ » جعل فيها لكل جارحة من جوارح المراة ما يلابسها في الطبيعة ، وقد وصف المراة بما توصف به الحدائق والبساتين حتى سميت « حديقة الشعر » لكثرة ما ورد فيها من اسماء الفاكهة والرياحين .

ولقد شبه احدهم شعر ابن الرومي بشاشات سينمائية تتحرك الاشخاص عليها لكثرة ما ورد فيه من التركيب الذي لم يلحقه به شاعر آخر ، ففي وصفه الاحدب مثلا قال :

قصرت أخادعه وطال قذاله   فكأنه متربص ان يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة   واحس ثانية لها فتجمعا

فهو لم يكتف بقوله في البيت الاول : « فكأنه متربص ان يصفعا .. » لانه لم يستتم المعنى ، وان تكن صورة الاحدب ظهرت جليا . ذلك ان الانسان لا يتربص ويتجمع للصفع الّم يكن قد صفع قبلا . وابن الرومي لا يسقط عليه شيء الا تنبه له وراقبه ، وسد ثلمته ، فلهذا تابع وصفه فقال : « وكأنما صفعت قفاه مرة .. »

وهو الى ذلك دقيق الحس ، عصبي المزاج ، تغلب عليه السوداء ، فيثور ويشتد غضبه ويسلط لسانه اذاعبث به عابث ، ولكنه سريع الرضى ، صفوح اذا استرضي . فهو يحب الحياة ويتعشقها رغم ما لقي فيها من بؤس وشقاء ، والحياة عنده لذة يتطلبها . واللذة عنده شهوة الى الجمال يتبعه أينما بدا له فيستعذبه في وجوه النساء والغلمان ، وفي أصوات المغنين والقيان ، وفي الطبيعة وما عليها من صور والوان . واللذة عنده شهوة الى المآدب ، فهو منهوم لا يشبع من طعام ولا شراب .

شاعر يحب الصوت الجميل ومجالسة اللهو ، فوصف القينة وغناءها والساقي وكأسه ، والخمرة وآنيتها . وله براعة في نعت الصوت الحسن تدل على صحة شعوره بالفن كقوله في داليّة وصف بها وحيد المغنية :

تتغنى كأنها لا تغني   في سكون الاوصال وهي تجيد
لا تراها هناك تجحظ عين   لك منها ولا يدر وريد
مد في شأو صوتها نفس كاف كأنفاس عاشقيها مديد

ها هي وحيد تغني دون ان تتحرك اوصالها كغيرهـــا من المغنين ، ومع ذلك فهي تجيد . وتتابع دون تعب ولاكلل، فلا تجحظ عيونها ، بل امتد صوتها وتعالت انغامها كما امتد حنين عشاقها اليها لشدة حبهم لها .

واذا ذكرانواع الطعام والشراب، فهو يفتن في وصفه، حتى لا يترك لغيره مجالا في التوسيع او دقة التعبير ، فهو اذا وصف العنب الرازقي ، يبين منظره وطعمه وكثيرا من اوصافه ، فاذا اردت ان تتعرف على نكهته فاقراقول الشاعر:

له مذاق العسل المشور ونكهة المسك مع الكافور

فمذاق العنب الرازقي كمذاق العسل المقطوف ونكهته ممسكة . .

أما قالي الزلابية فيقليها في السحر بزيت كالكيمياء التي شغلت عقول البشر فينزل العجين فضي اللون في يدي صاحبنا الى الزيت ، ثم يخرجه مذهب اللون :

كأنما زيته المقلي حين بدا كالكيمياء التي قالوا ولم تصب
يلقي العجين لجينا من انامله فتستحيل شبابيكا من الذهب

ان حياة ابن الرومي واحوال البيئة التي عاش في ظلالها ساعدت على انماء عبقريته في مجال التقليد الهزيل ، والجأته الى النزول الى أبعد قرارات شخصيته ، وجعلته النكبات المتتابعة ، وضربات الالم اوفر لصوقا بالحياة العميقة، في مأمن من سطحيات العيشة الخالية الهنيئة ، كما أكسبت شعوره ارهافا مضاعفا ، اتاح له ان يقدر الجمال ــ الذي ظل ابدا حلمه المنشود ــ حق قدره ، بل فوق قدره احيانا ، وان يوطد الصلة بين الشعر والاحساس النفسي اوثق توطيد ولا شك ان الالم اذا كان سببا من اسباب النبوغ عد من ابدع واعظم ما في الحياة كقول احمد شوقي :

تفردت بالالم العبقري وانبغ ما في الحياة الالم

ونحن نرى ان عددا كبيرا من شعراء الغرب كان الالم سر نبوغهم وعبقريتهم : كالفرد دو موسه ولامارتين وفيكتور هوغو . . . وغيرهم .

أما التشاؤم، فقد ضاعف مقدار خيال شاعرنا الخلاق ، فغدا يتوسم الحياة والاشباح والرؤى الغريبة في كل شيء ، وزاد من ولعه في الاطالة والاستقصاء خشية منه ان تبقى زاوية من شعره ناقصة الاستيفاء والا يدرك الناس كل ما يقصد اليه من معان ، لتوهمه العجز في معقولهم . فتوفر على الاحاطة بالمعاني من جميع أطرافها ، حتى يبرزهـــا مستوفية الجلاء ويتيقن انه لن تفوت سامعيه ذرة منها .

فاذا رثى ابن الرومي مثلا نراه شديد التفجع علـى الميت اذا كان عزيزا عليه ، ولا غرو فانه من طبيعته ضعيف الارادة ، قوي الحافظة ، دقيق الاحساس ، مضطرب العقل، فأخلق به ان يغلب عليه الجزع ، اذا رزىء بمن يحبــه ، فيتأجج بركانا عاطفيا ينفث نيرانه عن نفس يصهرهـــا الحزن ويضعفها التطير ، ويحفزها تتابع النكبات فتنفجر بالبكاء والانين ، ومثال ذلك رثاؤه لولده الاوسط وقد مات مفزوعا ويستهلها الشاعر بخطاب عينيه ودعوتهما الى البكاء :

بكاؤكما يشفي، وان كان لا يجدي فجودا ، فقد أودى نظيركما عندي
توخى حمام الموت اوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقـــد
ألام لمـا ابـدي عليـك من الاسى واني لاخفي منك اضعاف ما ابدي

لقد توخى حمام الموت الولد الاوسط مختارا بـــه الافضل والاجمل واني ملوم لما اظهر من الحزن واللوعة على فقده واني أخفي أضعاف ما اظهره وابديه .

أما رثاؤه لاهل البصرة فكان وصفا لما اصابه من اللوعة والحزن لما نال اهل البصرة من صاحب الزنج ، ثم وصفــه عظمة البصرة وخصب ارضها ، ومقامها بين سائر البلدان ثم انتهاك الزنج محارم الاسلام ودخولهم اليهــا . . الخ . فعندما نقرأ هذه القصيدة كاننا نرى تلك المعركة ونشاهد الفظائع بأم عيننا ويتبين لنا الشاعر حزينا لما جرى فيقول :

ذاد عن مقلتي لذيـذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام
لهف نفسي عليك يا قبــة الاسلام ، لهفا يطول منه غرامي
بينما اهلهـا باحسن حـال اذ رماهم عبيـدهم باصطلام

الى ان يقول :

وطئت بالهوان والذل قسرا بعد طول التبجيل والاعظام

واذا هجا الشاعر ، جاء هجاء ناقمـا ومثال ذلــك هجاؤه للبحتري ، وكان يحسده لحظوته عند الملوك ، وينقم عليه لانه عاب شعره ، وينفر منه لان لحيته طويلة :

البحتري ذنوب الوجه نعرفـه وهل رأينا ذنوب الوجه ذا ادب
لهفي على الف موسى في طويلته اذا ادعى انه من سادة العـرب
الحظ أعمى ولولا ذاك لم نـره للبحتري بلا عقل ولا سبب

وقد قال ان الروم بمكنهم اجادة الشعر كاجادة العرب له ، ويعيب كل من يعيب شعرهم ، ويخاطبه بمنكر المجد :

كم عائب كـل شيء وكل مـا فيـه عيب
قد تحسن الروم شعرا ما احسنته العريب
يا منكر المجـد فيهم اليس منهم صهيب

ومن ثم اختلف ابن الرومي عن شعراء العرب الذين كانوا يعدون الشعر لمحا خاطفا للأشياء ، واختلف عن ابي تمام الذي لم يخل شعره من ايجاز وعسر لحرصه علــى اشراك سامعيه او قارئيه في معالجة المعنى الصعب العميق، ومكابدة العنــاء في استيضاحه ، فقد كان ابو تمـــام ارستقراطيا في مخالطة العظام وفي شعره ، وظل ابــن الرومي في حياته وشعره رجل الشعب وابن الحياة . ولئن اتخذا كلاهما العقل عمدة للشعر يطبعانه بطابعه ، فقد كان يقصده ابو تمام في ذاته ، وكان ابن الرومي يستخدمــه كأداة لتحليل احساسه بالحياة والجمال . ومن هنا نرى ان الشعر كان عند ابن الرومي كلام العقل ، ولكنه لا يتبع فيـه سنة أبي تمام ، فكان بين الرجلين بون شاسع .

وعلى الاجمال ، ان هذه الشاعرية مزيج من طبيعة شعرية خصبة ، فذة ، بعيدة من وراثتها عن العرق العربي ، وثقافة ملائمة رحبة . وقد ساهم في صوغها وتوجيهها ، حياة الشاعر المتألمة في بيئة معاكسة ، وعبادته للحيــاة والجمال ، وغرابة أطواره ، واختلال الاتزان في أعصابــه وتفكيره وخياله واحساسه ، وهيأها كل ذلك للشذوذ ، الا ان للشذوذ احيانا يدا قديرة في تكوين العبقريات .

سيليـا جردي

اغنية الخريف

✳

مهداة الى التي تحب الخريف

●

لكمال فوزي

●

دمشق

✳

في صدى الارغن أنّات وبحه
وصريف
ويد ترسم في الجدول لوحه
« الخريف »

والمدى ألوان وسواس وحيره
في العيون
وارتعاشات شراع في بحيره
من شجون

والعشيّات نواقيس كآبه
في القلوب
وارتماء الفجر تطواف ضبابه
وشحوب

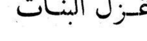
لم تعد تستعذب الغابات رعشه
من جمال
بعد ان سربلت الاطياب وحشه
والظلال

وسعى الطائر كي يجمع "مو'نه"
للشتاء
وبكى الغيم على الدنيا الحزينه
والسماء

انمل صفر تعري كل روعه
وحياه
وانا قلبي تحنان" ودمعه
وصلاه

في صدى الارغن أنات وبحه
وصريف
ويد ترسم في الجدول لوحه
« الخريف »

قصة سورية



غزل البنات

بقلم فاضل السباعي



قد حاول جاهدا ان يكبح شطط خياله ، ويكف عن النظر عبر النافذة الى هناك ، عله ان يعي شيئا مما يقول الاستاذ ... ولكن محاولاته كلها ذهبت ادراج الرياح ؛ فما ان يمسك بتلابيب الانتباه حتى يفلت من بين يديه ، فيوغل — من جديد — في متاهات الخيال . اجل . فقد كانت كفه المتعرقة تضم في جيبه « فرنكا » ابيض لماعا !

لقد طالما طلب — في الايام الاخيرة — من امه ان تعطيه فرنكا كما يعطى زملاءه في المدرسة الفرنكات من امهاتهم . لو تعطيه مرة واحدة ، مرة واحدة فقط ، ليشتري به « غزل البنات » من عربة « ابو دياب » التي تقف كل يوم في منصرف التلاميذ امام باب المدرسة . ولكن امه ما كانت تملك ان تحقق له هذا المطلب ، فتروح تبين له في هذه « الاكلة » من مضار ؛ فهي من السكر الرخيص المصبوغ بصبغة حمراء تضر بالمعدة . وكان — احيانا — يتكلف الاقتناع عندما يدرك ان لا فائدة ترجى من الالحاح ، فهو يعرف جيدا ما اصبح عليه ابوه من اعسار ورقة حال ، بينما يخونه — في معظم الاحايين — الصبر على فقر ابيه ، فيلح على امه في طلب الفرنك مدعما الحاحه بالبكاء ، الى ان يسمعه ابوه فيصبح به منذرا متوعدا ، فيكف عن البكاء لحظات خشية من بضع لطمات تلهب له خديه ... ولكنه عندما يتصور عربة « ابو دياب » وفيها القدر النحاسية الكبيرة تتطاير الى جوانبها خيوط رقيقة واهية من السكر اللذيذ كخيوط العنكبوت حمراء في لون الشفق تذوب ذوبانا تحت الاضراس ، تؤازر كل ذلك نداءات شاعرية مغرية ينثرها ابو دياب كالدر من فمه ؛ فانه يفقد قدرته على احتمال ضنك ابيه ، ولا يملك نفسه عن الصياح والعويل ، فلا يكون اذ ذاك بد من ان تداعب كف ابيه خديه وهو يقول : « يا ابن الكلب ... من اين لنا الفرنك الفائض ، ونحن نكاد لا نشبع الخبز ؟ ! » .

الخبز الخبز ... تلك الصرخة التي لا يفتأ ابوه يرددها في مسمعيه . انه دائما يشكو من ان ما معه من نقود لن يكفي ثمنا للخبز في الايام العجاف المقبلات ، بعد ان سرحه رب العمل وريثما يحصل على عمل جديد . ولكن ، ما حاجته هو الى الخبز .. هذا الاسمر الذي يغص في اكله كلما تصور عربة « غزل البنات » واقفة في مواجهة باب المدرسة وامامها ابو دياب ينادي باغراء : « غزلت يا ولد غزلت ... » او يصيح : « قرب وجرب يا ولد ... بفرنك السوري قرب ... » ؟ ! اليس اجدى عليه وانفع لبدنه ، ان يوفر على ابيه الرغيف الذي سيصيبه في احدى وجبات الطعام ، ويدفع اليه بثمنه ليشتري به « غزلة » من عربة ابو دياب ، فيبل بها جوارحه وينقع صداه ؟ !

ان امه لا تقتنع برأيه هذا ؛ وهي تصر على ان الرغيف يقيم الاود في حين ان غزل البنات يذوب في المعدة كما يذوب الثلج في الماء الساخن فلا يشغل منها اي خير ... وهذا ما يغيظه في امه ؛ انها لا تدرك ان لذة غزل البنات انما هي في هذا « الذوبان » تحت الاضراس ؛ أيكون خير منه اذن لوكه لقمة الخبز الاسمر وغصصه فيه ؟!...

وانه ليس يذكر —على التحقيق— متى اقبل ابو دياب اول مرة ليستقر بعربته السحرية امام باب المدرسة ساعة الانصراف . ولكنه يذكر جيدا ان ذلك كان بعيد ان تبطل ابوه عن العمل وما عاد يبارح البيت الا في بعض ساعات من النهار ، بدليل انه اتى امه — في اول عهده بعربة ابو دياب — يسألها فرنكا ليعرف فقط مذاق هذه « الاكلة » العجيبة التي تصنعها قدر في عربة من تحتها نار ؛ ولكن امه ردته — يومها — في رفق ، قائلة بان اباه لا يملك عملا وهو يدور منذ ايام .

لعنة الله على اصحاب المعمل . لماذا سرحوا اباه ؟ . لقد كان يعطيه — اذ كان يعمل — فرنكا كل صباح، فيشتري به كعكة بالسمسم ، او قرصا بالعجوة ، او غير ذلك من اكلات يراها الآن ممجوجة مما تحويه « بسطة » الحاج احمد آذن المدرسة ... فلما اقبل ابو دياب بعربته وغزلاته ونداءاته الشاعرية ، كان ابوه قد غدا بلا عمل ! .

لماذا لم يسرح اب غير ابيه ؟ ان في المدرسة لكثيرا من التلاميذ ، كل منهم يحمل — لا شك — في جيبه فرنكا كل صباح . بل ان منهم من يعمر جيوبه عديد من الفرنكات ؛ وهذا نزار ، وفكرت ، ورياض ، ووليد وعدنان ، وعادل ، وسمير ... يتشرى كل منهم من عند الحاج احمد اكثر من

مرة في اليوم الواحد ، وما زالوا كـذلك حتى اليوم . ان آباءهم – بالتأكيد – لم يسرحوا من عملهم .

على انه لا ينكر ان في زملائه من هم على شاكلته في الفقر والادقاع . لطالما وقف ، في الفرصة ، امام بسطة الحاج احمد يتفرج على ما ضمت من مأكولات شهية ، والى جواره صحابه التعساء المحرومون اولئك ، مصطفى ، وحمدو ، وعبد الخالق ، وعلي ... يتمنون لو ادار احمد ظهره فاصبح امر المأكولات منوطا بهم ، اذن لما ابقوا منها ذرة توحد الله ، ولكن ، اين لهم ان يفارقها الحـاج احمـد وهو فوقها كالديدبان ؟ !

ولقد تحلق – وصحابه التعساء اولئك – عربة غزل البنات عندما راوها لاول مرة عقب انصرافهم في زقـاق المدرسة . وشاهدوا من صنيع صاحبها ما بهر ابصارهم : كان يضع السكر الاحمر في اناء صغير في مؤخرة العربة ، فاذا بالسكر يتحول بقدرة قادر الى خيوط عنكبوتية تتطاير من فوهة في اسفل وعاء نحاسي كبير على شكل قدر ومن دونها نار موقدة تئز ، لتعلق الخيوط في جوانبه . وكان الرجل يتأنى ريثما يتجمع قدر معين من تلك الخيوط ، حيث يمد اليها يدا خفيفة ماهرة ، وينتزعها من جوانب القدر ، ويطويها بصنعة ، وهو يصيح بنغم حنون : « الغزلة بفرنك ... قرب ودوق يا ولد » ، ويلقي بها الى مثيلاتها في مثابة زجاجية في واجهة العربة .

ثم انه وصحابه التعساء ، جعلوا يتطلعون بلهفـة واشتهاء الى الصبية السعداء الذين ما خلت جيوبهم يوما من الفرنكات ، وقد راح كل منهم يدفع فرنكا لصاحب العربة ليتناول منه غزلة ، في مثل الحرير ، حمراء ، منقوشة ، يلهب منظرها الفؤاد ، فيقبض بكفه على وسطها الضيـق بينما تضيق قبضته الصغيرة دون سائرها ، ثم يدني اعلى طرفيها من فمه ، ويروح يقضم منه قضمات متتابعات حتى يأتي عليها جميعا .

وقد حرك هذا المنظر – يومها – اشجانه . وتمنى لو تعثر – بمعجزة – كفه الصفر على فرنك في قعر جيب من جيوبه الخاوية على ان يحرم من الفرنكات طوال شهر ، ليشتري به غزلة من تلك التي تضج في ايدي هؤلاء السعداء المنعمين !.. ترى ما طعم هذه البدعة التي حملها اليـوم المدعو ابو دياب ، حسبما قرأ على مقدمة العربـة بخط ركيك : « غزل البنات عال العال صنع ابو دياب الشهير » !

وطال به التطلع ، والحسرة تفري جوانحه ، الى الايدي المترفة ترتفع بالغزلات الى الافواه السعيدة وتهبط فارغة ، كما طال بصحابه التعساء التطلع والتحسر والتأسي ... وابو دياب في ذلك ينادي بشجي صوته على بضاعتـه الرائجة ...

وهو في نظرته الحسيرة سمع صرخة ندت عـن صبي : لقد نفد اصطبار حمدو – احد اصحابه التعساء – فما كان منه الا ان امتدت يده برشاقة الى غزلة سمـير لتعود وقد اقتطعت منها جزءا غير يسير دسه في الحـال بين اضراسه وترك الصبي يصرخ مستجيرا ولا من مجير .

وقد حسد في سره حمدو ، الذي استطاع بجرأته المعهودة ان لا يحرم نفسه على فقره وافلاسه من تذوق طعم غزل البنات ، وتمنى لو أوتي هو قدرا من الجرأة مماثـلا ليختطف من غزلة في يد احد هؤلاء السعداء الذين ما انفكوا يتواردون امامه الى ابو دياب يدفعون اليه بالفرنكـات ويعودون بغزلات شهية يذهب مرآها باللب ويفقد الصواب. على ان الحرمان والاشتهاء ما لبثا ان امداه على حين غرة بمعين دافق من الجرأة جعله يمد يده – ايضا – في كثير من الهدوء الى غزلة نزار ، وكان قد تناولها في التو من ابو دياب ، ليجتث منها نصفها ويدسه دفعة واحدة في فمه.. وقد ثار لحظتها نزار، وسب له اباه، ونعته بانه ازعر نشال ، وكال له بضع رفسات على فخذيه جزاء على سرقته ، عـلى حين كان هو غير آبه لكل ذلك ، منصرفا بحواسه جميعـا للتمتع بمذاق الاكلة الجديدة الواردة على زقاق المدرسة !!

ولقد شاعت فيما بعد سرقة الغزلات بين التلاميذ امام عربة ابو دياب . وما كان على التلميذ الحريص الا ان يطوي غزلته المشتراة ، حال تناولها من ابو دياب ، ويضغطها حتى تتسع لها قبضته ، فيأمن لنفسه اذ ذاك ان يأكلها بعيدا عن الصبية في يسر وهناءة ، ولكن بعد ان يفقدها الطي والضغط الكثير من رونقها وبهائها .

وكان هو احد الذين كانوا يقومون بحملات الهجوم والخطف . فله كل يوم رصيد كبير من حطام غزلات تلاميذ طيبين غير حريصين ، يمسكون الغزلة من وسطها ويدعون طرفيها مسترسلين من دون القبضة ... وقد طالما تمنى لو تاب الله عليه فأقلع عن الخطف والنشل . ولكن ، من اين له ذلك ، وعيناه تقعان كل يوم على عديد من الغزلات ، في ايدي صبية مغفلين ، تدعوه بالحاح الى ان يقتطف منها ما استرسل من دون القبضة ؟ وما كان بوسعه مقاومة هذا الاغراء ، وجيوبه تتصف بالخواء ، تلك الصفة البغيضة التي جهد في القضاء عليها فما كان يطلع في كل مرة بسـوى بضع لطمات ظالمات من ابيه تداعب له خديه مقرونة بعدد من الشتائم ، بينما تقول له امه بان اباه لا يملك هذه الايام عمـلا !...

على ان الله فرجها اليوم ، اجل اليوم ... فقد انهت اليه امه هذه الظهيرة ان اباه قد لقي بعد طويل الجهد عملا ، وانه لذلك لن يعود اليوم للغداء ، وزادت بان نهضت الـى الخزانة ودفعت اليه بفرنك طال رقاده في ثنايا بقجة الثياب، مع بضع قطع نقدية صغيرة اخرى ، دفعا لايام سود كان يخشى اقبالها ، ثم قبلته من خده الايسر ، وقالت بان له منذ الان فرنكا كل صباح ...

الحمد لله . ان عهد الحرمان قد ولى . سيشتري بالفرنك بعيد لحظات غزلة شهية من ابو دياب . ولسوف يطلق حياة الخطف والنشل الى الابد . لقد كان – حتى يوم

امس – في عداد التعساء المحرومين ، وقت ان كان جيبه نظيفا من العملة ، اما اليوم ففي جيبه فرنك ، فليضع نفسه في مصاف السعداء تجوّزاً فليس في ذلك من بأس لهم او ضير . انهم لا شك – الان – يترقبون بفارغ الصبر ان يقرع جرس الدرس الاخير ، لينطلقوا من صفوفهم الى عربة ابو دياب ، يدفعون اليه بما معهم من فرنكات . وانه ايضا يترقب مثلهم الجرس ، لا ليختطف لهم ما يشترون ، بل ليشتري بفرنكه الذي في جيبه ، والذي تضمه اصابعه المتعرقة بعناية .

ولكن ، ما بال هذا الدرس قد طال ، وعهده بالدرس خمسون دقيقة لا تزيد ! وما بال الاستاذ هذه المرة يتكلم ما لا قبل له بفهمه ! لقد حاول جاهدا ان يستجمع انتباهه ليعي ما يقوله الاستاذ ، ولكن محاولاته ذهبت كلها بددا ..

وتحسست اصابع كفه من جديد الفرنك الابيض اللماع .

انه ، في جلسته هذه ، يترصد مقدم عربة غزل البنات من اول الزقاق يدفعها ابو دياب بقوة وعزم ، لتستقر هنا تحت هذه النافذة ، ان من عادة ابو دياب ان يقبل قبيل قرع الجرس ويستهل عمله باطلاق نداء اثر نداء . ولكنه اليوم فيما يبدو تأخر ...

اجل . اجل . لقد اقبل – الان – ابو دياب ... هوذا في اول الزقاق ، انه يقترب بسرعة ، فقد تأخر هذا العصر عن موعده المعتاد ... لقد استقر تحت النافذة ، هنا ... انه يسمع ازيز النار ، لا شك انه بدأ يقطف من القدر الغزلة تلو الغزلة... انه الان ينادي بشجي صوته: « غزلت يا ولد غزلت ... قرب وجرب يا ولد ... بفرنك السوري قرب » ... ما اعذب هذه النداءات ! انه ما فطن من قبل لما فيها من عذوبة ! كان لا يرى فيها سوى نداءات عادية من قبيل ما يسمع من الباعة في كل مكان . اما اليوم فيرى فيها عالما جديدا من العذوبة والسحر والطلاوة ... انه يسمعها باذن المتلهف على الشراء لا باذن المتأهب للخطف والاغتصاب.

* * *

وترددت اصداء الرنين في ارجاء المدرسة معلنة انقضاء يوم دراسي. فانطلق من الصف كانه النمر الحبيس، وراح يقفز الدرج قفزا . وبذل قصاراه حتى استطاع شق سبيله في الزحمة اللاجبة عند الباب بين تلاميذ تواردوا من صفوف الطابق الاسفل ، والضجيج يتصاعد منهم حتى ليصل الى عنان السماء . ولما اصبح على قيد خطوات من عربة ابو دياب ، صاح في نشوة واختيال :

– هات غزلة لهنا ، يا عمي ابو دياب !..

ولكن عمه ابو دياب لم يعره ادنى التفات . فقد كان مشغولا عنه باولئك الذين يتدافعون حوله من كل جانب ويتصايحون ، يدفعون اليه بما معهم من فرنكات ، ويتلقون منه نصيبهم من غزل البنات ، يتناولها من المثابة الزجاجية في واجهة العربة ، او يقتطفها طازجة من جوانب القدر النحاسية الكبيرة .

وتألم من هذا الاهمال يبديه نحوه ابو دياب . لعله ما زال يظنه ذلك النشال الذي كان ! انه لا يلومه في هذا الظن لانه لم يعرف بعد انه قد انشق – منذ اليوم – عن تلك العصابة واصبح زبونا كهؤلاء الذين يحفون بعربته وفي يد كل منهم فرنك لماع .

وحانت منه التفاتة ، فوقع نظره على حمدو ، وعبد الخالق ، ومصطفى ، وعلي ... يترصدون ان يخرج من الزحمة حول العربة امثال وليد ، ونزار ، وسمير ... لينتشوا من غزلاتهم ما يتبلغون به ويسدون بعض ظمأهم الى هذه الاكلة . انه يحمد الله على انه لم يعد من قبيلهم . وانه – ايضا – ليرثي لحالهم على الحرمان الذي يتمرغون فيه ، ويتمنى لو توسر حال آبائهم فيكفوهم مؤونة النتش والخطف ... وانه الان لعلى استعداد لان يمنح عن طيب خاطر جزءا من غزلته لاي منهم يطلب ذلك .

وجعل يدافع الزحام بمنكب ، مادا ذراعه الاخرى بالفرنك الى ابو دياب ، يهيب به في الضوضاء العارمة ان يناوله غزلة فقد طال وقوفه وانتظاره . وعجب ابو دياب اذ بصر به بين جمهور المشترين ، وظن به جراة جديدة تحسر عن وجهها النقاب فتدفعه الى ان يندس بين الراغبين بالشراء من التلاميذ ، لينشل غزلاتهم ، وهو الذي يعرفه من قبل خطافا لا يشق له غبار . وعهده بالخطافين يترصدون –

بعيدين عن العربة ـ ان يقذف اليهم الزحام بين الفينة والاخرى بضحية جديدة ينقضوا عليها بلا رحمة او هوادة. ولطالما حث ابو دياب التلاميذ على اخفاء الغزلة عن الانظار او ان يلتهموها على مقربة منه ليبسط عليهم حمايته ويذب عنهم كيد المغتصبين . على ان ابو دياب ما لبث ان لمح التماع الفرنك في نهاية الذراع الممدودة اليه ، ثم سمع صوتا يقول :

ـ غزلة لهنا ، يا عمي ابو دياب ...

فانفرجت شفتا ابو دياب عن بسمة كشفت عن اسنانه الصفراء ، وقال يمازحه :

ـ منذ متى ، يا ملعون ؟!

فاجاب بحماسة وتوكيد :

ـ منذ اليوم ، يا عمي ابو دياب .

قال ذلك واحساس من الرضا والانشراح يخامر فؤاده . ثم دفع بالفرنك الى ابو دياب الذي راح يقطف له من القدر غزلة طازجة جعلها تكبر شقيقاتها كبرا ملحوظا هلل له الصبية وما ملكوا انفسهم عن ابداء الاعجاب بها ، وذلك اعزازا من ابو دياب للمشتري الجديد . ثم طواها بمهارة ، ودفعها اليه ، وهو يقول قولته التقليدية في حين انصرف الى قطف غزلة جديدة :

ـ كلها هاهنا ، والا خطفوها منك !..

فابتسم هذا ابتسامة غير المصدق على هذا الكلام ... وأولى ظهره للعربة ، ومضى . افيعقل ان تخطف منه غزلته وهو ، حتى الامس القريب ، كان في طليعة الخطافين ؟! . ثم انه موطد العزم على ان يقتطع من غزلته لقيمات يوزعها على صحابه اولئك التعساء ان هم طلبوا منه ذلك . وسوف يتبقى له منها ـ على اية حال ـ قدر يفوق حصيلة ما كان يخطفه في اليوم الواحد في ماضي ايامه التعيسة ، لا سيما وقد حاباه ابو دياب اذ ترك الخيوط السكرية تتراكم اكثر في جوانب القدر طبقات على طبقات ، مما اثار حسد الصبية حوله وجعلهم يتصايحون ويهللون عجبا ودهشا .

وبصر به صحابه ـ في انفلاته من الزحمة ـ وغزلة كبيرة تتدلى من قبضته ... فتهافتوا عليه مبهورين ، وقد اتسعت في وجوههم الاحداق وفغرت الافواه ... أيكون صاحبهم هذا قد استطاع ان يشتري غزلة ؟...

ـ من أين اتيت بالفرنك ؟ لعلك تسرقه من احدهم !..

فنظر الى مصطفى صاحب الصوت ، وقال :

ـ بل اعطتنيه امي . لقد عاد ابي اليوم الى العمل .. وسوف يعطيني فرنكا كل صباح

فانبعث عن يساره صوت ، هو صوت علي الذي ما كتم اعجابه بكبر الغزلة ، فقال :

ـ ولكن هذه الغزلة تساوي اكثر من فرنك ... تساوي فرنكا ونصف ، او فرنكين ..

ـ لقد راعاني ابو دياب لانني مشتر جديد ..

قال ذلك وهو ملتفت صوبه الى اليسار .. وما احس الا وضربة تنهال على قبضته ، فارتد ببصره في الحال الى غزلته ، فاذا طرفها الايمن قد اجتث ، واذا حمدو يعدو بغنيمته الى وراء ... فنظر اليه حسيرا : لقد كان على استعداد لان يتخلى له عن هذا الجزء المخطوف لو استعطاه ... واذا هو يحس بضربة ثانية على قبضته ، فاذا علي يختطف الطرف الايسر من الغزلة وينطلق في عدوه الى امام ... وما تبقى من الغزلة سوى ما كان في داخل قبضته ، ففتح كفه لتبدو فوقها كتلة صغيرة مضغوطة من غزل البنات ... اهذا كل ما تبقى من تلك الغزلة الكبيرة التي اشتراها اللحظة من ابو دياب ؟... واذا يد نشطة خفيفة تمتد الى هذا المتبقي وتولي الادبار !!..

لم يصدق عينيه !..

لقد كانت بيده ـ اللحظة ـ غزلة مشتهاة .. فاذا هي في غمضة عين اشلاء مبعثرة في ايدي صحابه الخطافين .. لقد عاش لهذه اللحظة الساعات الطوال ، يتفكر في شراء الغزلة ، والاختيال بها بين اصحابه ، ومن هم اصحابه غير هؤلاء ؟ فاذا هم يشنون عليه هجوما خاطفا لم يبق له من الغزلة شيئا ... اما كان يجدر بهم ان يستأنوا قليلا ويتريثوا ، فانه لا ريب معطيهم منها لقيمات يتبلغون بها ومبق لنفسه لقيمات .. هذا ما وطن النفس عليه...ولكن العادة قهرتهم فما تريثوا ولا استأنوا ، بل خطفوا الغزلة منه كما تعودوا ان يختطفوا غزلات الموسرين .. بل ان اولئك ربما تبقى لاحدهم بعض من غزلة يتبلغ به ، اما هو فلم يتبق له حتى هذا البعض ، بل طارت الغزلة جميعا من يده ... ليذكروا على الاقل انه كان يوما في عدادهم ، فيغمضوا العين منه ... وانه كان في سبيله الى ان يشركهم في اكلها ... لقد وطن النفس على ذلك والله ...

وتلقفت اذناه صوتا :

ـ الم اقل لك ذلك ؟

كان صوت ابو دياب وقد لفت الصبية حوله انتباهه الى ما كان من هجوم صاعق لم يبق ولم يذر . اجل . لقد نصحه ابو دياب بان ياكل الغزلة على مقربة من العربة . ولكنه سخر منه في سره واولاه ظهره . فقد كان يحمل منذ هنيهات « نفسية » خطاف .. اما الان فقد عاش «تجربة» المخطوف منه ، ولسوف يكون حريصا على غزلته في مقبل المرات : يطويها في قبضته ، او يأكلها في ظل حمى ابو دياب . سيفعل ذلك في المرات القادمة .. سيفعل ذلك .

والقى بناظريه الى صحابه اولئك ، فاذا هم في غفلة عنه ، على مقربة من العربة يترصدون ان تقذف اليهم بصيد ... ومسح عبرة سالت على خده ، وهو يردد بينه وبين نفسه :

ـ في المرة القادمة ... ساطويها في قبضتي ، او آكلها في ظل حمى ابو دياب ...

حلب **فاضل السباعي**

بين التناسي والنسيان

✱

قفي واسمعي كل ما في الفؤاد — من الوجد والجنة الباقيه
قفي واسمعي : انت اقسى الانام — دفعت الغرام الى الهاويه
اكاد أبوح فيكبو البيان — ويرجف كالزهرة الذاويه
قفي وانظري ليس عندي لسان — يعاتب كالمقلة الباكيه
قفي وانظري نحو عين الحبيب — ففي دمعها رعشة شاكيه

✱

سأنساك رغم الجنون القديم — واضحك بالمهجة الداميه
سأنساك ، قولي : سينسى الكذوب — اسمع صدقا من الجانيه
اخالك اذ تلحدين الغرام — تبشين بالبسمة الراضيه

✱

حنانيك سيري ولا تسمعي — ولا تنظري الدمعة القانيه
اتفهم غربان هذا الفضاء — اغاريد بلبله الحانيه
فراشة قلبي طارت ولن — تحط على زهرة ثانيه

✱

رسالة حبي هنا .. ههنا — اراها فتصرخ أحزانيه
وتجتاحني موجة الذكريات — وتزأر في وحشتي العاويه
فيصحو الهوى من ردى الهاويه — ويدخل في مهجتي الناسيه
سأنساك ، لن ارهب الذكريات — واهوال أيامها القاسيه

✱

نسيتك ، من انت ؟ اني نسيت — الست عصارة أوهاميه
الست سرابا بدنيا الهوى — تراءى لعيني كالساقيه
الست من السحر انشودة — تلاشت بمسمع احلاميه

✱

سأرثي لحالي لاني عشقت — واني عبدتك يا جانيه
عجبت لقلبي ، يحب الخلود — فيركع في الطين للفانيه
وكم حلق القلب مثل النسور — ففيم يتمتم في الهاويه
دعيه يتمتم في وحشة — تعانقها ظلمة داجيه
ففي تمتمات الفؤاد الحزين — فضائح أسراره الخافيه

بغداد — **حارث طه الراوي**

شعراء خالدون : وليم كلن بريانت

بقلم هنري ودانا توماس — **ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة**

لقد اعتاد الدكتور بيتر بريانت الخوض في السياسة والشعر احيانا . وبريانت هذا طبيب ، صالح عالم ، من كمنكتن ، وهي بلدة تقع في قسم بيركشير من ولاية ماساجوسيتس . اشتغل ذات مرة في بوسطن حيث لقيه ولارد فلبس محرر مجلة The North American فاقترح عليه ارسال شيء من شعره للنظر فيه بعين الاختبار . وصادف في ذلك الوقت ان الدكتور بريانت كان يحمل قصيدة في جيبه ، نظمها نجله وليم كلن [١٧٩٤–١٨٧٨] وهو في السابعة عشرة ، بعنوان (ثانا توبس) .

فما كان من الدكتور بريانت ، الا ان صنع نسخة نظيفة من القصيدة ، وجلبها معه الى ادارة المجلة ، من غير ان يذيلها باسم المؤلف ، ولكن فلبس لم يكن حاضرا في الادارة . فما ان عاد حتى رأى القصيدة ، فلم يكد يصدق عينيه ، وهذا ما جعله ينطلق الى دار زميله رتشارد دانا ، كي يقرأ القصيدة له .

أصغى السيد دانا بكل ادب ، ثم تبسم متسائلا في كثير من الشك « فلبس ، لقد فرض عليك هذا الامر . فليس من احد في هذا الجانب من الاطلسي يسعه نظم مثل هذا الشعر . » فرد فلبس عليه قائلا : « ولكني اعرف الرجل الذي كتب القصيدة ! فهو الدكتور بيتر بريانت ، احد اصدقائي القدامى ، وهو الان يشتغل في بلدية الولاية . فقال دانا « احسب من الخير رؤيته » وفي هذه الاونة لبس معطفه و (غالوشه) وتوجه الى دار البلدية ، وحالما وصل سأل البواب ان يدله على الدكتور بريانت . وفي حديث مع القس المحترم روبرت ترسون ، قال دانا بهذا الشأن « نظرت اليه باهتمام بالغ ، فرايت امامي رجلا ذا شخصية تلفت الانظار ، ولكن النبوغ يعوزها . فقلت لنفسي هذا راس صالح ، غير اني لا اجد فيه (ثانا توبس) . »

* * *

لم يكن طابع العبقرية موجودا لدى الدكتور بيتر بريانت ولا لدى اسلاف وليم كلن الاقدمين . فمعظم هؤلاء كانوا عمالقة في القوة البدنية ، بدلا من الناحية العقلية . ومن ذلك ان جده الاكبر ، ايجا بود بريانت كان « ضخم الجثة والقوة بحيث يسعه ان يضع يديه على كتفي اي انسان اعتيادي ، ويحطمه ، طارحا اياه ارضا ، على الرغم من مقاومة مثل هذا الانسان . » اما الدكتور بيتر بريانت ، ففي قدرته « حمل برميل من نبيذ التفاح ، ووضعه في عربة . »

ثم ان اجداده من جهة والدته ، كانوا بدورهم ، على اعظم جانب من المتانة ، وشدة المراس ، سيان منهم الرجال أم النساء .

وبعد ولادة كلن بيومين (في الثالث من نوفمبر ١٧٩٤) نزلت والدته الى الطابق الاسفل لتخيط سترة لاحد اطفالها الاخرين . لم يرث كلن شيئا من قوة اسرته الجسمية . وبواسطة السيمياء السحرية حولت السماء حديد آل بريانت الى ذهب العبقرية الشعرية في شخص كلن . كان طفلا نحيف البنية ، ضعيفا ، مريضا . مما جعل والده يستنزف مهارته الطبية ليخلصه من مرض خطر تلو الاخر . وفي عمره المبكر بانت عليه علامات السل . فكان يتأثر من البرد عند ايسر تبدل في الطقس . واخيرا لجأ ابوه الى معالجة اساسية ليصلب الجسم الصغير الرقيق . ففي كل يوم خلال الصيف ، انشأ يغطس كلن في نبع بارد بالقرب من الدار ، « واستمر في هذه المعالجة ، من غير الالتفات الى صرخات مريضه واحتجاجاته ، ثم يمضي الصيف ويتبعه الخريف حتى يكاد ينتهي هذا الفصل ايضا ، فتشتد البرودة ويتجمد سطح الماء ، حتى يضطر الاب الى تكسيره . والرياضة هذه هي هي لا تتغير . »

ومع ضعف بدن (كلن) نما عقله نموا سريعا في غير اوانه ، يقول كلن في هذا الشأن « انني لم اكد ابلغ الشهر السادس عشر من عمري ، حتى تعلمت الابجدية » . دخل المدرسة وهو ابن اربع سنين . ومع انه احب دراساته وحاول الانتباه الى معلمه ، فان « وهن جسده » شغله في كثير من الاحيان . يقول كلن « ففي ذات مرة تيقظت (في الصيف) من غفوة ، فوجدت نفسي بين احضان المعلمة ، وهذا ما اغضبني ، اذ كنت لا ازال أعد طفلا . » ومن بواكير ايامه احب قراءة الشعر ونظمه . وفي كل مساء حين اداء صلواته ، كان يضيف اليها قوله « اللهم ، ارجوك ان تجعلني شاعرا » واول منظوماته هي كتابة (سفر ايوب) على وفق القوافي الثنائية . ومطلعها لا ينبيء بمستقبل عظيم ، كما هو شأن المقطوعات التافهة ، وهذا هو المطلع :

« كان اسمه ايوب ، تجرع كثيرا من الخطوب »
« وولد له ثلاثة ابناء ، وثلاث بنات ايضا »

نظر ابوه الى القصيدة فهز رأسه وقال « ستختزى يوما من هذه . » والواقع انه لم ينقض طويل وقت حتى تحقق كلن من صدق كلام والده . وجد في مكتبة ابيه ترجمة بوب للالياذة ، ومؤلفات سبنسر وملتن ومسرحيات

شكسبير . ثم كان ـ مجد الامجاد ـ اذ جلب ابوه ذات يوم مجلدا يضم اشعار وردزورث هنا كان الانسان الذي يتحدث الى اعماق القلب ، فشعره نما طبيعيا كما تنمو الازهار البرية في الغابة .

كانت هذه اللغة هي التي احسن كلن فهمها ، فشعر ، متاكدا من قدرته على استخدامها . ومن هنا فصاعدا ، عليه ان يصنع لامريكا ما صنعه وردزورث لانكلترا ، وهذا هو هدف حياته . اسمعه يقول « اللهم ، اتوسل اليك ، ان تجعلني شاعرا بسيطا للمناظر الامريكية . » جاء شعر وردزورث ، كانه هبوب « ريح على شعلة ملتهبة » بالنسبة الى مشاعره المشبوبة . لم يستغرق بريانت كثيرا من الزمن ، حتى تطور من ناظم لمقطوعات ساذجة الى شاعر ملهم ، هو شاعر (ثانا توبسس) .

✶ ✶ ✶

وفي خريف ١٨١٠ دخل كلية وليامس وهذه مؤسسة جديدة مناضلة ، ملاكها استاذ واحد ومعلمان ومعظم طلابها كانوا شبابا مثل بريانت ، لم يكن في قدرة آبائهم ارسالهم الى (يل) او (هارفارد) . ثم ان بريانت استاء سريعا من الكلية ، لامكانياتها القاصرة ووسائلها التربوية الناقصة ، وتضجر من « التلاميذ الصفر الوجوه ، الواهين القوى » ومقت ردهة المنام « لما فيها من حجرات قذرة ، رطبة ، باردة ، غير صحية » ثم حصل على « ابعاد شريف » فرجع ادراجه من « وليامس » الى كمنكتن ليعد لنفسه من اجل (يل) .

ولعدة اشهر درس بجد ونشاط ، الا انه علم بعدئذ بعدم استطاعة الدكتور بريانت لمد يد العون له كي يواصل دراسته . شعر كلن بخيبة امل مريرة ، فصمم على دراسة القانون ، كخير بديل عن الثقافة الجامعية ، وهذا ما جعله يتتلمذ على يد محام في ورتنكتون ، على مقربة من مدينته ، وبعد ثلاث سنين تسلم شهادة تنبيء عن كفايته في المرافعات العامة . فاستقر في (كرت بارنكتون) ليمارس عمله ، ولم يكن استقراره في تلك البلدة لكونها محلا ملائما للمحامين ، بل لكونها بقعة جميلة تسر الشعراء . وفي هذا الصدد يقول :

« في الثالث من اوكتوبر سافرت الى هناك . . . كانت الغابات في مجد الخريف . . . انا اتذكر جيدا جمال المروج الخضر الممتدة على سواحل النهر الجميل ، هو ساتونيك . . وقد اعجبت ايما اعجاب بالتناقض بين هذا المنظر اللطيف ، وبين تلك التلال المنحدرة الوعرة المطلة على مثل هذا المنظر ، في غاباتها المختلفة الالوان . لم ار من قبل شيئا من الجزء الجنوبي من بركشير ، وهذا ماجعلني اهنيء نفسي الان لاني اصبحت واحدا من سكان هذه المنطقة الجميلة » .

ومع انه حصل على معيشة رغيدة من حرفة المحاماة ، فقد فضل نظم الاشعار عليها . كتب الى احد اصدقائه قائلا « تسألني عما اذا كنت مسرورا من حرفتي . اواه يا سيدي فان الهة الشعر (ميوز) هي حبيبتي الاولى ، واخشى ان ما تبقى من تلك العاطفة سيضطرني الى ان انظر نظرة باردة الى جمال القانون القاسي . » وما كرهه بخاصة حول ما له صلة بالقانون هو « انه قلما يتفق مع العدالة . »

ومقته للقانون هو الذي قاده لكتابة اجمل قصيدة من قصائده . وقبل استقراره في (كريت بارنكتون) ببعض الوقت ، سار يوما في شهر ديسمبر في الطريق التي تفصل بين قريته والقرية المجاورة في (بلنفيلد) فنصحه اصدقاؤه بالشروع في مهنته في تلك البقعة . شعر « بوحدته وعزلته » بفداحة ، فمستقبله لم يكن بينا ، وحرفته لا تستساغ ، ونبوغه محاط بالخيبة المثبطة . وبهذا الشأن يقول بارك كودون كاتب سيرته .

« لقد غربت الشمس تاركة خلفها روائع البحار من الزبرجد والياقوت لتغرق سماء (نيو انكلند) وبينا كان ينظر الى البهاء الوردي ، لحظ طائرا يحلق تجاه الافق الباهي . رقب الجوال الوحيد ، الى ان ضاع في الافق البعيد ، ثم سأل نفسه من اي مكان جاء والى اين هو ذاهب ؟ وذلك حين ذهب الى البيت ، لان ذهنه لم يزل مفعما بما رأى وشعر . » وهناك احس بقوة جديدة ، وشجاعة محدثة ، فجلس الى المنضدة وكتب القصيدة « الى طائر مائي »

« الى اين تتخذ طريقك الفريد ، وسط الندى المتساقط ؟

بينا تتوهج السماء بآخر خطوات النهار ، بعيدا خلال اعماقها الوردية

وانت تقتفي آثار دربك الوحيد

وعبثا تفعل عين الصياد لترى موضعك في طيرانك البعيد ، لكي تسيء اليك

لان الظلام يلفك في السماء القرمزية ، فيطفو شخصك وحيدا .

هناك قوة تعنى بك فتهديك سبيلك ازاء الساحل غير المطروق

وفي الصحراء ، والهواء غير المحدود ، انك تتجول وحيدا ، ولكنك لست ضائعا

فالذي يقودك عبر التخوم ، والسماء اللانهائية ، في جولتك المنفردة

سيقود خطاي من غير شطط ، في طريقي الوحيد الذي ينبغي لي اجتيازه »

يتغير المنظر . الوقت ـ بعد سبع سنين . المكان ـ انكلترا . الاشخاص ـ شابان ؛ احدهما ، هارتلي كوليردج ، ابن الشاعر العظيم . والاخر ، ماتيو ارنولد ، الذي قدر له ان يصبح هو نفسه شاعرا عظيما . انطلق هارتلي كوليردج الى بيت ارنولد ، وحالما دخل قال متحمسا « هل لك ان تسمع احسن قصيدة قصيرة في اللغة الانكليزية ؟ » فاجابه ماتيو « قسما بالايمان اني ابغي ذلك ، يا هارتلي . »

يقرأ هارتلي القصيدة الى طائر مائي ، ثم يرفع عينيه المشبوبتين من القرطاس فيقول « حسنا ، ما رايك فيها ؟ » فيرد ماتيو بقوله ، لست متأكدا ، ولكنك يا هارتلي على حق . هل هذه قصيدة ابيك ؟ » فيجيبه هارتلي « اواه ، كلا . فأبي لم يكتب شيئا مثل هذه . »

✶ ✶ ✶

ومع قلة قصائد بريانت ، فهي تمتاز بروعتها ، ورفعتها . وسبب ذلك مشاغله الكثيرة في المحاماة ، مما حال بين معظم وقته وبين التلذذ بمغريات ميوز (الهة الشعر) . وفي اوج اعماله ، شرفه مواطنوه ـ او بالحري اوسقوا حمله ـ بوظيفة كاتب المدينة . والى الان يمكن رؤية سجلاته في قاعة البلدية بمدينة كريت بارنكتون .

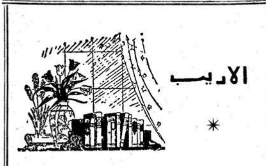
واحد هذه السجلات له اهمية خاصة ، لانه يذكر زواجه (بفاني فيرتشايلد) و « هي اجمل عذارى الريف » في كريت بارنكتون . لقيها بريانت في « حفل » قروي ، ومن اول نظرة وقع في شراك حبها ، اسمعها يصفها « شعر اشقر غاية في الجمال ، وجسم ناعم صغير ، وعينان شهلاوان ، وقدمان خفيفتان لطيفتان ، ويدان رقيقتان شفافتـــان ، وتعبير وجهها العذب الصريح المعجب . »

وفي مناسبة خطوبتهما ، كتب بريانت صلاة لتكون لهما بمثابة الدليل للصفاء المحبوب في حياتهما الزوجية ، جاء فيها « لعل الله القدير يتعطف علينا فيرعى بعين عنايته سعادتنا في هذه الدنيا وفي الاخرة . لعلنا نستمر في اخلاصنا حيال بعضنا البعض ، لا نفكر في شيء مثل تفكيرنا بوعودنا المتقابلة فيما يخص صلتنا وعلاقتنا بالحق .. لعلنا نحيا حياة سعيدة نزيهة ، من غير تهوين من شأن محبتنــا الى أن يحين اجلنا . وبذا نكون قد ابعدنا حياتنا من الحسد وسوء التفاهم وعدم الرضا ـ لتكون مفعمة بالعطف والشفقة واللطف واحتمال المشقات ، في ثقة متبادلة واهتمــام بسعادة كل منا . ولما كنا غير جديرين بهذه الاشياء المعظيمة، فلعل الله يساعدنا لتثبيت وتعضيد كل هـــذه العواطف الشهمة والشيم الكريمة ، ليس تجاه بعضنا البعض حسب، بل تجاه جيراننا ، والجنس الانســـاني ، ومخلوقات الله كافة . »

وعقب حادثة زواجه بمدة قصيرة جرت له حادثة اخرى ذات اهمية كبيرة . ومؤدى ذلك ان بريانت تسلم دعوة من جمعية (في بيتا كابا) في هارفارد لينشد شيئاً من الشعر في افتتاحها . وهذا الامر بذاتـــه يعد تمييزا لشاعر شاب في سنه . وبالاضافة الى شرف هذه الدعوة فقد اتيح له بواسطتها زيارة بوسطن . وهذه اول سفرة في حياته ، ولو انه ولد على بعد مائة ميل من تلك المدينة . وهناك تعرف على كثير من الكتاب وقادة الفكر من اضراب جون كونزي آدمز ، ادور ايفيرت ، وليم ايليري جاننغ ، ولارد ، ورتشارد هنري دانا . هؤلاء الرجال الذين كانوا « بواكير الازهار المتفتحة » في نيوانكلند ، اثروا تأثيرا عميقا في بريانت . فقابلهم الاخير بتأثير لا يقل عمقا عما فعلوه .

وممن سر بصورة خاصة بالمحامي الشاعر هو رتشارد هنري دانا، مساعد محرر The North American كان هذان الرجلان غير متجانسين في اتجاههما كانهما قطبا المغناطيس فدانا كان سليل الحاكم ددلي ، وهو خريج كلية (هارفارد) وعضو النحلة المعروفة ب (براهمة نيوانكلند) هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان بريانت كان غصن اسرة مغمورة ، لم يتخرج من اي كلية قط ، وانما دأب على تحصيل اشتــات الثقافة على ايدي البوستونيين المثقفين . ثم ان دانا كــان كالفينيا في الدين ، وملكيا في السياسة ، بينا اتخذ بريانت دين الموحدين وسياسة الديموقراطية . ولكن عاطفة واحدة جمعت بينهما ولم تكن هذه العاطفة غير اعجابهما المشترك بشعر وردزورث. ومن هنا شعر بريانتودانا مع وردزورث بان في دخيلة العالم حقيقة لا تبدو واضحة امام الحــواس الاعتيادية ، وانما تظهر لمن وهب ادراكا باطنيا ، وعندهــا « تتزين الارض بما فيهـــا من مناظر بكساء الضيـــاء السماوي . »

وهذه العقيدة الصوفية «عقيدةالضياء وراء الحجاب»



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

✶

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✶

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — Direc : 23819
المنزل ٢٥١٣٩ — Dle. : 25139 Tél.

✶

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

كانت الرابطة الفكرية التي وحدت بين الشابين في صداقة دامت طوال الحياة . ولما كان دانا اكبر سنا من بريانت واكثر منه اطلاعا على شؤون العالم ، فانه لم يعد صديقه الحميم حسب ، بل مستشاره الادبي ايضا . فالحعليه بنشر مجلد من شعره ، ولما نشر الكتاب واستقبل استقبالا حسنا من قبل القراء ، اقنعه بترك حرفة المحاماة في بلدته الصغيرة ، وتكريس حياته للادب في مدينة تجارية كبيرة . كان بريانت في الحادية والثلاثين من سنه لما اتخذ مثل هذه الخطوة الجبارة . ونزولا عند اقتراح دانا وبعض اصدقائه الاخرين ، ذهب الى نيويورك بدلا من بوسطن سعيا وراء رزقه وحظه . فقد قيل له بانه سيجد عملا في الصحافة في تلك المدينة . يقول هنري سيجوك ، احد اصدقائه من بير كشير ، ومن القاطنين في نيويورك ، يقول هذا في رسالة وجهها اليه : « ثم ان اي نقص في دخلك يمكن الاستعاضة عنه بتعليم الاجانب ، الذين يكثرون في هذه المدينة ، والذين يحبون تعلم لغتنا وادبنا . وبالايجاز سيكون من الغريب عدم نجاحك ، في حين ينجح كل انسان هنا . »

وفي هذا الوقت بالذات تبسم الحظ لبريانت ، بالاضافة الى نصيحة اصدقائه ، اذ طلب منه الالتحاق بادارة تحرير مجلة New York World فلبى الطلب بكل حبور وانشراح . وفي هذا الصدد كتب الى دانا قائلا : « لا ادري الى متى ستطول صلتي بهذا العمل ، راتبي هو الف دولار ، وهذا مبلغ غير كبير ، ولكنه ضعف ما كنت احصل عليه من حرفتي في الريف . » ومعظم واجباته تتضمن في نقد الكتب ، وهي وظيفة لم تكن محببة الى ذوقه ، ولا الى ما هو اهل له ، ولكنها ، مع ذلك كانت تعوضه بعض الشيء بما كانت ستقدمه من وقت للراحة يخصصها لمغازلة الهة الشعر . وايا ما كان الامر ، فقد انهار امله في هذا الشأن . اذ انه انغمر في اعماله الصحفية ، بحيث تعذر عليه ان يجد وقتا يسيرا لشعره . والظاهر ، ان الالهة قدرت له زراعة بعض الازهار المتناثرة القليلة في العدد ، الباقية على الزمن .

* * *

وفي هذا الوقت حلت بساحته كارثتان ، اذ توفي ابوه واخته . كان معجبا بابيه دائما ، لا على حسبانه الرجل « الذي علم شبابه فن الشعر » بل لكونه الطبيب الذي قاس نجاحه بشكر مرضاه ، بدلا من مبلغ ما تقاضاه منهم من مال . « فمرضاه كانوا يدفعون له ما يحلو لهم ، مهما يكن المبلغ زهيدا . » مات والد بريانت ، كما عاش في قناعة الفقر . اما اخت بريانت ، فقد توفيت بداء السل ، هذا المرض الذي هدده هو بالذات ولكنه لم يستطع النيل منه ، كان على صلة متينة باخته . وقبل رحيلها بوقت وجيز كتب مرثاة يودعها فيها :

« اذا جاء الموت رفيقا ، بهيكل رقيق مثلك
كانه الريح الشفافة اللطيفة ، تسري بين خمائل الازاهير
لتقطف الاكمام الندية الطرية من منابتها فله ان يفعل ما يشاء . »

ولما اقبل الموت — كانت (اخته) في الثانية والعشرين من عمرها — فكرس الشاعر لذكراها قصيدة من ارق نظمه شعرا :

وارنياها ارضا مرطبة باردة ، حين نثرت الغابات اوراقها
ثم بكينا جمالا لا نظير له ، لم تقض من عمرها الا جزءا وجيزا
ومع هذا ، فجدير بصديقتنا هذه ، الا تذبل وتفنى الا مع الازهار
فهي اختها وشقيقتها في جمالها ولطفها ورقتها . »

ولكي ينسى حزنه من جراء فجيعته المزدوجة، انغمس بريانت قلبا وروحا في عمله. ذلك بان هذا الانسان النحيف الشاحب اللون ، « القميء الحجم » امتاز بشهية هائلة للعمل ، وقابلية عظيمة للصداقة . قال احد جيرانه متحدثا عنه « كان متلهفا تلهفا غريبا للتكلم مع عامة الناس — من اضراب الفلاحين ورجال الغابات وسواق العربات . وقد احب ان يتبادل النكات المليحة معهم . ومن هذه النكات ما كان لطيفا بديعا مسليا ، فيه لذة ولذعة . » فامتلاكه لناصية الفكاهة — تلك النعمة الفريدة — هو الذي حال بينه وبين الوقوع في مخالب التفاهة فليس من رجل يسعه ان يضحك ملء القلب كما كان يفعل هو ، وان كان ذلك على حسابه الخاص ، « تبدأ ضحكته .. بقهقهة غريبة، ثم تنتشر تدريجا على جميع وجهه ، فتهزه في الختام هزا عنيفا يشمل جسمه كله . »

وقد احتاج الى كثير من الضحك ليطيب طعام سأمه اليومي ، الذي لا يكاد يحتمل . ثم انه كان مربوطا بماكنة لا انقطاع لعملها ، ولا راحة فيها ، وفي اوج نشاطها ، تبين انها على وشك الانهيار . وقبيل حدوث ذلك ، خسر المساهمون في الصحيفة اموالهم ، فنبذوا العمل وفروا بجلودهم . عاد (الشاعر) يائسا الى حرفة المحاماة ، بعد ان حصل على اجازة لممارستها في محاكم نيويورك . ومرة اخرى تأهب : « للامتزاج بالجمهور الهازل ، بين ابناء الكفاح الهادئين الصاخبين . »

ومع هذا لم يفارقه الحظ السعيد ، اذ انه نال وظيفة في جريدة (نيويورك ايفننغ بوست) — فظل مواكبا تلك الصحيفة الى خاتمة ايامه .

* * *

وكالعادة ، استغرقت واجباته الصحفية والسياسية معظم وقته ، فلم يكن له الا دقائق في اليوم ليوفرها لشعره — قلت واجباته السياسية ، لأن (الايفننغ بوست) كانت من اقوى الصحف المؤيدة لاندرو جاكسون . لم يكن بريانت راضيا تمام الرضى عن هذه الاحوال ، ولكنه ، يكتب الى دانا بهذا الشأن قائلا « السياسة ومعدة مليئة خير من الشعر مع الجوع . » السياسة ومعدة مليئة ، وقلم نزيه ، لاذع ، وحفنة من القصائد الخالدة ، واسم شهير شريف . هذه الاشياء جميعا ، تلخص بايجاز قصة بقية حياته . ثم ساهم بنصيب كبير في الصحيفة ، والفضل في ذلك يعود الى اقتصاده . وتحت تأثيره غدت (الايفننغ بوست) على راس المدافعين عن الفكر الامريكي الحر . كان بريانت نشيطا في تأليف الحزب الجمهوري ، وفي ترشيح (لنكن) للرئاسة وفي الحملة المقدسة لتحرير العبيد ، وفي الدفاع عن حقوق العمال ، وفي الاعتراف بمطالبهم المشروعة .

لم يكن مستعدا لذلك بقلمه حسب ، بل بلسانه وبماله،

لان كل قضية من قضايا الحرية اهمته ، لانها تقلم اظافر الظلم في اعتداءاته وعدوانه واجترائه على الحق . وقد اعلن عن مبدأ الحياة الامريكية الصميمة بهذه الكلمات ـ الحياة ، الحرية ، والبحث المتقابل عن السعادة . وهذا معناه عدم السماح لاي كان بالتدخل في سعادة الاخرين . لانه عد مثل هذا التدخل لا انسانيا بله كونه لا امريكيا .

« فلنا ان نمزج سرورنا وفخرنا ، مع حزن اضعف كائن له ايسر الشعور . »

عش ، واجعل غيرك يعيش ، واعنه على ذلك ـ وهذه الاشياء بالنسبة الى بريانت هي ـ السياسة والشعروالدين التي ينبغي للعالم الجديد ان يمتاز بها .

كان بريانت اول الشعراء الوطنيين في امريكا . كان امريكيا ليس فيما عرض م ن‌مناظر حسب ، بل في لغته ايضا . كتب ذات مرة الى احد مراسليه قائلا « لحظت‌بانك استخدمت تعابير فرنسية عديدة في رسالتك . وانا اظن بانك لو درست لغتنا ، لتمكنت من التعبير عن آرائك كما تشاء . » وقد سر بالتعبير عن افكاره بنثر (اليانكي) الذي عرفت به نيو انكلند ، على بساطته . ومع هذا رغب ببالغ الشوق احيانا ان يترك نثره من اجل شعره . وفي هذا الشأن اسمعه يسّر دانا بقوله : « هنا (في ادارة ايفننغ بوست) لست الا حصان جر ، تدربت على السحب يوميا ، فلي من العمل الوفير ما يجعلني استخدم ساقي وقدمي ، مناضلا ، ساحبا ، رافسا ، الى حد انه لو كان شيء من بيغاسوس(1) في ، لما استطعت استعمال جناحي ، لان الضعف الشديد اخذ مني مأخذه . »

وهكذا لعدة سنوات « تصارع الشاعر والصحافي في مجالي ما يؤثره بريانت ، كما فعل يعقوب وعيسو في رحم ربيكا . » وكلما انساب الزمان ، وتقدمت الصحيفة من نجاح الى نجاح ، عاد الى « مائدة طعامه » ليشارك الناس الاقل منه حظا . وقد ساعده ازدهار عمله على انقاذ اصدقائه من مشاكلهم ، كما اعانه ذلك على شراء مقاطعة ريفية لاسرته في (لونغ ايلند ساوند) . « فمن الحسن لشاعر مثله ان يختار عدة سفرات مفيدة الى اوربا ، وان ينحدر الى شيخوخته الرخوة ، ليتخلص على الاقل من الهم وان لم‌يكن من العمل . ومع هذا لم ينغمس في عمله بحيث يحول ذلك بينه وبين واجباته الاخرى ـ او بالحرى مسراته ـ واقصد بذلك حسن وفادته ولطف ضيافته في قصره المنيف في روزلين . يكتب في هذا الصدد الى احد اصدقائه قائلا : « عليك ان تأتي الى روزلين ، انت وسلطانتك ، فتستقبل استقبالا ملوكيا ... تعال واجلب معك من تريد ومن تختار . » هكذا كانت رحابة داره وسعة صدره ، واريحية قلبه .

* * *

هو الان رجل عجوز ، ولكن‌جده في العمل لم يفارقه. ففي الساعة السابعة من صبيحة كل يوم ، بعد مشية ثلاثة اميال ينكب على عمله في (البوست) . وسنواته القلائل الاخيرة ، كانت اشد سني حياته عملا . ففي وسط العقد السابع من عمره ـ اخذ على عاتقه ترجمة الالياذة والاوديسا. وفي عتبة الثمانين « اتم زرع ازهار طروادة على سواحل الهدسون . » لم يصب الاذى نشاطه وحيويته ، ولكن قلبه كان حزينا ، لان السنوات العابرة حصدت كثيرا من اصدقائه . وفي الختام حدثت اكبر الفواجع ، اذ اختطفت يد المنون زوجته ولم يكد يتحمل هذه الضربة الا بشق النفس :

« ماذا اصنع هنا وحيدا ، في مجد الطبيعة
وشعري الفضي يشبه كرة من الثلج منبوذة ، على سندس الربيع ؟ »

ومع هذا يستمر في العمل « لقد مضى جل الليل ، وحان الوقت للذهاب الى الفراش . » ولكن كثيرا من‌الاشياء لم تنجز بعد . فهناك افتتاحيات ينبغي ان تكتب دفاعا عن الحرية ، وقصائد لا بد من اعادة النظر فيها ، وخطب يجب ان تلقى من اجل الهام اخوانه البشر بروح العزة . وفي احدى هذه الخطب الملهمة تسلم دعوة موته . اذ في ذات يوم رفع النقاب عن تمثال المحرر العظيم ، مازيني ، في (سنترال بارك) . وكان رأس بريانت (الاشيب الصالح) مكشوفا امام الشمس ، حين كان يلقى آخر فقرة من خطابه التي جاء فيها :

« وانت يا صورة قائد الحرية الدينية والمدنية ابقي حيث انت للنواظر المقبلة ، وسط الملايين ، ظلي في مكانك حتى ينبلج فجر النهار ـ ولو كان ذلك بعيدا قاصيا ـ وحينئذ تكون واجبات الاخوة البشرية معترفا بها من قبل اجناس البشر جميعا . »

ثم اصيب بدوار من جراء حرارة الشمس ، فتعثر في وقفته ، وسقط الى الخلف ، ضاربا رأسه بالحائط . ولمدة ثلاثة اسابيع ظل فاقدا وعيه ، وفي الثاني عشر من يونيو ١٨٧٨ نبض قلبه البسيط العظيم نبضته الختامية .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

---

(1) حصان خرافي مجنح انبثق من دم ميدوزا ، حين قطع رأسها بيرسيوس

الـوان

دربنا والضوء والعصفور واللون الغريقْ
لم يزل يرعش في أحنائها الدفء العميق
وشرود كرؤى الامس وكأس ورحيق
وهدوء خدر الظل وتهويل أنيق

✶

يا . . .! وآلاف من اللحظات ماتت في الدروبِ
وغدت بعض انفعال معتم اللون كئيب
وحكايات عميقات الرؤى في قعر كوب
أبدا تنهار في الصمت وفي الليل الرهيب

✶

قد كنزنا لحظات الامس في أعماق نفس
فاليها ملجأ الذكرى وتهويم التأسي
وبها نعبر للفجر باصرار وهجس
ذلك الفجر الذي يشرق من آفاق رمس

✶

منذ عام يرعش الوادي بالوان الجمالِ
وظلال السرو تنداح على شمّ الجبال
والعصافير بنت أعشاشها عبر الظلال
انها لا تدرك الموت ولا سر الزوال

سوف لا يسال عنا زنبق الفجر الخجولِ
وبأيدينا غرسنا بذره عبر الحقول
وسقيناه عبير الحب في كأس جميل
ورجعنا نقبس الوحشة في الدرب الطويل

✶

عبثا نزرع في الحقل ورودا وسنابلْ
ربما ينبت ذاك الورد اشواكا قواتل
او يمر الصيف لا يبقي على الدهر مشاتل
فلمن نزرع للموت ؟ لعربيد مخاتل ؟!

✶

سوف يمتد على الشباك نسج العنكبوتْ
وغبار داكن اللون واعشاب وقوت
وشعاع باهت لن يرتمي حتى يموت
سوف يمتد ! ولكن ساكن الهمس صموت

✶

اي سر يذعر الاشباح في الليل هنا
اي اعصار وثلج ينطوي خلف الأنا
يا شراعا نزق الرفئات مخنوق المنى
يا قرارا دبّ في أعماقه وقع الونى

بغداد — عبد الحليم لاوند

قصة مصرية

اخوك عبدالله

بقلم السيدة اسما حليم

اعتكف عبدالله في غرفته لا يبارحها ، لم يكن معه قرش يشتري به كسرة من الخبز . جلس على سريره يفكر ، ماذا عليه ان يفعل ؟ وطافت بذهنه شتى الافكار .. يعود الى القاهرة .. يكتب لاصدقائه فيها .. يبيع اجزاء من ملابسه ..

وهو في غمرة افكاره سمع طرقا على الباب ، ودخل صاحب البيت . فزع عبدالله اذ تذكر ان الشهر قد انصرم ووجبت عليه اجرة الشهر التالي .

جلس صاحب البيت على مقعد مواجه له وابتـدأ يحادثه ، سأله عن صحته وتمنى له العمر المديد . ثم تكلم عن تغييرات الجو المفاجئة ، وتكلم عن اشياء اخرى كثيرة . وانقضت نصف ساعة وهو يتكلم ، تكلم عن كل شيء وذكر كل امر ماعدا اجرة البيت المستحقة ... وعبدالله ينظر اليه وعقله تائه وقلبه منقبض ، من اين ياتيه بقروشه التي قص كل هذه القصص من اجلها ؟

يئس الرجل من صمته فنظر اليه في تحد وطلب منه اجر الحجرة ، فأجابه عبدالله بان ليس معه نقود .

اعتدل الرجل في جلسته ونظر اليه نظرة اخـرى وسأله في اهتمام بالغ كانه على وشك ان يقرر مصيره .

– متى ستأتيك نقود من القاهرة ؟ – لست ادري .

– هل تريد اخلاء الحجرة ، اذ هناك من يرغب في استئجارهـا .

قال في استسلام : – كما تشاء .

تردد الرجل ثم نظر الى حاجيات عبدالله المبعثـرة في ارجاء الغرفة ، لم يكن لديه ساكن جديد وسوف ينصرم الشهر ولن يقبض اجرا ، ثم انه خبير محنك ، تاجر ابن تاجر ، واجداده الاقدمون بنوا حضارة اساسها التجـارة لا الحقل ولا المحراث . وهذا الشاب الغريب الذي لا مال لديه ويملك اشياء لا بأس بها صفقة طيبة .

وفعلا تمت الصفقة بين الرجل وعبدالله ، فاشترى منه كل أشيائه ولم يترك له الا ملابسه التي يرتديهاوفرشاة اسنانه ، وانصرف . وبقي عبدالله في الحجرة التي خلت من كل حاجياته ، بقي كما كان قبل ان يدخل الرجل جالسا على السرير ويمسك في يده فرشاة اسنانه والدريهمات القليلة التي اعطاه اياها صاحب البيت بعد ان اقتطع منهـا ايجار الشهر الجديد .

هذه الدريهمات القليلة هل ستصمد ازاء الايـام ؟ لا ، فلو تغير الكون كله فلن تغير الدراهم من طبعها ، فرت ، تلاشت كسابقاتها ، وتركته يجوب الطرقات بحثا عن عمل .

وعاد عبدالله الى حجرته يسد عليه مارد الجوع منافذ الحياة ... تمدد في فراشه منهوكا وقدخارت قواه الجسدية مع روحه المعنوية .. وانقضت ايام اصبح فيها وامسى جائعا لا يذوق الا الماء .

في الايام الاولى للجوع شعر بمعدته تقرصه وبامعائه تتقلص وتتلوى ، وفي اليوم الثالث خفت حدة الالم لكنه تقيأ في الصباح ، وشعر بدمائه تجري في عروقه بسرعة غير مألوفة ، ان جسمه منزعج من التغيير المفاجيء الذي حدث له ، ساعات وايام لا يحصل على حاجته من الغذاءعن الطريق المألوف .. طريق المعدة .

وفي اليوم الرابع هدأت حركة الدماء في عروقه ، لقد استسلم جسده وبدأ يبحث له عن مصدر اخر يستمد منه حاجته للوقود ، فوجد كيانه . وبدأ جسده يذوب وقواه تخور تدريجيا وفي سكون .

وفرح عبدالله وافترت شفتاه عن ابتسامة واهيـة فقد ذهب الالم ولم تبق الا نوبة القيء الصباحية .

وهاجمته حمى الجوع ونسجت حوله خيوطا مـن الاوهام خيمت على عقله فأخفت عن ادراكه العالم الحقيقي المحيط به ، تلاشت الحواجز التي كانت تقيمها حيطـان الحجرة وخف جسمه ولم يعد يشعر بالفراش الذي ينـام عليه ، واخذت الاضواء تدور وتدور امام عينيه ..

ضوء الشمس ساطع يخطف البصر ، ورغم ذلك فالجو جميل ، تهب ريح خفيفة تعبث بشعر عبدالله المسترسل الفاحم وتخل بنظامه . وهو يسير برفقة اصدقاء من بينهم فتاة تمسك بيده وتربت عليها في حنو ، يتأمل وجهها بدقة ولكنه رغم قربها منه لا يستطيع ان يميز ملامحها فهي مرة ملامح فتاة يعرفها في القاهرة ، وتارة اخرى ملامـح امه ، ولكنه غير منزعج فالفتاة تمسك بيده وتربت عليها فـي حنو بالغ . قال له الاصدقاء انهم عطاشى وذهب جمعهم الى قهوة على جانب الطريق وجدوا فيها ماء مثلجا فراحـوا يعبون منه . ولكن عبدالله لم يكن عطشانا ، بل كان جوعانا . نظر حوله فوجد مائدة عليها خبز ، فاتجه اليها ومد يده فأخذ قطعة ووضعها في فمه واكلها .. ولكنه لا يشعر في فمه الا بطعم لسانه الخشن المر . اكل قطعة اخرى .

لمن هذا الخبز ؟ ان احدا لم يعترض عليه وهو يأكل منه .. بجوار الخبز لبن .. كيف لم ينتبه اليه من قبل ؟ وشرب من اللبن . نظر الى المائدة فوجدها مزدحمة بالوان من الطعام الشهي فاكل .. لحما مشويا وبيضا مقليـا وبطاطس محمرة واسماكا عجيبة الشكل لم ير مثلها مـن قبل .. اكل واكل واكل .

انه لم يشبع وعلى جانب من المائدة اناء مليء بالحساء يتصاعد بخاره فيملأ الانف بنكهته الطيبة ولكنها لا تصل الى انفه . هذا الحساء ايضا لم ينتبه اليه في اول الامر ، امسك الاناء بيديه وشرب منه ، انه حساء لحم ، شرب ثانية ، كيف اخطأ في معرفة نوع الحساء ، انه حساء دجاج ، لا بل حساء عدس .. لا .. لا .. انه مختلط في امره ولكنه يشرب منه ويشرب وراسه يدور ويدور ، لقد اكل كثيرا ولكنه لم يشبع .

دفع عبدالله باب الحجرة ففتحه على مصراعيه،ووقف على عتبتها يتفحص وجوه الناس المجتمعين فيها ، انهـم اهله ، ابوه واخوته جالسين حول مائدة ، وما ان راوه حتى نادوه وقد ابهجتهم رؤيته فافسحوا له مكانا بينهـم . وجاءت امه من المطبخ تحمل على يديها صحافا مليئة بالطعام فوضعتها على المائدة وانصرفت الى المطبخ ثانية . نظر الى

الصحاف فوجد فيها ارزا وفراخا محمرة ، وتصاعدت الى حلقه غصة ، وهم ان يمد يده ليأخذ منها شيئا ولكنه راجع نفسه بسرعة ان احدا لم يمد يده .

وتسمرت عيناه على الصحاف ، وحاول عبثا ان يحيدهما عنها ، شعر بالخجل والاضطراب يسيطران عليه . ولم ينقذه من حيرته الا عودة امه من المطبخ وهي تحمل صحافا اخرى وضعتها على المائدة حتى ازدحمت بهـا ، وجلست ام عبدالله بجواره وطوقته بذراعها وملأت صحفة بالطعام ودعته الى ان يأكل ثم دعت الاخرين من بعده ، واكل عبدالله وكلما فرغت صحيفته ملأتها امه ودعته الى مزيد من الطعام ، فأكل واكل واكل ، وفرغ الطعام من على المائدة فبكى ، ولكن بكاءه احتبس في حلقه ، ونظرت اليه امه متسائلة واراد ان يقول لها انه ما يزال جائعا فعجز عن ان يحرك شفتيه وبقيت كلماته حبيسة في صدره لـم تسمعها امه ابدا . وابتعدت امه عنه تدريجيا ثم لفتها غمامة اخذت تتكاثف حتى اخفتها عن ناظريه ، حاول ان يراها ولكن بصره زاغ ، ولفته الغمامة هو ايضا واخذت تدور حوله ورأسه يدور معها .

اين عبدالله الان ؟ انه في مكان عجيب ، قاعة فسيحة حيطانها وسقفها وارضها خضراء كأنها بستان . وهو يلبس ملابس فخمة وعلى راسه تاج ، ويجلس امام منصة وعن يمينه ويساره يجلس مستشاروه . آه .. انه قاض وهذه قاعة المحكمة . ودخل جند ملابسهم صفراء ووجوههم كريهة وعلى رؤسهم قلانس بيضاء ، وهم يدفعون امامهم رجلا هزيلا نحيل البدن .

وقف الجند امامه وهم ممسكون بالرجل ، ثم انحنوا احتراما للقاضي حتى مست جباههم الارض . نظر اليهم من منصته العالية وسألهم ما حاجتهم فقالوا له انهم ضبطوا هذا الرجل يسرق خبزا من فرن فالقوا القبض عليه وساقوه الى المحكمة ليلقى جزاءه .

نظر الى الرجل مليا ثم سأله :

ــ هل سرقت خبزا يا رجل ؟

اجاب الرجل في تحد : ــ اجل .

سأله ثانية : ــ لماذا سرقت الخبز

فصرخ الرجل : ــ لاني جائع .. جائع

ودوت صرخة في ارجاء القاعة ورددتها حيطانها ، وخرجت الصرخة خارج القاعة الى الكون الفسيح تدوي فيه ، تدور بافلاكه ويرددها فضاؤه .. جائع .. جائع ..

وسيطر الفزع على من بالقاعة لهول الدوي فسقطوا على وجوههم . ووضع عبدالله يديه على اذنيه ليحميهما من الصرخة المميتة التي تدور بالكون صرخة انسان جائع ...

تمالك نفسه ونظر الى الجند يتأملهم ، ان بعض وجوههم مألوفة لديه ، رآهم قبلا في مكان ما ، حاول ان يتذكر .. اجل في شارع الهرم وكانوا يجرون خلفه يريدون اللحاق به وهو منطلق امامهم كالسهم يكاد من سرعته ان ينكفيء على وجهه، ويحتضن بينذراعيه حريته .

وهذا الاخر منهم ، انه صديقه ، حقا انهما لم يجتمعا ولم يتحادثا من قبل ولكنه صديقه في الفكر ، وصداقة الفكر اقوى الصداقات . ورغم ذلك فقد تخلى عنه .

ذهب اليه في منزله فوجده يجلس في شرفة عالية . واحتار كيف يصل اليه اذ لا باب ولا سلم ، فوقف اسفل الشرفة وناداه وقال له اني في ضيق ، أعني اوجد لي عملا فذلك في مقدورك . ولكن الصديق لم يتحرك ولم ينظر اليه كأنه لم يسمعه ، تركه للمصير المجهول .

والرجل الذي يمسكون به من ذراعيه ، نظر اليه عبدالله فتدلى فكه من الدهشة وكف قلبه عن الوجيب ... هذا الرجل ايضا .. انه يعرفه .. انه هو .. عبدالله ..

وصرخ في الرجل : ــ هل انت انا ؟

فاجابه الرجل في صوته ذي الدوي العجيب

ــ اني انسان جائع ، في هذا الفيض من الخير .. جائع .. جائع .. وعادت الكلمة المفزعة تتردد في دويها الرهيب في ارجاء القاعة وفي فضاء الكون ..

تمالك عبدالله نفسه رغم الدوي الذي يصم اذنيه ، واذا به ينتفض واقفا وقد عصف به غضب شديد وصرخ .

ــ دعوا الرجل ، خلوا عنه ، وآتوني بطعام .. واسرع كل من بالقاعة يلبي أمر القاضي الذي يضع على راسه تاجا ، فأحضروا طعاما كثيرا ملأ اركان القاعة . ودعا الرجل الى الطعام فاقبل واكل . وهدأت نفسه واقبل هو الاخر يشارك الرجل في الطعام .

واستمر الاثنان يأكلان .. ويأكلان .. ويأكلان .

سمع عبدالله طرقا على الباب فادار عينيه ناحيته ولكنه لم يستطع ان ينهض من فراشه ، انه لا يدري ما حدث له فقد فقد سيطرته على جسده .

وفتح الباب ودخل رجل تلف راسه غمامة واقترب منه الرجل فتكشفت الغمامة عن وجه صاحب البيت . وفزع عبدالله ، لقد جاء يطالبه بايجار الحجرة ولم يعد لديه ما يبيعه ، لم يعد لديه الا نفسه ، وداعبت الفكرة رأسه والحت عليه ، هل يشتريني ؟ .. وبكم ..؟

وتذكر انه سمع او قرأ عن رجل اشتراه الشيطان .. رباه ! هل هذا الواقف امامي هو الشيطان ويخفي قرونه تحت شعره الكثيف وذيله في سرواله ؟

ولكن الرجل لم يأت بمفرده ، فقد تبعه الى داخل الحجرة عدد من الرجال يلبسون حللا بيضاء ، واقتربوا منه وحملوه في محفة ونزلوا به السلالم ، وركبوا به سيارة ثم انزلوه منها بمحفة وحملوه الى حجرة فسيحة كل ما فيها ابيض يفوح جوها برائحة الكلوروفورم ، ووضعوه في فراش آخر غير فراشه .

وحاول عبدالله جاهدا ان يسيطر على حواسه ليدرك اين هو الان ، وسأل نفسه اهو حي ام ميت ؟ ولكن حواسه افلتت من سيطرته ، كيف يستطيع ان يدرك انه كان حيا ام ميتا وهو لم يمت من قبل !

واستطاع خلال الغمامة التي تلفه في طياتها ان يرى وجوه رجال يلبسون معاطف بيضاء يدورون بسريره يجسون نبضه ويتحدثون عنه باهتمام شديد ، انهم يتحدثون في همس حتى لا يزعجوه . وغص حلقه وامتلأ صدره بالدموع وعصفت بنفسه سخرية مريرة من هؤلاء الناس ، لقد جاءهم من قبل سائرا على قدميه وطلب منهم شيئا من الاهتمام ، وقال لهم انه غريب ... وحيد بلا مال ، ولكنهم جميعا نبذوه والان يهتمون به ويدورون بسريره .. ها .. لماذا لم يهتموا به قبل فوات الاوان .

القاهرة **اسما حليم**

الوان من الفن : رودان

بقلم خالص عزمي المحامي

●

عندما تبدأ يد الفنان(١) الملهم تحاول ان تعبر (بالنحت) عن العواطف النفسية الجياشة او المشاعر الانسانية او الاحاسيس المنطلقة عبر هذا العالم الهائل ، تجد في غايتها واهدافها في سبيل ابراز موضوع معين يختاره الفنان من بين ركام الاجيال الغابرة اوحضارات الحاضر الملموسة او آمال المستقبل الغافية في حجب الغيب المستقرة في عوالم المجهول ، او من بين افكاره المتطلعة الى الانطلاق ، التي تحاول ان تعبر عن مشاكل الانسانية ، وما يدور في هذا العالم من آمال وآلام وافراح واحزان وويلات وسعادة : في هذه الحال لا بد لهذه اليد العبقرية من ان تخرج على العالم بتمثال رائع يجسمه روح الصدق وعمق التجربة ، والاصالة الفنية المبدعة والقابلية السليمة المبتكرة .

والنحت فن معبر قد يوضح كل هذه الافكار في تعبيره عن الحركة والوثوب والانطلاق ، او عند تصويره السكون والهدوء والارتخاء او حين ينزع الى اظهار الانفعال النفسي الى المحيط الخارجي ، وحينما يحاول المثال ان ينحت تمثاله مطابقا لما تواجهه المناظر سريعة في ارتطامها بناظريه ثابتة في مخيلته آخر الامر ، او ان فكرة التمثال تبرز من بين خواطر ذهنية متعاقبة يسل من بينها هذه الفكرة ، فاذا بها التمثال الذي يبحث عنه الفنان في اعماقه يخرج على الدنيا قطعة حية فيها الصدق والتجربة والعاطفة النقية التي هي اساس كل عمق فني ناجح .

وهذه التماثيل الفنية ، مهما كان مصدر الوحي فيها ، لا بد ان تعطي صورة لشيء ما يجول في فكر المثال قد تظهر منه النزعة (التأثرية) او النزعة (التقليدية) ، او تكون موضوعات المنحوتات من الاساطير والقصص الخرافية او الاشعار فيكون (خياليا) او يجسم المرئيات كما هي فيكون (تقريريا) .. الخ.

والنحت ـ مثل بقية الفنون الاخر ـ له مذاهب تحددها النزعات المتباينة والاراء المتضادة والافكار المتشعبة والميول والرغبات والعواطف ، يطلع الفنان بنزعة جديدة او ينادي برأي معين فيتبعه المئات من المقلدين والمحاكين ، وتتبعه اجيال واجيال ، واذا ما كانت نظريته او طريقته في التعبير نقية اصيلة جامعة تبقى فكرته حياة متدفقة الحيوية على مر العصور ،

ومن هؤلاء المبدعين الخلاقين الفيلسوف (رودان) الذي ينطبق عليه الراي القائل (ان رجل الفن لا يقتصر عمله على محاكاة الطبيعة بل يتجاوز حقيقتها الى خياله ويتسامى بها الى أبعد ما تلهمه اليه بصيرته).

في حي فقير من احياء باريس ولد فرنسوا اوجست رودان عام ١٨٤٠ من اب نورمندي يعمل فلاحا في الحقول المجاورة لباريس ، ومن ام ورعة تقية تتطلع الى السماء صباح مساء ، تمضي به اذا ما بلغ صبيا الى الكنائس كل يوم احد فيدهش الصغير مما يشاهد من رسوم ومنحوتات وزخرفة وبدع فنية رفيعة ، واذا ما غدا في سن تسمح له بالدرس انتزعه ابوه من بين خيالاته وتحليقاته ، وابعده عن لوحاته وتماثيله ، وبعث به الى مدرسة في الاقاليم ليبقى فيها مدة من الزمن غير قصيرة ، وخلال تلقيه العلوم في تلك المدرسة لم يظهر اي استعداد لتقبل المناهج المدرسية ، وانما اظهر كل الاستعداد في مجالات الفنون الجميلة كالرسم والنحت والزخرفة .. الخ.

وعاد الى باريس ... بطاقة فنية هائلة لا يدري كيف يفرغ شحناتها واين ...؟! وهذه الطاقة كانت مسرحا لهزات عاطفية ، وتجارب فكرية واشباع ذهني متدفق .. دفعت به الى حياة بوهيمية صاخبة لم يجد غيرها ما ينفس به عن خاطره ، عاش هذه الحياة .. في المقاهي والحانات والمراقص والحدائق العامة ، ولكن اغلب الوقت كان يقضيه في المتاحف ونوادي الفن مع العباقرة من امثال : تيسيان ، ورفائيل ، وانجلو ودافنشي ، وفان كوخ ، ولويترك وموزي وفانديك وروبنز وعشرات غيرهم . فضاق ابوه ذرعا بتصرفاته وبوهيميته . وتنكر لصلته به ، ولكن الزوجة الحساسة ادركت اي اتجاه ولدها يتجه ، فراحت تلح على ابي رودان بوجوب الاستجابة لميول رودان ومواهبه ، لانها تعتقد بأن اندفاع رودان ما هو الا سر عبقريته ونبوغه ، واخيرا ... نزل عند رايها وادخل رودان مدرسة الفنون ، فكان ذلك مدعاة لسعادته وبهجته وطموحه .

راح رودان ينكب على الكتب ينهل منها وما يتفق مع ميوله ومواهبه ، ثم بدأ بنتاجه الذي يحدد المرحلة الاولى في طريقه الفني ، فقلد حينا ، ونقل إحيانا ، ثم انطلق بعد ذاك يبتكر ويخلق ويبدع ، وحتى اذا ما اتم دراسته التمهيدية التي يحق له معها اختيار فرع من فروع الفن قنع بالنحت ، مع رغبته الشديدة بالرسم ، اذ ان الرسم يحتاج الى مبالغ لا يستطيع تهيأتها وظروفه العصيبة تلك. وكانت شقيقته ماري خير مشجع له حينما اتخذ رودان له مرسما صغيرا في (اسطبل) در عليه بعض المال .

وذات يوم بينما كان منهمكا بعمله لاحت منه التفاتة فشاهد فتاة رائعة الجمال عرف بعد حين ان اسمها (روز بوريه) ملكت عليه حواسه ، فكان هذا حبه الاول العنيف الذي الهمه الكثير من الروائع ، وكان لقاء ... ثم كانت علاقة وطيدة امتدت لحين سألته الزواج منها فثار وتمرد ، وتركها ليعيش في عالمه الفني الواسع ، وعاشت روز في بيت والد رودان الذي اكرمها وحافظ عليها .

وحينما نشبت الحرب السبعينية ، ادى رودان واجبه عريفا في الحرس الوطني فلما انتهت ، بقي زمنا في بلجيكا ثم رحل منها الى ايطاليا ليطلع على امجاد ابنائها ، فعبر جبال الابنين سيرا ، وفي فلورنسا والبندقية درس انجلو ودانتيللوا ، حيث وجد لدى الاول القوة ولدى الثاني الابهة والجلال : وعاد الى باريس وهو اكثر نضوجا وتعمقا ، وانكب على عمله ليل نهار ، وفي عام ١٨٧٥ قبل صالون باريس الفني تمثاله الضخم (العصر النحاسي) .

---

(١) من سلسلة احاديث (الوان من الفن) يذيعها الكاتب من راديو بغداد.

وهنا بدأ صيت الفنان يذيع شيئا فشيئا حتى بلغ مسامع السلطات الرسمية ، فعهدت اليه بنحت باب (سراي الفنون الجميلة) بباريس ، فانهالت عليه الطلبات والاموال من جميع انحاء العالم ، وراح نجمه يسطع في انحاء اوربا يبعث ضياء الفن على العالم من تماثيله ولوحاته ، حتى غدا بعد حين اعظم مثال لاجيال خلت ، يعبر عن افكاره بصدق وحرارة وعمق وشاعرية مما جعل النقاد يطلقون عليه (المثال الذي جعل من منحوتاته اشعارا) وبدأت الصحف تتسابق في نشر ارائه ومبادئه ، وراح الادباء والفنانون ينشرون عنه الدراسات والمقالات والبحوث التي اوضحت الكثير من حقائق فنه ، وحللت الكثير من عميق افكاره .

وعندما وصل الى هذه المكانة العالية من قمم الفن ، ادرك وطنه عظم التقصير الذي لاقاه رودان منه ، فكفر عن سيئاته تجاهه اذ اهدته الحكومة دارا كبيرة انيقة في ميدان (الما) . اصبحت متحفه المفضل الذي يعمل به ليل نهار ، وهناك احس رودان بوخز الضمير تجاه (روز) فعقد عليها زواجه بحفل عظيم ، وكانت حياة رائعة ، فاخرت بها روز ، ورفعت راسها تباهي بزوجها العبقري في صالونات باريس ومنتدياتها : ولكن القدر لم يمهلها حيث توفيت بعد اشهر من زواجها ، فبكاها رودان بكل قلبه وظل محافظا على ذكراها ما دام على قيد الحياة .

لقد اعترفت له فرنسا والعالم باسره في اخريات ايامه بعظيم فضله ، فانتخب في عام ١٩٠٤ رئيسا للجمعية الدولية للنحاتين والرسامين والحفارين ، وامطر بوابل من اوسمة الشرف والالقاب وبعدد وافر من درجات الشرف الجامعية ، ولما اقيم معرض باريس العظيم ، خصص لتماثيله بناية كبيرة برمتها ، فضلا عن العدد الهائل الذي لا يحصى من تماثيله الرخامية والنحاسية ، فان له صورا ورسوما يشار اليها بالبنان ، وله مؤلفات ومقالات شتى اهمها كاتدرائيات فرنسا .

وفي تشرين الثاني من عام ١٩١٧ لفظ رودان انفاسه الاخيرة وهو في اوج شهرته ومجده . كان رودان لا يقنع ازميله بنحت تمثال أيا كان ، او باخراج قطعة من الجمال والرشاقة وحسب ولكنه كان يحاول ان يبين للفرنسيين ، وعشاق الفن في العالم معنى التعبير ، وكان يبذل جهده في رفع مستوى التعبير ، فخرج بذلك على تقاليد الفن المرعية التي كانت تتجه نحو الجمال ، وبرهن للملأ ان الشخصية والقوة والخلق لا تقل اهمية وجمالا عن الجمال نفسه ، ويمكن ان توجد في الشكل القبيح كما توجد في الشكل الوسيم ، وهناك فكرة دافع عنها رودان بكل قواه ، وهي ان المثال في وسعه ان يعبر عن رأي او يجسم معنى نبيلا بالمبالغة والاسراف والتطرف ، كما يفعل الرسام الهزلي في الصور (الكاريكاتور) . بيد ان رودان كان لا يعني المزاح ولا يحاول الهزل ولكنه في تطرفه ومبالغته ، كان يحاول اظهار الوجدان الانساني والتعبير عن عواطف البشر كما ارادتها الطبيعة .

ولنا أن نلقي بعض الضوء على اقواله المشهورة لندرك منها مدى ما لهذا الفنان العظيم من لمحات فكرية ومواهب فنية اصيلة ، وفلسفة عالية متطرفة : يقول « كلما زاد المرء بساطة ، زاد كمالا ، لان معنى البساطة الاندماج في الحق » وقوله « يستمتع المرء بالعيش على هامش احلامه ويهمل الحقائق التي هي اجمل من الاحلام » . وقوله « ان الجاهل والمستهتر يشوهان كل جميل بمجرد النظر اليه » .

وبعد ان وجهنا خيطا من ضياء على فن النحت وبصيصا منه على حياة رودان وافكاره آن لنا ان نتحدث عن بعض اعماله الفنية : لعل اروع اعمال رودان في النحت تمثاله الفخم المسمى « العصر النحاسي » ، وهو يمثل شابا مفتول العضل ، قوي البنيان يستند بجسمه على قاعدة مرتبكة كانها جزء منه ، ويرفع بيده كرة نحاسية يتطلع اليها بدقة وعمق ، اما تمثاله الرائع المسمى « الاسى » فهو يمثل الالم الدفين والنظرات الحزينة الشاردة ، والانطوائية الشامخة ، والكبت النفسي الذي يفضحه انين صامت ، والشرود الدعائي المتألم الذي يبرزه التطلع الى السماء ، كل هذه الاحاسيس الداخلية ، استطاع رودان ان يظهرها الى العالم الخارجي بتجسيمه لتمثاله فاغر الفم « الاسى » .

وهناك تمثاله المسمى « المفكر » وهو يمثل التفكير الجدي العميق ، والغوص الى اعماق الفكرة وكأنه يغتصبها من بين دنيا الافكار ارغاما : وجه شاحب منتأ وعينان غائرتان ، وحاجبان يحصران بينهما تقطيبا جسيما ثائرا على جبهة مكدودة ، ورأس كأنما تبرق منه الافكار ، يستند على يد مضمومة الاصابع اما تمثاله الجريء « السر » فهو عبارة عن يدين شامختين الى أعلى منبثقتين من حجر طبيعي مهمل غير منتظم (او هكذا عمل به رودان) تتصلان بالقاعدة وتنطلقان باستفهام ازلي لا يعطي المشاهد توضيحا. حيث يكون « الابهام » مرتكزا على اليد الاخرى بشبه انحناء الى الامام . وتشمخ « سبابة » اليد اليمنى بنوع من الكرامة الى السماء بينما يكون « الخنصر » معانقا «الخنصر» المقابل ، وتبقى الاصابع الثلاثة في اليد اليسرى حرة تتجه الى اسفل « الراحة » : وهذا التمثال المعبر ، الهائل في التعبير ، يستطيع ان يعطي صورة حية صادقة لاعمال رودان بما فيها من تعبير وخشونة ودقة .

اما تمثاله (الفجر) فيمتاز بالنظام والسكون ، وهو يمثل فتاة حسناء ينطلق منها هدوء ، وروعة ، ودلال . ويبزغ جمالها على الكون من حجب الغيب ، يبصرها الناس ولا تبصرهم ، فان عينيها مطبقتان على تعبير ساكن ، ناعس ، يناغي الطبيعة بهمس لا اروع ، يحدث المخلوقات بصوت لا تسمعه آذان ولا تدركه ، لان الفجر عنوان هائل للحياة يحسه الناس بينهم لا يدركون له كنها .

هذه بعض اللوحات الفنية لتماثيل عملها رودان تستطيع ان تلقي الضوء على اتجاهات فنه الواسع . وهناك تماثيل نصفية لشخصيات عالمية امثال « بلزاك ، وهوجو ، وروشفو وبرنارد شو وفليجير » وغيرهم : هذه التماثيل وتلك المنحوتات التعبيرية ، تدل كلها على فن رودان الاصيل وعلى ادراكه للنفس الانسانية بما فيها من متضادات لا تتقارب وثورات واندلاع ، وسكون وهدوء ، ثم تدل اخيرا ، على عميق فكره ، وقدرة تعبيره ، وعلى سعة اطلاعه وثقافته المتشعبة المنظمة .

ان حياته واعماله سلسلة متصلة الحلقات فيها القوة ، والارتباط ، والخلود ، حياة كافح من اجل بقائها نقية شريفة ، فعالة ، لكي يحقق لها ما يصبو اليه من آمال واقعها التعبير عن مشاكل الانسانية في كل مكان والكفاح في سبيل الانسان من اجل حياة افضل .

بغداد **خالص عزمي المحامي**

الفراغ القتيل

وانقضى العهد وانقضى وتوارى … خلف ستر من الهوى المستحيل
واختفى الوهم تاركا ظله الممدود … في نظرتـي وراء ذهـولي
وتمسكت بالبقايا من الاشبـاح … في غمرة الغمـوض الثقيـل
وتساءلت عن وجودي وحيدا … أكشف الدرب في ربى وسهـول
وتساءلت ، ما حيـاتي ؟ وعمري … رقدة الظل في السكون الطويل
وتساءلت ، لا صدى يبعد الشك … ويبقي على الخيال الجميـل
وتمشيت في الليالي على صدري … واخرست زفرتي في نحـولي
وتلفت منصتا في حنايا الافق … أرنو الى البعيد الكسـول
فبدت لي الدروب شتى ، فـلا … أدري الى أيـن غايتي ووصولي
شعب هذه الحياة ، وكم ألقيت … نفسي على شعاب التـلول
وتلمست في لهى الغيب أطيـافي … مطـلا على فراغ قتيـل
وتراميت تائهـا ، غير مجـد … في رؤى الحق منطق التحليل
لا ولا الحس يكشف العمق في … نفسي ، ويروي مجاعتي وغليلي
كلما مزقت عيوني ستـارا ، … بان يا قلب ، ألف شر ثقيـل
ويح حظي ، متى الأمس آفاقي … وأغفو على ربى المجهـول

الجامعة الامريكية بيروت … **فـؤاد رفقه**

انت لي

أنت لي٠٠حيث كنت تمتمة نشوى … وبوحا على شفاه الزهور
وعلى خفقة الظلال ارتعاشـات … وبين المروج شـلال نور
وباغفاءة الشذى ٠٠ اتمـلاك … بجنبي قارورة من عطـور
وبتهويمة النسائم ٠٠ روحـا … ناعم الخطو عائما في الاثير
أنت حلم مفوف رف في جفني … وغامت أطيافه في شعـوري
وسماء علوية تخفق الأنجـم … فيهـا نديانـة بالعبـير
وملاك مجنح طالما طـاف … بروحي في عـالم مسحـور
انت لي حيث كنت قيثـارة … الشاكي وبوح المعذب المهجور
انت٠٠انت الربيع في دفئه الاخضر … ٠٠ والفن صادق التعبير
انت لي٠٠ حيث كنت قبلا وبعدا … قبسا موحيا وينبوع نـور

بغداد … **محمـد سعيد المسلم**



العشـــاق الخمســـة

ليوسف الشاروني ـ مجموعة قصص ـ القاهرة

وفي مصر (١) كان بعض شباب الجيل يحاول ما استطاع ان يتعرف على زعماء الفن والفكر في العالم ، وان يصل اليه ضجيج الحضارة التي تنهار ... وذلك في نفس الوقت الذي كانت فيه القنبلة الذرية قد اخترعت ، والادوية المهدئة للاعصاب قد انتشرت ، والبشرية كأنها تعاني آلام المخاض ...

كانوا يحسون انه يجمعهم جيل واحد ، ورعب واحد ، وامل واحد ، ويضمهم كذلك شخص واحد ... هو تلك المرآة التي أقبلت صورتها في هذا الهزيع من الليل تشيع بعض الطمأنينة في ارواحهم القلقة الاسيانة ...]

هذه صورة واضحة ، للازمة التي يعانيها الضمير العالمي الحديث ، وما تعكسه هذه الازمة في نفوس شباب الجيل على وجه العموم ، وشباب مصر على وجه التخصيص ، من شعور بالقلق ، ومن فقدان للثقـــة ، بعد ان انهارت القيم ، وتحطمت المثل التي آمن بها هؤلاء الشباب ردحـا من الزمن ، كما آمن بها الجيل الذي سبقهم .

ويوسف الشاروني هو احد هؤلاء الشباب ، وان كان يتميز عنهـم بمقدرة فائقة على التعبير عن نفسه ، وعن المشاكل التي تخالج المجتمع في عصر كهذا العصر الذي نعيش فيه .

وكتاب العشاق الخمسة هو مجموعة من القصص ، اتخذت موضوعا واحدا ، وان اختلفت في الاشخاص والحوادث . هذا الموضوع هـو موجة القلق التي تسود القرن العشرين ، نتيجة لتقدم الحضارة ، ونتيجة لسيطرة الآلة على التفكير البشري اولا ، ثم على عواطف البشر ونوازعهم بعد ذلك . ذلك ان يوسف الشاروني يؤمن بان هذا العالم وحدة واحدة ، وان اي حادث يقع في أقصى الارض يتردد صداه في ادناها ، وان أي اتجاه في الثقافة او في الفكر ، او في تطور الحضارة بمعناها العام ، سيؤثر من غير شك في العالم كمجموع واحد لا يتجزأ ، فالبشرية ترجع الى اصل واحد ، ومن ثم فان مكونات النفس الانسانية وميولها لا تختلف في قليل او في كثير في بقعة من بقاع العالم عنها في أي بقعة اخرى .

ولعل ابرز ظاهرة استطاعت ان تلفت انظار الادباء والمفكرين فـي العالم ، الى الصلة القوية التي تربطهم وتوحد بينهم كاعضاء عامليـن في المجتمع الانساني ، لعل هذه الظاهرة هي ظاهرة الحرب . فان الحرب لا تعني التطاحن والانشقاق فحسب ، ولكنها تحمل الى جانب ذلك معنى آخر ، فانها تذكر الانسان دائما بان البداية والنهاية قريبتان ، وان فكرة اللانهائية والخلود فكرة عرضية بالنسبة اليه ، ذلك انها تبرز في الانسان عوامل الغرور ، وهذه العوامل ترتبط ، فيما تقول الاديان واساطيـر الشعوب ، بنشأة الانسان .

ومهما يكن من شيء ، فقد قصد يوسف الشاروني في كتاب العشاق الخمسة ، وهو خلاصة ما انتجه قلمه في عشر سنوات ، الى أن يرسم صورة واضحة للجانب المظلم في حياة البشر في القرن العشرين بعـد الميلاد . وليس معنى ذلك ان يوسف يؤمن بوجود جـانب آخر للحيـاة ، بالاضافة الى ذلك الجانب المظلم ، وان كنـا نلمس في ثنايا كتابته بصيصا من امل في ان تستقر امور العالم على نحو اكثر امنا وسلاما .

وعلى ذلك فان الفلسفة التي تختفي وراء كتاب العشاق الخمسة هي فلسفة قدرية مادية اولا وقبل كل شيء .

قدرية لانهـا تؤمـن بفكـرة الصراع بين النفس الانسانية ، وبين القـوة الهائلة التي تدير دفة العالم . وهو صراع مرير ما في ذلك شك ، لان النفس الانسانية متعددة الميول ، متعددة الرغائب ، شديدة الطموح. وهي لذلك تحارب هذه القوة الهائلة في ميادين مختلفة ، وتوزع طاقتهـا ما بين هذه الميادين ، وينتهي الامر دائما ، كما انتهى بقادة الفكر ، واولـي الامر الذين يسوسون القرن العشرين بحالة هي أشبه بالخراب والدمار منها بأي شيء آخر .

العشاق الخمسة هم نفر من شباب الجامعة في مصر « شاهـدوا الماضي ينطفيء وراءهم ، وشاهدوا المستقبل لغيرهم ، ولم تستطع اقدامهم ان تثبت في الحاضر » « كانوا يكافحون في بطولة حتى تتحطم اعصابهم ، وتتمزق الوحدة احشاءهم ، فيفقدوا الثقة في انفسهم وفي العالم ، ومن هذا الجيل كانت مصر تتطلع الى القادة الذين سينقذونها من الانحـلال والتأخر ، ومن كل ضروب الشقاء الذي تعانيه » .

هؤلاء الشباب من طلبة الجامعة كانوا يحملون في طيات انفسهم بذور البطولة الهوميرية ، رغم ما يحيط بهم من مظاهر الفقر والعوز ، وكانـوا يعيشون ايضا في بيئة تحس في نفسها جدارة بان ترتفع الى مرتبتهم ، فهناك مكوجي « الامراء » ، وصالون « السعادة » ، ومطعم « الحرية » ، وبقالة « الامانة » ، ومقهى « الوطنية » . كانت البيئة تحس نفسها جديرة بهذه المكانة العلوية ، وكان كل شاب من هؤلاء الشباب الخمسة ، يمثل احـد مراكز الصراع بين الانسانية وبين القدر ، بين الانسانية في طموحها نحو تحقيق حياة افضل ، واكثر استقرارا ، وبين القوة الخارجيـة الهائلة التي تصطرع معها .

ولسنا نريد هنا ان نقول ان اساس الصراع في قصص يوسف هو اساس ميتافيزيقي ، كما هو الحال بالنسبة لكاتب كتوماس هاردي مثلا ، حين آمن بوجود ارادة خارجة قوية واضحة المعالم ، تتحكم في مصير العالم وتسيطر عليه . ذلك ان هذه القوة المقدرة لا تظهر في قصص العشـاق الخمسة ، بشخصية متميزة كما تظهر في قصص هاردي وانما نحـن ندرك آثارها في افعال الانسان وتصرفاته . في قصص هردي يمكن ان نعد القدر هو الشخص الشرير الذي يقف امام البطل في الرواية ، اما فـي قصص يوسف الشاروني فان الانسان هو الذي يقف امام الانسان « فـكل مأساة تحمل معها عنصر خلاصها ، وان النور يضيء في الظلمة » . ومهما يكن من شيء فذلك موضوع سنطرقه فيما بعد حين يتاح لنا الحديث عن الفن الروائي عند يوسف الشاروني بصورة اكثر تفصيلا .

غير ان فكرة القدر تعد جزءا من الفلسفة العامة التي تسيطر على يوسف الشاروني في كتاب العشاق الخمسة ، بل ان الواقع انها تمثل المقدمة لهذه الفلسفة . فالايمان بالقدر يرتبط عند يوسف بايمانه بالوحدة الواحدة التي يتكون منها هذا العالم . وان كان ذلك لا يتضمن ايمانا بـان تطور الاحداث في العالم انما هو سلسلة مترابطة حتمية ، او في تعبيـر اهل الفلسفة ايمانا بالعلة والمعلول . فان مثل هذه الفلسفة تؤدي الـى نوع من الاستقرار والهدوء النفسي لانها تستند الى اساس علمي من ناحية ولانها انتهت آخر الامر الى تفسير لمجريات الامور في العالم . وهـذه الفلسفة هي التي اتخذها لنفسه كاتب كتوماس هاردي ، بل لعلها كانت

(١) القيت هذه المحاضرة في نادي الخريجين المصري بالقاهرة

الفلسفة السائدة في أوائل القرن العشرين ، والتي ترجع في نهاية الامر الى ارسطو .

ان الفلسفة التي آمن بها يوسف الشاروني ، فلسفة تختلف في طبيعتها عن هذا وذاك . فانه وان كان يؤمن كما ذكرنا من قبل بوحدة الطبيعة الانسانية التي مرت بتجارب عنيفة ، أظهرت قوتها وضعفها في آن واحد ، وخاصة التجارب التي مرت بها في القرن العشرين ، الا انه لا يستطيع ان يجد تفسيرا واضحا للسبب الذي ادى الى هذه التجارب ، وانما هو يعزى الامر اولا وآخرا الى الجانب المظلم في الطبيعة الانسانية ذاتها . لقد مجد يوسف الانسان ، كما مجده المفكرون من اهل القرن العشرين ، وجعله المركز الرئيسي الذي تدور حوله احداث العالم . ومن هنا كانت المادية التي تلغي الوجود الميتافيزيقي للعالم

وعلى كل فان اتجاه يوسف الشاروني في القصة يعد امتدادا لما يسمى في الادب الانجليزي بمدرسة التيار الشعوري Stream of consciousness التي ينتمي اليها جيمس جويس وفرجينيا وولف من كتاب القصة في الادب الانجليزي الحديث . تلك المدرسة التي نقلت ميدان الصراع في القصة الى النفس الانسانية ذاتها ، واعتبرت ما يحدث في الخارج انطباعات قد تكون مترابطة وقد لا تكون في هذه النفس ذاتها . وان كانت هذه المدرسة لا تلغي العلاقة بين النفس والخارج ، أي بين الفردوالمجتمع.

ففي قصة كقصة « هذيان » نجد مثلا واضحا لهذا الاتجاه .

نجوى هو اسم الفتاة التي احبها ، وديعة وجبانة ، مثقفة ولا لباقة في تصرفها وذات جسد جميل . وانا اعرف انني انسان ملعون ، فقد شاهدت اهلها ذات يوم وقد صبغوا وجوههم بالنيلة ، وهم يلطمون ، وانا في حاجة الى خمسة مناديل ، وجوربين ، ومجموعة محاورات افلاطون . هذه موسيقى شهرزاد لريميسكي كورساكوف لا تزال في نفسي اصداؤها ، فقد كان يحكى ان ملكا اسمه شهريار وجد امرأته تخونه مع عبد اسود فقتلها ، وجعل يتزوج كل ليلة بامرأة وفي الصباح يقتلها ».
تخونه مع عبد اسود فقتلها ، وجعل يتزوج كل ليلة بامرأة وفي الصباح

ومن الطبيعي ان تكون هناك رابطة نفسية ، تربط بين هذه الافكار المشتتة ، ذلك ان هذا الفتى المعذب بطل مجهول بين ملايين الابطال الذين يتعذبون في صمت ، وليس لديه شاعر يذيع بطولته في انحاء الارض ، وانه احس احساسا عميقا بما يضطرب فيه هذا العالم من حياة بائسة مرة مظلمة ، فصرخ من اعماق قلبه « أضيئوا الانوار » .

ولعل هذه هي الصرخة التي يود يوسف الشاروني ان تمتلىء بها اسماع القادة واهل الراي في القرن العشرين . اولئك الذين اعمتهم الحضارة عن تدبر المصير الغادر الذي يحيق بالانسانية جمعاء ؟ بعد ان ضاعت بين ايديهم المثل التي دافع عنها الخيرون قرونا وقرونا .

في قصة زيطة صانع العاهات مثل رائع حي ؛ يسخر فيه الكاتب من هؤلاء القادة الذين سيطروا على العالم . فكما صنع المصنع السيارات، وكما صنعت المصانع القنابل ، وكما صنع المسيح المعجزات ، فقد صنع زيطة العاهات . وزيطة هذا فتى من هؤلاء الفتية ، الذين نشأوا في التراب ، في زقاق مظلم من ازقة القاهرة ، نشأ على الوحل ، وعاش فيه ، حتى اصبح يعد نفسه قطعة من الارض التي يعيش عليها . عرف نفايات الطعام ، والهوام السابحة في المياه الراكدة ، بل لعله قد انس اليها ، واصبح كما يقول الكاتب يجد لذة حين يلتصق بالطين ، يتصنع الاخرون الجزع منها . ومن هنا كان افتراقه عن الناس ، وتفرده عنهم . ومن هنا ايضا ادرك « المعنى المخلص للعاهة والقيمة المطهرة للتشويه » .

ويستطرد الكاتب كأنما يحكى لنا سيرة بطل عظيم ، فينبؤنا ان فترة من حياة زيطة مجهولة لدينا ، غير اننا عرفناه بعد ذلك ، ذلك الفنان الرائع الذي يخلق شيئا من لا شيء ، حين يشوه وجها ، او يقطع ذراعا ، او ما الى ذلك من فنون التشويه التي يتخذها نفر من الناس وسيلة لاستدرار العطف والاستجداء والى هنا يعد الامر طبيعيا .

غير ان زيطة في حقيقة الامر لا يختلف في قليل او كثير عن الشخصية الاسطورية التي تمثل المنقذ . تلك الشخصية التي تظهر بين بني البشر آخر الامر لتمنحهم الحياة بعد العدم ، وتحيي في نفوسهم الامل، وتبعث فيهم القوة والمقدرة على الصراع .

زيطة هو الفنان الخالق ، الذي استطاع بفنه ان يجد وسيلة للحياة لهؤلاء الناس الذين وقفت صحتهم وفتوتهم دون تحقيق مآربهم . زيطة اذن هو العالم الحديث ، هو مفكر القرن العشرين ، ورجل السياسة فيه ، هو ذلك الرجل الذي يمثل التطور الحديث الذي ادى الى انقلاب المثل والقيم ، حتى اصبح من ضرورات الحياة ووسائل النجاح فيها ان يتنازل المرء عن اي صفة لها سمة اخلاقيات الشباب اليافع .

ولئن كان « زيطة » يرضى حاجته ، وحاجة المجتمع على نطاق فردي ، فان العالم ، وقادة الفكر والساسة في القرن العشرين قد أرضوا هذه الحاجة على نطاق جماعي ، فقامت الحروب ، واصبحت صناعة التشويه مبدأ عاما ، ومثلا اعلى لكل الناس الذين يديرون امور الحياة في هذا العصر .

في كل قصة من قصص العشاق الخمسة تجد هذا الاتجاه ، في قصة القيظ ، وقصة الوباء ، ودفاع منتصف الليل ، وقديس في حارتنا، وغيرها من القصص . غير ان هناك قصصا لجأ فيها الكاتب الى تصوير بعض المواقف الفردية ، وان كان ذلك يتضمن ايضا تصويرا اعم واشمل للمجتمع الانساني . ولنضرب مثلا لهذا قصة العيد . ففي هذه القصة يركز القصاص جهوده على تصوير الاثر الذي احدثته البيئة المضطربة في احد افرادها . وبطل القصة خادم بسيط ، توفي ابوه ، واتت امه يوم العيد لتصحبه معها الى البلدة . ولعل ابلغ تصوير لما يداخل هذا البطل الصغير من فقدان للامن والثقة ، انه حالما وصل الى البلدة اخذ يعدو الى البيت « مخافة ان يحسدني الناس لانهم لا يرتدون ملابس نظيفة جديدة كملابسي ، ولاني ابيض البشرة ، احمر الخدين ، اصفر الشعر ، فاذا راوني لن يلبثوا ان يقولوا : « صلاة النبي ، على عبد الفتاح ، شوفوا ياختي ابيض وذي الفل ازاي » . ذلك الى جانب ما في هذه القصة من تصوير للبيئة المصرية الصميمة .

ومهما يكن من شيء فقد قصد يوسف الشاروني في كتاب « العشاق الخمسة » الى تصوير بعض المواقف الفردية التي تحمل في طياتها رمزا للموقف العالمي المضطرب . وهو لهذا السبب يعد فتحا جديدا في عالم القصة العربية باسره .

بقي لنا ان نعالج نقطة هامة تناولها الكاتب ، وهي علاقة الرجل بالمرأة ، وارتباط هذه العلاقة بالفلسفة العامة التي تختفي وراء هذه القصص . فكما تمثل هذه الفلسفة موجة القلق التي تسود العالم نتيجة لاصطدام المدنية الحديثة بالمثل والاخلاق ، او بمعنى ادق نتيجة لاصطدام العلم بالغيبيات ، فان الجانب الجنسي ، وهو جانب حيوي بالنسبة للانسان ، قد تأثر من غير شك بهذا الاتجاه .

ويظهر هذا واضحا جليا في اختلاط النزعة الجنسية في بعض ابطال يوسف بالاحساس بالذنب . لان البيئة المحافظة قد فرضت بعض القيود على هذه النزعة ، واصبح الوضع التنفيذي لها مشوبا بالخطيئة .

ويتمثل هذا الاتجاه واضحا جليا في قصة « جسد من طين »، حيث تشعر الفتاة « ليزا » بان لجسدها عليها حقا ، وان لها فرديتها الخاصة بها . استطاعت اول الامر ان تجد منفذا لهذا النداء في الاحلام ، كما كانت تطرد الشيطان بالقراءة في الكتاب المقدس . ولكنها لم تستطع في نهاية الامر ان تقف امام نداء الجسد ، فانهارت امام جارها طالب الطب ، وانتهى بها المطاف بالانتحار .

وفي قصة العدم الثامن ، قصة حب بين الجندي وصديقته حسنية، ولكنها قصة لا تنتهي الى شيء ، الا الى قبلة عابرة ثم الفرار . والى جانب ذلك ، فان الاطار الذي وقف فيه الحبيبان يتمثل في رائحة كريهة تفوح من مدخل الدار ، بينما زحف صبي صغير على تراب الارض ، تاركا وراءه خطا طويلا من براز اصفر سائل ، واتت حسنية وهي الحبيبة

بورقة مسحت بها البراز .

ومعنى ذلك ان الكاتب لا يصور لنا عاطفة الحب ، علوية طاهــرة منزهة ، كما هو الحال مع بعض الكتاب والشعراء الذين يربطون بينهـا احيانا وبين عاطفة الدين ، في شيء يشبه التصوف ، او يجعلون منهـا الدين نفسه كما فعل و.هـ. لورنس القصاص الانجليزي المشهور . كما انه لا يصور الحب في الصورة الجميلة التي صورها به شكسبير عندما وقف روميو في المنظر المشهور والمعروف في ادب شكسبير بمنظر الحديقة The garden scene يناجي حبيبته جولييت في أعلى الشرفة ، ذلك المنظر الذي يباعد فيه شكسبير بين هذه العلاقة وبين أي شهوة جسدية .

وكلمة اخيرة نقولها حول التركيب الفني لقصص العشاق الخمسة. فقد ذكرنا في مطلع هذا المقال ان الفن الروائي في هذه القصص يرتبط بالفلسفة المسيطرة عليها . فكما ان يوسف يؤمن بان هذا العالم ، رغـم الصلة الوثيقة التي تربط اجزاءه بعضها بالبعض الاخر ، يجري عـلى سنن غير منتظم ، لان القوة الخفية التي تسيطر عليه تريد ذلك ، وكذلك كانت الحياة انما هي سلسلة من الاحساسات المتناقضة والمتشابهـة في حين واحد ، لا نفهم لها مغزى ولا هدفا . وكان لذلك من غير شك أثـره في تكوين القصة عند يوسف ، فهو لا يبدأ من بداية معينة ، ولا ينتهي الى نهاية مقدرة ، كما انه لا يتبع المبدأ الذي سنه ارسطو ، والمعروف بمبدأ الوحدات الثلاث ، الزمان والمكان والعمل ، فيوسف الشاروني كما ذكرنا من اتباع مذهب التيار الشعوري ، ولا يستطيع الانسان ان يحدد نقطة لبداية هذا التيار او نهايته ، وانما يتلخص الامر في انطباعـات متتالية قد لا تكون مترابطة ترابطا منطقيا . خذ مثلا قصة « دفـاع منتصف الليل » فهي قصة رجل قد اشترى ليفة ، وهي حاجته الحقيقية للخلاص مما هو فيه ، قصة رجل يشعر انه مطارد ، « وان عينـين لزجتين تنتظرانني في مكان ما ، وتتعقبان طريقي لسبب ما » ... ، ثـم يمضي هكذا ، من ركوب سيارة اجرة ، الى مغادرة السيارة الى السينما، ثم خروجه الى الخارج في شوارع مظلمة ، وشوارع اكثر اظلاما ، وقد كانت الظلمة هي ملجأه الوحيد ، وينتهي به الامر الى ان يفقد «الليفة» حين يصل الى منزله ، بعد انه كان يمني نفسه بحمام رائع يتخلص فيه من العرق ، وادرك انه امام قوى تسلبه كل شيء ، وتفقده في عراكـه معها كل شيء حتى الليفة التي كان يحلم بما ستنعم به عليه من حمـام رائع ، وسعادة مطهرة . وينتهي به الامر الى شيء يشبه المحاكمة ، لان رجلين من رجال البوليس اشتبها فيه ، ولكنه صمم في عزم على الدفاع عن نفسه ، صمم على ان يعلن امام الجميع انه ما اراد يوما ان يكون بطلا، او رجلا مشهورا ، بل كانتا تطمئن اقدامه للخطوة التالية .

وبعد فان كتاب « العشاق الخمسة » يعد في نظري فتحا جديدا في القصة العربية الحديثة ، لان كاتبه استطاع ان يتحرر من قيود الزمـان والمكان ، والتقاليد التي تسيطر على كتاب الادب العربي في العصرالحديث، واستطاع ان يخرج الى ميدان اعم واشمل ، فنظر الى المواقف الجزئية التي تمر بحياتنا في نطاق المشاكل الانسانية لعامة .

القاهرة — **عـادل سلامـة**

ليسانس امتياز في الادب الانجليزي

النواضر في الجزيرة العربية

للسيدة وداد محمصاني الدباغ

ليس من السهل (1) أن يدرك المرء شيئا من موضوع هذا الكتاب قبل انيتاح له ان يقراه، فعند ذاك فقطيدركان ما يقصد بهذا العنوان هو النساء اللواتي برزن في التاريخ العربي بمحامد وافعال استحقت الشهرة البعيدة . والمراة هي نضرة الحياة وبهجتها ، ولعل هذا هـو

السبب في ان تعمد المؤلفة الى هذه التسمية ، لما تدل عليه من نضرة المرأة ولطفهـا .

وكتاب (النواضر) مجموعة اقاصيص تاريخية تدور على عدد من نساء الجزيرة العربية اللائي لمعت اسماؤهن في مجالات مختلفة ، في السلم او الحرب ، وفي جاهلية الجزيرة وفي بدء اسلامها . واولئك النسوة ـ او النواضر ـ المشهورات اللواتي يتحدث عليهن الكتاب هن : حليمة بنت الحارث الغساني ، المشهورة بالحرب المعروفة باسمها « يوم حليمة » ـ وجليلة بنت مرة التي ثارت حرب البسوس بسبب قتل اخيها جساس بن مرة لزوجها كليب سيد تغلب ـ وليلى بنت لكيز بن مرة ، المشهورة باسم ليلى العفيفة ، وصاحبة القصيدة المشهورة التي من مطلعها : «ليت للبراق عينا ... » ـ وتماضر بنت عمرو بن الشريد ، الشاعرة المخضرمة الشهيرة باسم الخنساء ـ وخديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت ابي بكر ، زوجا النبي واكرم نسائه عليه ـ وهند بنت عتبة ـ وخولة بنت ثعلبة ـ وسكينة بنت الحسين ـ وعائشة بنت طلحة .

ولكل من هؤلاء النساء العربيات المشهورات قصة واخبار ترويها المؤلفة باسلوب سهل شائق ، وبعبارة عربية منتقاة ، فيها نصاعة واناقة . وهي تحاول ان تبرز في قصصها ما تستطيع المرأة ان تعمله او ان تساهم بعمله في المجتمع ، وان تكتب به اسمها خالدا للاجيال الى جانب اسم الرجـل .

ونحن نجد بين هؤلاء النساء ـ او النواضر ، كما تدعوهن المؤلفة ـ الشاعرة الفنانة ، والزوجة الوفية ، والوطنية الغيورة ، كما نجد فيهن المحاربة الشرسة ، والمحرضة الحقودة ، فالمرأة خير ورحمة اذا فسح لها مجال الخير والرحمة ، وهي شر اذا اريدت على الشر ، وفي وسعها ان تبرز في كل حالاتها . فلقد برزت الخنساء في شعرها ، وخديجة وعائشة بوفائهما واخلاصهما لزوجهما ولرسالته ، وحليمة بنت الحارث الغساني بالعمل لاجل انتصار قومها ، وسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بمجالسهما الادبية والفنية الغنائية .

والى جانب هؤلاء النساء الخيرات الطيبات تقف البسوس خالة جساس بن مرة تحرضه على قتل زوج اخته كليب ، فتثير لذلك حربا بين قبيلتين شقيقتين استمرت اربعين عاما ، وتقف هند بنت عتبة التي حاربت الرسول وجماعته حربا شرسة عنيدة ، ولما استطاعت ان تظفر بعم النبي ـ حمزة بن عبد المطلب ـ قتيلا في ميدان المعركة ، لم تتورع عن ان تنتقم من جثته انتقاما وحشيا يبتعد كل البعد عن طبيعة المرأةالرهيفة، وشعورها الانثوي الرقيق الناعم ، فبقرت بطنه وانتزعت كبده من داخله وراحت تلوكه ، فلما لم تطق ان تبتلعه لفظته بازدراء ووحشية . ولكن هذه المرأة نفسها مع ذلك تقول الشعر ، وتتغنى به ، وتفاخر به الخنساء. وغريب ان تجتمع هاتان الصفتان معا في امرأة . ولكن هندا هذه لا تلبث ان تدخل في الاسلام ، وتمضي الى الرسول على رأس وفد من النساء يبايعنه ويدخلن في دينه . لقد كانت زعيمة في جاهليتها وفي اسلامها، فليس عجيبا ان يخلدها التاريخ .

وبعد فليست هؤلاء النساء اللواتي ضم كتاب (النواضر) اخبارهن بمجهولات ، فلهن في كتب التاريخ صحائف شهيرة ، ولهن في حياة العرب الاجتماعية والدينية والسياسية والادبية ، في جاهلية العرب وفي صدر اسلامهم ، مقام مرموق ، ولكن السيدة وداد محمصاني الدباغ قد تعمدت ان تنتقي في كتابها هذا من اخبارهن ما انتقت ، وسجلته باسلوبها القصصي الطلي ، في هذه الفقرة من عمر التاريخ التي تجاهد فيها المرأة العربية لتفتح لنفسها ابواب الحياة الحرة وابواب التاريخ ، فكأنما ارادت المؤلفة بقصصها التاريخية الشائقة ان تضع امام هذه المرأة الجديدة المتطلعة الى الامام ـ ولا سيما امام اجيالها الناشئة ـ نماذج من اختها العربية القديمة ، وكأنما تقول ان في وسع المرأة ان تعمل وتتفوق ، وان تشارك الرجل في كل ميدان ، لا تتخلف عنه ولا تشذ . فالكتاب مجموعة نماذج وعبر ، من نساء دخلن التاريخ من اوسع ابوابه، في زمن لم تتوفر لهن فيه المدارس ولاالكتب ، ولا شيء من وسائل المعرفة، ولا من وسائل المواصلات السريعة التي تختصر الابعاد ، او تهزأ بالحواجز والسدود .

اترى المؤلفة أدت في كتابها هذا رسالة الاديب الى قومه ، حين جعلت من الماضي عظة للحاضر والمستقبل ، وحين ارادت ان تجعل من حوافزها للمرأة العربية الحديثة في عصر «الطاقة الذرية ، نماذج من اختها العربية العريقة في بدائية الحضارة ، وفي بيوت الشعر التي تقف في قلب الصحراء عرضة لغزوات الرمال وسوافي الرياح ؟

ان في بطون التاريخ لابلغ العبر والنماذج ، والماضي هو طريق الحاضر والمستقبل ، والعظمة الحقة لا تبالي بالبدائية والصحراء ، ولا بالمدنية وتفتق العقول عن آيات العلوم المدهشة ، فهي تشق طريقها في كل مكان وزمان .

والعودة الى التاريخ تشحذ الهمم ، وتفتح النفوس ، وتدفع الى الامام بحماس ورغبة صادقين . فلتسر المرأة العربية اليوم ، ولتتفوق على اختها الصحراوية البدائية في الامس ما دامت تملك من وسائل العمل والتقدم ما لم تملكه عصور التاريخ السابقة .

ان هذا ما تهدف اليه مؤلفة (النواضر) من كتابها ، فقد بدأته بمقدمة خاطفة قالت فيها ما يلي : « المرأة العربية في هذه الايام متحفزة للوثوب ، تريد ان تعمل وان تلقي عنها اثواب الونى ، وتريد ان تجد كل الجد ، لتعوض ما فاتها في سني الركود . وهذه صفحات تعود الى تاريخها القديم ... وتصور حياة نساء في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، ممن كان لهن أثر فعال في بيئتهن وفي تاريخ قومهن » .

ولقد بدأت المؤلفة كتابها بعد المقدمة الخاطفة بتمهيد تاريخي موجز عن حالة المرأة العامة في الجاهلية وصدر الاسلام . وهو بحث ـ على ايجازه ـ لا يخلو من فائدة ، ويستحق الاهتمام .

ولم يكن هدف المؤلفة واحدا في هذا الكتاب ، وهو هدف تمجيد المرأة العاملة التي تترك اثرا بارزا في الحياة يؤهلها لخلود الذكر ، بل كان لها هدف آخر كذلك ، فبينما تجتهد في ان تروي اخبار النساء العربيات اللاتي خلدتهن اعمالهن ، كانت تجتهد كذلك في مواطن متعددة من الكتاب في ان تبين فضل الاسلام على المرأة العربية ، وما حباها به من سنن وامتيازات لم تكن تعرفها في جاهليتها ، ولعل من ابرز تلك المزايا والمنن منع الواد ، ورفع مكانة المرأة ، ومنحها حقا شرعيا في الارث ، وغير ذلك .

ولقد وفقت المؤلفة توفيقا غير قليل في اصابة هذين الهدفين معا ، وفي عرض مواضيعها باسلوب بارع رشيق ، تمتزج فيه القصة والتاريخ ، ويجمع بين البحث والسرد ، والتحليل والحوار ، والتشويق والاثارة ، مما لا نشك في انه يترك أثره في نفوس القراء .

عمـان　　　　عيسى النـاعوري

الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية

لجورج شهلا وعبد السميع الحربلي والماس شهلا حنانيا

٦٠٠ صفحة ـ مطبعة الكشاف ـ بيروت

الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية كتاب اسهم في تأليفه ثلاثة من الاساتذة المتخصصين بهذا العلم : جورج شهلا ، عبد السميع الحربلي ، الماس شهلا حنانيا ، ثلاثة علماء يجد اسم كل منهم خلفه سلسلة

(١) اذيع من محطة القدس

من الرتب والدرجات العلمية اشعر نحوها ـ لاول مرة ـ بالاحترام ويلوح لي انها قد استردت كرامتها على ايدي هؤلاء المؤلفين بما امتاز به كتابهم من سعة الاطلاع وعمق الثقافة ووضوح الفكر وسيطرة الروح العلمية .

ستمئة صفحة من القطع الكبير تضم اربعة ابواب وخمسة وعشرين فصلا ، عدا فهارس الكتاب ومراجعه التي تنيف على المئة والخمسين مرجعا عربيا واجنبيا . يتحدث فيها المؤلفون عن التربية واهدافها واسسها النفسية والاجتماعية ومكانتها في حياة الفرد والمجتمع . ويفيضون في الحديث بتبيان معنى التربية وضرورتها ووظائف التعليم واصوله وطبيعة المتعلم والتعلم وعلاقة التربية باللغة واستخدامها لتنمية الفكر وتقوية الشخصية . ثم يعرضون لشتى انواع التربية من خلقية ومهنية وعيلية ووطنية واستجمامية ويختمون كتابهم بتناول مناهج التعليم واعداد المعلمين متحدثين عن التعليم الالزامي والتربية الاساسية وتربية البنات غير متحاشين البحث في التربية والديموقراطية والتربية والدولة والقومية والعالمية في التربية .

تقرأ هذه الفصول كأديب فتحس بان الثورة التي تضطرب بها الحياة الادبية اليوم هي نفسها التي تضطرب بها الحياة التربوية الحديثة . وانه كما في الادب كذلك في التربية . في الادب ثورة على الابراج والتحليق في عوالم مجردة ، ودعوة الى الاتصال بالحياة والائتلاف او التكيف مع واقع المجتمع « ان جميع العوامل التي تدعو الى غنى الابداع وفقره مردها في نهاية الامر الى مبلغ القدرة على « التكيف » مع الاوضاع الجديدة فالمبدع ليس من يأتي بالمعجزات او ينتظر هبوطها . انه من تحرر من قيود اسلوبه وانطلق من اسار عاداته ، وصارع انانيته لينخرط في حياة امته ومجتمعه يقبس منها وحيه ويدرك من خلالها حقيقة المهمة التي تنتظره ومطالب المرحلة التاريخية التي عليه ان يحمل عبء قيادتها وتوجيهها(1) » .

والى مثل هذا يشير مؤلفونا الافاضل في ايضاحهم لمفهوم التربية الحديثة : « ان التربية عملية تكيف ... والمدرسة التي تقف في اداء وظائفها عند حد النقل غير مجاوزة اياه الى اصلاح شأن المجتمع تكون مقصرة ومتخلفة .. والتربية التي تحتاج اليها البلاد العربية يجب ان تستمد عناصرها من الحياة اليومية وحاجات البلاد .. ومنهج التعليم اذا كان في عزلة من مجالات الحياة مني بالاخفاق وضعف عن تحسين الاحوال الاجتماعية ورفع مستوى الناس ، وعجز عن خلق اوضاع تقدمية » .

والادب بعد في اتجاهه الحديث يختلف تماما عن الادب التقليدي الذي ظل سائدا حتى زمن قريب فالخطة في الابداع لم تعد تتجه نحو انتاج « ادب للادب » بل نحو انتاج « ادب للحياة » والهدف من الادب لم يعد المتعة واللذة والايناس بل الخير العام وتحسين اوضاع المجتمع واسعاد المواطنين والدفاع عن حقوقهم والنضال من اجل الكرامة الانسانية . والوسائل التي كان يستخدمها الاديب لاظهار براعته اللغوية وتفننه في تقليب العبارة على سائر ضروب القول اصبحت ممجوجة وحل محلها الصدق في الشعور والاخلاص في العاطفة والكلمات الحية المعبرة عن حرارة الواقع وقوة التجربة .

وهكذا الحال تماما في التربية فأنت ترى بعد قراءة هذا السفر النفيس « ان التربية الحديثة ترى ان الاختبار لا يقوم بتحصيل « العلم من اجل العلم » بقدر ما يقوم بتطبيق هذا العلم على متطلبات الحياة اليومية والاستفادة منه في ما يعود بالخير على الفرد والجماعة معا (ص ٥٩) وان التربية يجب ان تساهم في معالجة الامراض والمآسي الاجتماعية فتعلم الانسان ان يستخدم تقدمه المادي في سبيل الخير والحق والجمال . وتعلمه ان يحترم شخصية اخيه الانسان محرما استغلالها واستعبادها ، وتعلمه ان يضع حدا للجهل والفقر والمرض ، وان ينظم الانتاج والاستهلاك بحيث توزع خيرات الارض على الناس توزيعا عادلا . كما تعلمه كذلك ان يسوي الخلاف بينه وبين جيرانه بطرق سلمية من غير ان يلجأ الى الظلم والعدوان .. وتعلمه ان يبطل الحروب والمجازر ويعتبر القتل والنهب والسلب جرائم فظيعة سواء كان المجرم فردا ام جماعة (ص ٤٥) .

ثم ان الادب في اتجاهه الحديث ايضا ينزع نزعة وطنية ديموقراطية انسانية ويستمد موضوعاته من بيئتنا وتراثنا واوضاعنا الوطنية ويحارب ضد الانعزال والرجعية ويشترط في الاديب المتجدد الثقافة الشاملة وعدم الوقوف من مشاكل الامة موقف الحياد .. ويحث على مقاومة الخوف واليأس والقلق والميوعة الفكرية ويلح على الحرية التي لا يستطيع الادب العيش الا في رياضها .

وكذلك التربية الحديثة فهي توجب على منهج التعليم ان يحتضن التربية الوطنية لاعداد مواطنين صالحين ، وتفرض على المدارس ان تفتح ابوابها لجميع ابناء الامة دون تمييز بين فقيرهم وغنيهم وتلح على « ان تعتبر شؤون الحياة ومشاكلها المحور الذي يدور عليه منهج التعليم في المدارس العربية فالمدارس التي لا تعنى بهذه الشؤون تصبح منعزلة عن العالم (ص ٣٤٧) وتطلب ان يضرب بالمناهج المتصلبة عرض الحائط ويوضع مكانها مناهج مرنة حية تنبثق من تراثنا الثقافي واوضاعنا

ولا ترى ان يلزم المربي جانب الحياد في ما يتصل بعدد كبير من المشاكل التي تواجهها البلاد في الوقت الحاضر « فاهم وظائف التربية في البلاد العربية تحرير الجماهير من الامية والفقر والمرض والخرافات (٣٤٩) ولن يكون في طوق المدرسة العربية بعد الان ان تحصر جهدها في تعليم القراءة والكتابة والحساب او في التعليم النظري .. بل الجدير بها ان تعالج القضايا التي تواجه الاولاد في حياتهم اليومية مساعدة اياهم على التماس حلول مرضية لها . (ص ٣٥٠)

وتدعو الى الاحتراس من الوقوع في الانعزالية .. فقد مضى العصر الذي كانت مهمة الدرس فيه اعداد النشء لدار البقاء لا لدار الفناء

(1) عبد الله عبد الدائم ـ مجلة الاداب العدد ٢ السنة ٢

بوسائل تقتصر على حشو الدماغ بالالفاظ الجوفاء والرموز التي لا معنى لها ولا فائدة منها . وشنت الحرب على الرجعية التي تدعو الى التمشي على المبدأ القائل ببقاء القديم على قدمه والابتعاد عن الجديد لمجرد كونه جديدا واصبح من المعلوم لدى كل الناس ان التربية لا تزهر ولا تثمر الا في جو تتوفر فيه حرية الفكر والقول والعمل .

كما فشلت الطريقة التي كان يعد فيها معلما كل من ختم كتبا معينة ووعى في صدره شيئا من علوم الاولين واستظهر كثيرا من الاقوال المنظومة والمنثورة.. وباتت التربية الحديثة تطلب معلمين يقدرون المسؤولية ويهمهم امر المجتمع .. معلمين اصحاب مواهب نميت بالتربية الثقافية والمسلكية وذوي مؤهلات تجعل منهم اولي فلسفة تربوية رشيدة ووعي اجتماعي يظهرهم بمظهر المعلمين النامين المتجددين (ص ٣٨٠) .

كل هذه المفاهيم وغيرها من النظريات العلمية والتجارب السيكولوجية والتطورات التاريخية والدراسات الاجتماعية وسائر ما يتعلق بهذا الفن كلها يعرض لها مؤلفو كتاب « الوعي التربوي » في تسلسل منطقي وتبويب مدهش تأسرك فيه هذه السلاسة في اللغة والسهولة في التعبير والوضوح في الفكر والتعمق في الثقافة مضافا اليها جميعها التجرد في البحث والالمام الباهر بالموضوع من جميع جهاته بصورة تجعل من الكتاب مرجعا من اضخم مراجع هذا العلم في مكتبتنا العربية .

واما بعد فلست اجد ختاما لكلمتي افضل من الكلمة التي اختتم بها الدكتور قسطنطين زريق مقدمته للكتاب اذ قال : « فاذا لم يؤد هذا الكتاب اية خدمة الا ان ينشر في مجتمعنا العربي هذه وسواها من المبادىء ، ويوضح المفاهيم الانسانية للتربية الصحيحة لكفاه فضلا..

انه خلاصة سنين طويلة قضاها المؤلفون في معالجة شؤون التربية نظريا وعمليا . فاحر بكتاب كهذا ان يكون له اثره في بناء التربية العربية الجديدة على اصول سليمة . وحسب مؤلفيه ان يبلغوا هذه الغاية فيساهموا في ايقاظ « الوعي التربوي » المدرك المتفتح المحقق للصفات التي عرضوها في خلال بحثهم » .

احمد ابو سعد

الشعر وقضيته في الادب العربي الحديث

ابراهيم العريض ــ ١٦٨ صفحة ــ منشورات مجلة صوت البحرين

نحن في الخليج العربي لنا في تاريخ العرب صفحات وليست اهميتها في حاضرنا باقل من اهميتها في ماضينا وسوف يرى اخواننا في البلاد العربية مصداق ذلك كلما اقتربوا منا بالدراسة او واصلونا بالزيارة ، سوف يرون قمما شعبية ومفاخر ادبية نعقد عليها الامال في سيرنا مع ركب العروبة في اندفاعه الى الامام . وها انت ايها القارىء امام مظهرين استطيع ان اقول انهما في طليعة مفاخرنا في يقظتنا هما مؤلف وناشر ، اجل وناشر ولعل عجبك سيتلاشى اذا علمت ان الناشر هذا يتكون من مجموعة من الشباب البار العامل لم يتخذ النشر حرفة ولكنه اتخذه وسيلة ينشر بها الوعي بين مواطنيه ويعرف بها تراثه ، هذا الناشر هو مجلة صوت البحرين التي اصبحت مدرسة للوعي والثقافة في الخليج اجمعه ، اما المؤلف فما هو بخاف عليك فانت قد عرفت استاذنا ابراهيم العريض شاعرا وناقدا ودارسا فلاتركك على معرفتك له والاقدم لك كتابه الجديد ــ الشعر وقضيته في الادب العربي الحديث ــ وهو كتاب كبير بموضوعه وطريقة بحثه جذاب بمؤلفه ومناسبة تأليفه فقد القاه محاضرة على مدرج الجامعة الامريكية ببيروت وقدمته الان مجلة ــ صوت البحرين ــ اعادها الله الى قرائها .

بدأ المؤلف في كتابه باستعراض عام للشعر فنقلنا الى مختلف العصور وجمعنا بشتى الامم ودرس ميزة الشعر عند كل امة ثم استطرد في بحث ادبي مبتكر وهو « انا وانت في كل اثر ادبي » ويقوده هذا البحث الى نظرة ادبية عميقة حول شخصية الشاعر الحقيقية .وشخصيته في شعره « فالشاعر اذا تحدث عن شؤونه الخاصة التي تتعرض لها حياته كان مدفوعا بالعامل الواقعي في كل ما له مساس بالصورة التي ينالها لذاته » ويسوق على ذلك امثلة جمة من الشعر القديم والحديث ويخلص الى سؤال يواجه القارىء للادب دائما « هل يمثل الشاعر نفسه ؟» ويجيب عليه الاستاذ قائلا « فالبيان بيانه ذلك الذوات التي تقوم وراء هذا البيان ليست دائما ذاته الا في الشعر الغنائي الخالص » وهنا اثير سؤالا « الا نستنتج من هذا ان المجتمع نفسه يؤثر على الشاعر ، ثم الى أي مدى ــ على ضوء هذه الحقيقة ــ يستطيع الشاعر ان يكون رائدا لمجتمعه » ايكون جوابه : « ان اتصال ذات الشاعر بذوات مجتمعه يهيء له الكفاءة التامة لان يقود مجتمعه ويوجهه فان فشل فما اظن الا انه صار انانيا فانشغل بذاته عن ذوات قومه وبذلك يبتعد من ان يكون موجها » .

وهو اذ يتكلم عن طبقات الشعراء يتأثر بمطالب جيله من الشاعر فأقل الشعراء حظا لديه ذلك الذي « لا يستطيع ان يفصح الا عن ذات واحدة بلسانه تلك هي ذاته التي ينطوي عليها انطواء » واكمل الشعراء « من تسيطر عليه النزعة المثالية صرفا في اجود حالاتها فهو يستطيع ان يفصح بعدة السنة لا لسانه الواحد فقط » وعلى هذا السلم الذي وضعه استاذنا نلمح هوة كبيرة تجعلنا حائرين وهي السؤال الذي يستولي على فكر القارىء « ان الاستاذ قد حكم للموضوع الذي يبحثه الشاعر وجعله روح الجودة ، اما اسلوب الشاعر ومعانيه التي يتوصل اليها فلا قيمة لها اذا كان شعره غنائيا فهي لا تعينه في رفع قيمته الشعرية » وعلى هذا الاساس يجب ان نضع في القمة اناسا ونهوي باناس . هذه ناحية ليس من شأني التعرض لها الان ولكني وانا استعرض الكتاب وجب علي ان اضعها امام القارىء ليتبين وجهته ، اما المؤلف فلم يكن الرجل الذي يستهين بتراثه فلقد تعرض الى شعرنا الجديد وبحث وسائله واوضاعه بعد ان تكلم عن موضوعيته فهو يظهر لك بتفصيل كل الاساليب التي طرقها الشعراء المحدثون ويستعرضها استعراضا مع امثلة تؤيد اكتشافاته بل ان اعزاز تراثنا الخالد يبدو ساطعا على قلم العريض فأوجد لهذا التجديد مشابها من ادبنا القديم كما انه برهن على ان الثورة الادبية الحاضرة كان لها مثيل من ازمنة مرت في تاريخنا . ويعرج على الشؤون التي يطرقها شعرنا اليوم وفي مقدمتها مأساة فلسطين ولكنه يقسم الشعراء هنا الى ثلاثة اقسام حري بي ان اترك المجال للقارىء في تبينها فان رأي المؤلف جدير بالدرس .

ويختم الاستاذ كتابه بذكر اسماء القمم « التي تجذب في شعرنا الحديث عين الناظر من بعيد » وهو يأخذ رأيه من استنتاج ادبي يقتنع به كل من يساير سير الادب على ممر العصور فهو يقول « ان الشاعر لا يوفق الى الاجادة في اثاره كلها وانما القصائد التي يبلغ فيها غاية الجودة تسجل للناس الذروة التي يستطيع بلوغها » وهو مصيب في هذا اذا ما تذكرنا الشعراء المتقدمين . وقد نشر المؤلف ملحقا في ذكر القصائد التي استشهد بها كانت عنوانا لشعرنا الحديث وقد وسع صدر العريض كل الشعراء المجيدين سواء وافقهم او خالفهم ادبيا فهو دارس عليه ان يفتح صدره لكل ظاهرة وهذا ما كان من ــ خليل العروبة ــ كما سماه الاستاذ مارون عبود .

هذا كتاب ... كتاب دسم ، كتاب من تلك الكتب التي تصلح ان تكون مقدمات لدراسة عصرها . واني اشكر المؤلف على كتابه القيم كما اشكر ــ صوت البحرين ــ على صنيعها الخير في الثقافة والتوجيه .

البحرين **عبدالله محمد الطائي**

ـ بقية المنشور في صفحة ٩ ـ

بل يتوقف على ما يدور بين من يضمهم المجلس كمجالس ثعلب وغيرها .

لقد كتب كثير من الفلاسفة نماذجهم الفلسفية على الطريقة الانسكلوبيدية يذكر من هذا النوع كتاب تعليم الصنائع للفارابي واحياء علوم الدين للغزالي وكتابا الشفاء والنجاة لابن سينا وكتاب الكليات والجوامع لابن رشد .

وقد وضع العلماء المتخصصون التراجم والانساب والتذكرة على انسكلوبيدية ، وكتبوا حول جامعي الحديث وتدقيق سيرهم باسم علم اسماء الرجال كما الفت مجلدات ضخمة عن تراجم النحاة والادباء والحكماء والفلاسفة والمفسرين والقراء والمتكلمين والمتصوفة الكبار والطبيعيين والرياضيين والفقهاء والمحدثين وكثير غيرهم ممن نبغوا في مختلف الاختصاصات ، وحققت انسابهم ومؤلفاتهم وسيرهم .

وممن كتبوا في البلدانيات المفكر الكبير والمتكلم الشهير الجاحظ (٢٥٥ هـ) . فوضع كتابه الامصار . والزمخشري (٥٣٨ هـ) فكتب الامكنة والجبال والمياه ، وياقوت الحموي (٦٣٠ هـ) فكتب معجم البلدان وهو خزانة علم وادب وتاريخ وجفرافية . وقد لخص هذا المعجم صفي الدين بن عبد الحق المتوفي (٧٣٩ هـ) فاقتصر فيه على الجغرافية وسماه مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، وابن فضل الله العمري (٧٤٨ هـ) فكتب مسالك الابصار في ممالك الامصار وهو موسوعة في بضعة وعشرين مجلدا من الكتب الهامة في الادب والتاريخ والجغرافية والتاريخ الطبيعي وغيره (٢٥) .

وقد الفت في التراجم مؤلفات قيمة جدا فكتب ابن سعد (٢٣٠ هـ) الطبقات في سير اصحاب الرسول ، وكتب عز الدين ابن الاثير الجزري (٦٣٠ هـ) اسد الغابة وابن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣ هـ) الاستيعاب في معرفة الاصحاب . وكتب حول سير المفسرين كتب اشهرها كتاب طبقات المفسرين للسيوطي (٩١١ هـ) ، وكتب كثيرة حول سير الفقهاء منها كتب خاصة باسم طبقات الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية . واهم ما كتب في طبقات الحنفية كتاب لعبد القادر القرشي (٧٥٥ هـ) باسم الجواهر ، وكتاب للقاضي نجم الدين ابراهيم بن علي الطرسوسي (٧٥٨ هـ) باسم وفيات الاعيان من مذهب ابي حنيفة النعمان ، وكتاب لقاسم بن قطلوبغا (قوتلوبوغا) الحنفي (٨٧٩ هـ) باسم تاج التراجم في طبقات الحنفية ، ويجدر بالذكر من العهد العثماني كتاب الشقائق النعمانية واذيالها .

واهم ما كتب في طبقات الصوفية كتاب حلية الاولياء لابي نعيم (٤٣٠ هـ) ، وكتاب تذكرة الاولياء لفريد الدين العطار ، وكتاب نفحات الانس لملا جامي .

وما يتعلق بالادب يجدر ذكر الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي ، وبالقراء كتاب طبقات القراء للجزري . وفي تراجم المفكرين الاخرين كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، وما يتعلق بالفلاسفة كتاب طبقات الحكماء للقفطي ، ولابن صاعد والشهرستاني اثار جليلة في هذا الشأن . وهناك كتب حول مذاهب الكلام لابن حزم والباقلاني ، وكتب في الانساب للكلبي والبلاذري والسمعاني وابن الفوطي . وتعتبر كتب ابن خلكان والصفدي الوافي بالوفيات ، وابن حجر الدور الكامنه والسخاوي الضوء اللامع والمحبي والمرادي من ضمن هذه الاسفار الجليلة في التراجم .

وينبغي الا يغرب عن الذهن من العهد العثماني كتاب موضوعات العلوم لطاشكوبري زادة و سفينة الراغب لقوجه راغب باشا وكشف الظنون لكاتب جلبي . وقد تضاءل عدد المؤلفات من هذا النوع بعد عهد التنظيمات الى ان الف العلامة شمس الدين سامي قاموس الاعلام والمترجم عاصم افندي اوقيانوس او ترجمة القاموس والف خواجة اسحق قاموس العلوم الرياضية ، وبدا امر الله افندي بترتيب موسوعة باسم محيط العارف الا ان المنية وافته بعد نشر الجزء الاول ولم تكمل الاجزاء الباقية . وفي عهد الحكومة الوطنية الحديثة تشكلت لجنة لنشر ترجمة الانسكلوبيديا الاسلامية وتشكلت لجنة اخرى لنشر موسوعة كبيرة باسم اينونو انسكلوبيديسي والتي تغير اسمها الان فتصدر بعنوان ترك انسكلوبيديسي أي الانسكلوبيديا التركية (٢٦) .

ولما عملت اسباب اليقظة الحديثة عملها في الشرق العربي ظهر هذا النوع من التاليف بالطراز الحديث وفي صورة جميلة من نثر مقبول وبلاغة مختارة مضافا الى محتوى رفيع من مواضيع شرقية وغربية .

واقدم ما يذكر في هذا الشأن ما وضعه المعلم بطرس البستاني في القرن التاسع عشر باسم دائرة المعارف ولا يزال هذا المصنف جديدا قيما يجري الان اعادة طبعه وتجديده باشراف فؤاد افرام البستاني .

وقد كرس الاستاذ محمد فريد وجدي جانبا كبيرا من مساعيه في تأليف موسوعته الشهيرة بعنوان دائرة معارف القرن العشرين . كذلك الف الاستاذ احمد عطية الله في القاهرة دائرة المعارف الحديثة في مجلد واحد . وصدرت في اوائل ١٩٥٥ الموسوعة العربية في مجلد واحد ، وهي موسوعة شعبية يتوخى فيها السهولة واليسر الى جانب الايجاز والاقتصار على الاساسيات .

وفي الواقع نلاحظ ان الطبقة المثقفة في هذه البلاد لا تزال تستعين بالموسوعات الشهيرة كالانسكلوبيديا الفرنسية والانسكلوبيديا البريطانية والانسكلوبيديا الاميركية وموسوعة تشمبز وكولومبيا ومنشورات لاروس .

فليكن الجهد منصرفا في هذه المرحلة الحضارية قبل التاليف الى حركة الترجمة والنقل وامامنا مشاريع تصرخ بالاهمية والضرورة امثال استكمال ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ، وتعريب احدى الموسوعات الغربية العامة الشهيرة وغيرها من الموسوعات الخاصة كدائرة معارف العلوم الاجتماعية ودائرة معارف الدين والاخلاق ومصنف العلامة توينبي في تاريخ الحضارة وغيره ، دون ان يصرفنا الاهتمام بالشكل والتناسب عن مسايرة التقدم الفكري في انحاء العالم فلتك الوجهة في هذه الاثناء نحو العمل على توطيد دعائم الصلة بين ثقافتنا وبين الثقافة الغربية الحديثة

العراق ـ كركوك — حسين علي الداقوقي

السابق نفس الفصل . (٢٢) حسن فهمي ـ الكتب العربية المطبوعة في مكتبة الجامعة باستانبول ج١ . (٢٣) مباحث علمية ص٧٢ وهو كتاب جليل من منشورات الجامعة العثمانية في حيدر اباد ـ الدكن . (٢٤) كشف الظنون . (٢٥) زيدان ـ نفس المصدر ج٣ . والاستاذ كرد علي في كنوز الاجداد ص٣٧٥ ـ ٣٧٩ . (٢٦) : Ulken : نفس المرجع ، فصل الانسكلوبيديات .

جولة الأديب في شهر

مستقبل الادب العربي

على هامش المؤتمر الثاني المقبل لادباء العرب

تشير كل الدلائل (١) الى ان مؤتمر ادباء العرب الثاني سيعقد في مدينة دمشق خلال شهر اذار [مارس] القادم ، اذ اقرت الحكومة السورية في موازنتها الاعتمادات التي رصدتها وزارة المعارف للانفاق على المؤتمر . وتالفت لجنة تحضيرية من كبار رجال العلم والادب في سوريا لتنظيم المؤتمر ولتوجيه الدعوات لادباء الاقطار العربية الاخرى للاشتراك فيه .

وقد نبتت فكرة عقد مؤتمر دوري عام لادباء العروبة في ذهن الشاعر اللبناني المرحوم صلاح لبكي رئيس جمعية اهل القلم السابق ، ووفق الى اخراج فكرته الى حيز الوجود فعقد المؤتمر الاول لادباء العرب في بيت مري في النصف الثاني من ايلول [سبتمبر] ١٩٥٤ واشترك فيه مندوبون عن لبنان وسوريا ومصر والعراق والاردن والعربية السعودية .

ومن المرجح ان يتوفر المؤتمر المقبل على بحث موضوع مستقل معين هو « مستقبل الادب العربي » يتفرع البحث من خلاله الى النظر في : مستقبل الشعر ـ مستقبل البحث الادبي ـ المقال ـ القصة ـ المسرحية . واود الان ان ابحث فيما يمكن لهذا المؤتمر العتيد ان يعنى به من هذه البحوث وفيما يمكن ان يتخذ بشانها من قرارات او توجيهات .

فاما الشعر ففن من الفنون الجميلة التي تحتاج اول ما تحتاج الى موهبة فطرية طبيعية تقوى وتترعرع بالمران والتدريب والثقافة . وسيبحث المؤتمر ولا شك في قضية الالتزام التي كثر الاخذ والرد حولها في الاعوام الاخيرة، ولا بد ان يبحث المؤتمر في هذا الشعر الحر الذي اخذ يطغى على انتاج الكثيرين من شعراء العربية المحدثين ، بكل ما فيه من خروج على القواعد الكلاسيكية للشعر العربي : من قواف وبحور واوزان . ومهما يكن من امر ، فلن يغيب عن اذهان المؤتمرين ما يعانيه عالمنا العربي من قحط في المبرزين من الشعراء المعاصرين . ونحن لا شك نعتز بشعراء كالاخطل الصغير وابي ريشه وابي سلمى والجواهري ، ولكن لا اظن ان احدا يختلف مع القائلين بان هؤلاء وسواهم من شعرائنا المعاصرين لا يرتفعون الى مرتبة الشعراء الكبار الذين برزوا في النصف الاول من هذا القرن . شوقي وحافظ ومطران . والواقع ان العالم كله يعاني هذا القحط في الشعراء المبرزين ، ولعل هذا يعود الى اسباب عامة تؤثر علينا كما تؤثر على سوانا من الامم . : كما لا شك في ان المؤتمر سيهتم بقلة الملاحم والمسرحيات في الشعر العربي .

اما مستقبل البحث الادبي فسيتناول وضع دراسات شاملة تخضع لمناهج البحث العلمي الحديث عن الادباء والشعراء الذين تركوا اثارا قيمة للفكر العربي . ولا بد ان تتناول تلك الدراسات البيئة الاجتماعية والمعاشية التي كانت تؤثر في اولئك الادباء والشعراء الى جانب المفاهيم الفكرية التي كانت تسود عصورهم المختلفة . ولن تقتصر تلك الدراسات على البحث في انتاج اولئك الادباء والشعراء بل ستتعدى ذلك الى دراسة سير حياتهم والنظر في تواريخ احوالهم الشخصية . وها نحن نلاحظ كيف ان كتابة سير الاشخاص قد اصبحت فنا قائما بذاته في الاداب الغربية ، وهي لا تقف عند كتابة سير المفكرين فحسب ، بل تتعداهم الى كتابة سير العظماء الذين برزوا في مختلف نواحي النشاط الانساني . ثم ان فن كتابة السيرة اخذ يرتفع الى مستوى الفن الروائي تشويقا للقارىء وتقريبا للمعلومات الجافة باسلوب قصصي سهل مستساغ . ولا بد كذلك ان يتناول هذا الباب دراسة التطورات الفكرية من عصر الى عصر ، والتيارات التي غذتها ودفعتها ، والمؤثرات المختلفة التي اثرت فيها .

واما المقال القصير فسيحتفظ باهمية في المجلة او الجريدة . وارى ان السبق في الاعوام المقبلة سيكون للمقال السياسي دون شك ، للاهتمام البالغ الذي يعيره عالمنا العربي لهذا الموضوع ، وسيتبعه في الاهمية والاقبال المقال الذي يتناول مشكلة من مشاكل مجتمعنا الراهنة . وكذلك المقال الذي يعالج ناحية من نواحي التطور العام في انحاء العالم . وقد يكون من ابرز خصائص المقال انه بحث قصير آني ، يخدم اغراض الساعة ، ولا تقدر له الحياة الادبية الطويلة الا فيما ندر .

ولا مشاحة في ان القصة ستنال اعظم قسط من اهتمام ادبائنا . فالقصة هي الوجه البارز من وجوه النشاط الادبي في عصرنا ، والاقبال على قراءة القصة يتزايد يوما بعد يوم بين مختلف طبقات القراء . ولسوف يهتم المؤتمر بتوجيه كتاب القصة للكتابة في الموضوعات التي تهم القراء العرب ، كان تعالج صفحة من صفحات تاريخهم ، او تصور مرحلة من مراحل جهادهم القومي ، او تبرز نضال مجتمعهم في مقاومة الغيبيات واستشراف التطورات في سبيل خلق مجتمع سليم نظيف عادل يقدس الكرامة والعمل الطيب النبيل .

وما ينطبق على القصة ينطبق على المسرحية من حيث الموضوع ، ولكن هناك فارقا هاما في الامكانات ، فالقصة تكتب ليقرأها القارىء في اوقات فراغه ، ولكن المسرحية تكتب لتمثل في مسرح عام . والتمثيل شرط اساسي في ابراز الموضوع وتقريبه الى ذهن الانسان . فاذا تعذر تمثيل المسرحية اكتشفنا ان عامة القراء لا يقبلون على قراءة المسرحية كما يقبلون على قراءة القصة لاسباب كثيرة . وقد لا يجد المسرح نجاحا عاجلا في البلاد العربية ، ونحن نعلم ان الفرقة المصرية لم تستطع مزاولة نشاطها الا باعانات مالية من الدولة . فان نجاح المسرح لا يستلزم كثافة في السكان فحسب ، بل يستلزم كذلك جمهورا مثقفا رفيع المستوى كي يتذوق الفن الرفيع في التمثيل المسرحي ويقبل عليه . وقد اثرت السينما على التمثيل المسرحي في البلاد الراقية ، فكيف لا تؤثر عليه في بلادنا ونحن لما نصل بعد الى مستوى سكان تلك البلاد ؟

لقد اكد مؤتمر ادباء العرب الاول مسالتين هامتين : اولهما : ضرورة التوجيه القومي واستيحاء القضايا الوطنية فيما يكتب الكاتبون ، وثانيهما : ضرورة توفير الحرية للكتاب ولما يكتب الكتاب ، ولا اشك في ان المؤتمر المزمع عقده في دمشق سيؤكد مرة اخرى هاتين المسالتين لما لهما من اهمية بالغة في هذه المرحلة التي يجتازها عالمنا العربي . ولان الاديب ـ بصفته فنانا ومفكرا قبل كل شيء ـ يحتاج الى حرية كاملة كي يعبر عما في نفسه افضل تعبير وكي يستطيع ان يكون رائدا اصيلا للانطلاقات التي يهجس بها ضمير امته ووجدانها .

ومن المرجح ان يكون المؤتمر الثاني احفل واشمل من المؤتمر الاول ، وان يشترك فيه من ادباء العروبة عدد اكبر من العدد الذي اشترك في المؤتمر الاول . ولا شك ان هذا المؤتمر الدوري سيساعد كثيرا في توجيه الحركة

(١) اذيع من محطة اذاعة القدس

الادبية الناشطة في عالمنا العربي وتنظيمها ، وعلى تقريب المفهوم القومي لاذهان الكثيرين من ادبائنا وكتابنا .

الاردن ـ المفرق　　　سليمان موسى

الموسيقي المعاصر سيبيليوس
في الذكرى التسعين لميلاده

●

ثلاثة احداث موسيقية عرفها القرن التاسع عشر فحددت خطوط الموسيقى المعاصرة الاولى وترجع الى رفض بيتهوفن للتقليد الموسيقي القديم ، والثانية تزاوج الاصوات لدى ريتشارد فاجنر، والثالثة استخدام الروس للموسيقى الشعبية كعنصر فني اساسي . وتضم اعمال جان سيبيليوس كل ذلك مسلسلا لحنيا مطردا ، فضلا عن اعراضه عن مجرد التسلية العقلية ومتعتها او تفاهتها وعن التعبير الفردي البحت. وعلى غرار دي فاللا وبيللا بارتوك وداربوس ميلهود وفيللا لوبوس نرى سيبيليوس يحرر الاصوات المتزاوجة من التقليد القومي ليجعلها تتكامل في فن يطرب الرجل العادي البسيط والموسيقي المحترف معا . ولعل ذلك ما يفسر النجاح الكبير الذي تلقاه موسيقى ذلك الملحن الفنلندي لدى المستمعين الانجلوسكسونيين وما تتركه من اثر بارد لدى الجماعات الانسانية في منطقة البحر الابيض وما تجده من فتور لدى الجماعات الجرمانية .

وعلى الرغم من كل ذلك ، يعتبر جان سيبيليوس احد كبار الموسيقيين في عصرنا الحاضر . وفضلا عن العوامل الانسانية التي تفسر موسيقى سيبيليوس فان اجواء البحر الابيض تعززها بل وتظهرها في وضوح . فسيمفونياته السبع واشعاره الموسيقية وكل موسيقاه ومؤلفاته يفسرها الفنانون بذلك الوضوح ، ويجد هؤلاء جميعا فيها اشكالا وخطوطا تقليدية ، فهي الحان معروفة منقولة في اساليب شائعة . ولا شك ان ايقاعها اللحني ومنظوماتها النغمية تشبه الى حد كبير التركيب الموسيقي الرومانتي وخاصة ما نجده لدى الموسيقي براهمز ، فضلا عما تتميز به من اضواء اسكندينافية خاصة ، هي اضواء فنلندة .

ونقول مرة اخرى ان جان سيبيليوس يعتبر موسيقي ارض معينة ، وكان هو عارفا بتلك الرسالة مدركا لها تماما . فعند عودته من رحلته الدراسية في المانيا والنمسا عام ١٨٩٢ انضم الى الجماعة الوطنية الفنلندية (وكانت فنلندة في ذلك الوقت تحت السيطرة الروسية) . وهناك وضع فنه الذي تعلمه في مدرسة الموسيقي براهمز في خدمة « القضية الوطنية » . فأتم مقطوعته الشعرية (كولليرفو) وهي من خمس فقرات موسيقية وكان قد بدأها في العام السابق بمدينة فيينا . وكان لنجاح تلك القطعة التي تخفق فيها آمال الوطن المستعبد ، اثرا كبيرا في الاعتراف به كفنان جدير برسالته الفنية . وكان عمره في ذلك الوقت سبعة وعشرين عاما ، وقد حدد اتجاهه الجمالي واتخذ لنفسه موقفا فنيا . ونراه بعد ذلك يتزوج فتاة فنلندية تكافح في سبيل قضية بلادها . ويقضي العروسان « شهر العسل » في كاريلي حيث ازدهرت الحكاميات الريفية الغربية التي تعرف في مجموعها باسم (كاليفالا) . ويأخذ سيبيليوس وزوجه من ذلك المصدر الكثير ويضيفان عليه انغاما والحانا ويشيع في جو الاجداد هذا حماسهما الوطني . تلك ولا شك كانت رحلة ملهمة نادرا ما يحظى المرء بالهامها في حياته .

فقوى القارة الشمالية والالهة التي ينساب لبنها في جداول من النار ، وهؤلاء الالهة الاخوة الذين يفتشون عن زوجة من الفضة ، كل هذه الاساطير الشمالية تلهم نفس الفنان الناشيء افكارا لم يسمع بها ، ولكنه لا ينساها طوال حياته ، بل تصبح له من رموز الكون وآياته . وكل هذه الطاقات والقوى المقدسة التي اضفت عليها المدنية الحديثة مسحة من القتامة والسواد ، نقلت جميعها الى سيبيليوس قوة على العمل جعلته ينتج قطعة موسيقية بعد اخرى وقد انقذته تلك القوى فيما بعد من ثقل السمع الذي بدأ يزحف على اذنيه وهو المحنة القاسية التي يصيب بها القدر قوى الابداع الموسيقي . وفضلا عن ذلك منعت تلك القوى عنه انهيار عزمه وحماسه عقب انهياره المالي ، بل واتاحت له في امسيات حياته ان يكتب ويؤلف في صومعته المعروفة باسم (جارفينبا). ولنقرأه يقول « ان التاليف الموسيقي كان قائدي وما يزال الى الان . ان عملي يترك في نفسي الغبطة والحماس اللذين عرفهما شبابي ، ولا داعي لان يذهب الخيال بالمرء ويتصور انه من السهل على مؤلف موسيقي كهل ان يقوم



بالتلحين ، فنحن دائما امام مشاكل جديدة » .

ان اعمال ذلك المحترف الملهم لتذكرني بقول نيتشه في كتابه « مغيب الالهة » « ان الفن يجدد مظاهر ذلك العالم المتغير ، فهو يحقق ما ارادته الطبيعة وما حاولت تحقيقه ، وهو في ذلك يستكمل رسمها « المحتوم » .

سيرج مودي

ازدهـار الجاوشو وتدهوره

●

ان الذين لا يعرفون الارجنتين او قصيدة « مارتين فيرو » لهرنانديز ـ القصيدة التي نشرتها اليونسكو اخيرا ـ يتصورون خطأ ان الانشوطة (عقدة الحبل) هي شطر « الجاوشو » . ولكنها القيثارة لفارس البامبا رفيق يلازمه .

وعندما امسك مارتين فيرو بقيثارته ينشد على اوتارها شقاءه ، كانت لهجته لهجة سكان الخيام ، وكانت ثورته العنيفة قريبة الى واقع الحياة الى حد دفع سكان الارجنتين المتواضعين الى اقتناء ٢٢ الف نسخة من قصيدته خلال سبع سنوات . ولكن اربعين عاما انقضت قبل ان تعترف نخبة المثقفين بهيرنانديز شاعرا من اعظم شعرائهم .

ولد جوزيه هيرنانديز عام ١٨٣٤ على مسيرة بضعة اميال من بونيس ايرس . ومنذ حداثته عاش حياة الجاوشو ، فتعلم ركوب الخيل ورعاية الماشية وصد الهنود المغيرين .. وكان الى هذا يجيد الغناء على القيثارة ويشتغل بالصحافة . واثناء نفيه عقب هزيمة الحزب الذي ينتمي اليه قرر ان يثور علانية على الحياة الصعبة التي يحياها الجاوشو ، فاصدر الجزء الاول من مارتين « فيرو » عام ١٨٧٢ ، واعقبه بعد سبع سنوات بعودة « مارتين فيرو » .

ولاول مرة في آداب امريكا الناطقة بالاسبانية وقف شاعر يدافع عن طبقة مغمورة مهددة بالفناء ازاء سياسة الهجرة التي اتبعها خلفاء « روساس » .

وعندما استولى اعداء الدكتاتور على الحكم، وبدأوا ينفذون برنامج التقدم في البلاد ، وهو يتضمن تطور الزراعة عن طريق الهجرة على حساب تربية الماشية ، تعرضت اوضاع الجاوشو لتغير عميق . فقد تعذر عليه مواجهة قوانين ولوائح لم يستطع فهمها . ولم يكن بيده ان يشتري ارضا لنفسه ، فبدأ يجوب القرى ، وجعل منه قانون التشرد طريدا .

وسرعان ما اصبح الجاوشو ضحية استبداد السلطات المحلية ، وانطلق العمد والقضاة وضباط المليشيا يقتصون من الجاوشو ، محب الحرية المطلقة ، ويلقون به في السجون او يرسلونه الى الخطوط الامامية ، فقد كانت القاعدة ان يجند لمحاربة الهنود كل شخص مشكوك فيه او آثم او خارج على القانون . واذا فر المحارب اصبح طريدا لا يعرف انسانا ولا ماوى . وكانت للسلطات خطة اخرى لمعاملة الجاوشو ، فقد كانت تلقي به في السجون دون دافع او قضية ، وتتركه وراء القضبان اعواما طويلة دون ان يعرف لذلك سببا .

في هذا كله وضع جوزيه هرنانديز قصيدته « مارتين فيرو » ... ولنستمع اليه يقص حياته في بساطة رائعة :

بالامس في زاوية ارضي ، كان لي ماشية وامراة واطفال ،

وسرعان ما حلت بي الاوجاع واثقلت كاهلي
لقد القوا بي نحو الحدود ، وعدت لاجد الجدران خائرة ،

وعندما يعود مارتين فيرو من الحرب يجد امراته قد فرت مع غيره :

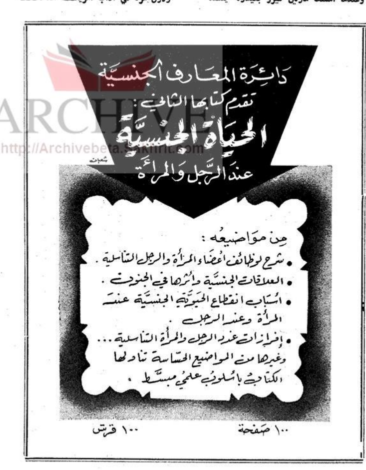
اي افاق لص فرت معه ، لا اعرف من
راحت تبحث عن خبز لم يعد ياتيها مني..

ويجد صغاره عمالا ، فيقول :

دمائي الغالية ، صغاري اصبحوا عمالا
لقد كانوا كافراخ الحمام لم ينبت الريش بعد على ظهورهم ،

ثم يذكر بيته : يا للشقاء لم يعد له من اثر
لم يعد الا جدرانا ...

ويقرر « مارتين فيرو » ان يكون اشد قسوة من حيوان مفترس . انه يجوب القرى ويثمل في المساء ، ويقتل زنجيا في حلبة رقص فتحل به « نكبة » . وفي مرة اخرى يستفزه جاوشو قاصدا بذلك ان ينال من امراته ، فتحل « نكبة » ثانية بمارتين فيرو . ففي هذه المرة يقتفي البوليس اثره ، ويهاجمه في الليل ... كانوا عشرة ، ولم يكن هناك معه سواه . ولكنه يدافع عن نفسه في شجاعة اخاذة تجعل الجاويش كروز يقف الى جانبه . ويمسك كروز بالقيثارة ، ويغني هو الاخر



اشجانه . ان مصدر شقائه ان رئيسه القائد يميل لامرأته ، فاضطر ان يتركها له ... فهو الاقوى . وتؤلف الصداقة بين كروز وفيرو ، ويقرران الفرار عند الهنود ، ما داما لم يجدا لهما مكانا في بلدهما .

وهنا ينتهي الجزء الاول من « مارتين » . وينشر هرناندز البقيــة بعد سبعة اعوام ، ليلتقي من جديد بمارتين فيرو عائدا مــن الصحراء . ويتحدث فيرو عن الهنود بعد ما عاش بينهم ولمس بنفسه حياتهم . ونراه يعيب عليهم قسوتهم الباردة وحساسيتهم الجامدة ، ولكنه يعجب ببسالتهم في الحرب ، وحبهم لخيولهم ، وحسهم بالمساواة .

وتمضي فترة شقاء كبير ، ويموت كروز ، ويدخل فيرو في صراع عنيف مع هندي احمر ليسترد منه اسيرة مسيحية كان يعذبهـا ، ويفر بها عائدا الى بلده حيث يجد ابنيــه وبيكارديا ابن كروز .

وفي هذه المرة ينشد هؤلاء الشبان الثلاثة على القيثارة قصة حياة تدور مراحلهـا حول البؤس والظلم والتحـكم والحب الشقـي والسجن .

وفي المقهى الذي ينشدون فيه ، يقــوم بينهم زنجي ويقترح على مارتين ان ينازله في الانشاد على القيثار . واللبق منهما من يحرج الاخر بالالغاز . وعلى اثر هذا النزال الموسيقي يعترف مارتين بذكاء خصمه وعلمه . ويكشف الزنجي عن نفسه ، فهو شقيق الزنجي الـذي قتل في حلبة الرقص . ويخرج مارتين فيــرو من المقهى ، ويلقي النصح على رفاقه :

لا يجب ان تتركوا صديقا في مازق
ولكن لا تطلبوا اليه شيئا

حسن من يحترم القريب ، ولو كان مــن الهنود .

لقد عبر هرنانديز في عبارات بسيطـــة بساطة الحكمة عن الحب البنوي والحيــاء واحترام الشيخوخة والمساعدة الاخوية ومغفرة الخطايا والرعب من الجريمة والخمر واخلاص الزوجة وغير ذلك من العواطف الانسانية الطيبة.

الجاوشو : عندما يعلم الجاوشو بموتي

عندما يعلم الجاوشو بموتي
ستفيض قلوبهم بالم مرير
فكل شقائي من شقاء كل اخوتي

وكانت النبوءة صادقـة . « فالاخـوة الجاوشو » تبنوا جميعا مارتين فيـرو واصبح كتابه بمثابة انجيل لهم . وليكفي ان احـد التجار طلب يوما « ١٢ دستة علب كبريت ، وصندوق جعة ، ودستة مارتين فيرو ومائـة علبة سردين » .

وقد نشرت طبعة فرنسية لكتاب « مارتين فير » ضمن مجموعة اليونسكو للروائـع الادبية . وتولى بول فرديفويا ترجمتها الـى الفرنسية في اسلوب قريب الى اللغة الشعبية.

دومنيك دي لاكروا

بشر فارس في بيروت

●

وفـد صديقنا الدكتور بشر فارس الى لبنان في اواخر الصيف الماضي ولبث في ربوعه ثلاثة اشهر ، وزار دار الاديب مـرارا فاستانسنا به وبادبه على عادتنا معه . وقد ابدى مدة اقامته نشاطا كبيرا .

أتم في ديفون ثم في شتورة مسرحيـة جديدة له كتبها باللغتين العربية والفرنسية ، تدور حول عطش الانسان الى الكمال وطلب الابدية الروحانية من طريق التضحية عـلى الارض . وقد دعته اذاعة دمشق ثم اذاعة بيروت الى قراءة فصلين منها ، تركـا أثـرا بالغا في المستمعين . وستظهر المسرحية في احدى مطابع لبنان اثناء سنة ١٩٥٦ .

وفي دمشق نشر الدكتور بشر مقالاً فـي جريدة « الايام » عن هبوط الذوق الفني في الهندسة الجديدة بتلك المدينة وندد بالبناء الحديث الذي لا لون له ولا تقاليد ولا مناسبة مع عادات الشرق كما هو باد في حي ابـي رمانة ، وأثار المقال ضجـة هنالك بـين المهندسين .

واما في بيروت فظل صديقنا موضع حفاوة رجالات لبنان ومقصد اهل الادب والعلم . فقد أدلى باحاديث متنوعة : في مجلة « المجالس » تكلم على الشعر وصنف شعراء لبنان ، وفي مجلة « الحكمة » تكلم على الرمزية وشروطها واحكامها ، وفي مجلة « الشعلة » عقد فصلا بين الفلسفة والادب ، وفي مجلة « الرسالة » افاض في اوضاع الادب واصوله ومقوماته ، وفي جريدة « النهار » اجاب عن اسئلة تتراوح بين السياسة والاجتماع في البلدان العربية ولا سيما لبنان .

وقد دعته الجامعة الامريكية مرتين الـى التحدث الى طلابها المنتهين واساتذة القسم العربي والقسم الفلسفي . ففي المرة الاولى تلقى اسئلة عدة من انواع شتى تدور علـى الادب والفلسفة والمسرح واللغـة والشعر ، وكان يجيب على الفور متوخيا افادة الطلاب وامتاع الاساتذة . وفي المرة الثانية القـى بعض قصائد له ، منها « انشودة الفلاح » التي نشرتها الاديب و « نور » المنشورة في عددنـا الممتاز و « الى فتاة العصر » التي سننشرهـا في عدد آت . وقد دعي الى هذا الاجتمـاع نخبة من الاساتذة ومن ادباء بيروت منهـم صاحب « الاديب » . وبعد القاء القصائد دارت مناقشة حول صعوبة هذا النوع من الشعـر وطرافته . وقد رأى الاستاذ أنيس فريحة ان هذا النوع يكلف القارىء مشقة التفكير ، فرد عليه الدكتور جبرائيل جبور والاستاذ انطون غطاس كرم بان هذا النوع من الشعر ليـس للتسلية ولا هو من ضرب مالوف هين ولـكنه يدعو القارىء الى الدخول في التجربة التـي مر بها الشاعر فلا بد للقارىء من ان يغـوص على المعاني ويسترسل الى الاحاسيس ، فيتهيأ للقصيد تهيؤا مخلصا وكاملا . ثم شرح الشاعر نفسه كيف يستعمل الصورة في منظومه ، فهي ليست للتزويق ولكن للتنوير .

ودعت مدرسة الحكمة المارونية الدكتور بشر الى قراءة قصة له من مجموعته « سـوء تفاهم » على طلاب البكالوريا . وهنا حـدث حادث حقيق بان يروى : ما كاد القصاص يقبل على قراءة قصته حتى تعلق مائة وخمســون تلميذا بشفتيه ، فانعطف اليهم القصاص شيئا فشيئا حتى نفذ اضطراب التلاميذ الى عصبه فتأثر تاثرا شديدا واخذ يقرأ وهو يعاني غصة فكانت الكلمات تخرج من فيه ملفوفة بصـدق العاطفة المتقدة ، وكان يتمهل حينا بعد حين ليسترد انفاسه ويغالب وجده ، وكان القصة مثلت بين يديه فعاشها من جديد . وما كـاد ينتهي من القراءة حتى غلبته عينه فاغرورقت، فخجل خجلا شديدا وترك القاعة لحظة ثم عاد اليها اهدأ نفسا فاستقبله التلامذة بتصفيق طويل لانهم احسوا باحساسه وانعطفوا اليه ماخوذين بشعوره الفلاب .



١٦ ديسمبر ١٩٥٥ – قدم السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية استقالته وقد كلف باعادة تشكيلها .

١٧ – احتلت قوات سلطان مسقط امارة عمان ودخلت عاصمتها نزوى .

١٩ – صدق مجلس النواب السوداني بالاجماع قرار اعلان السودان جمهورية ذات سيادة كاملة .

– صدر مرسوم بحل مجلس النواب الاردني وطلب رئيس الوزراء السيد هزاع المجالي قبول استقالته لتتولى حكومة انتقالية الاشراف على الانتخابات . وكانت الاردن في اليومين الاخيرين في حالة تظاهرات واضرابات احتجاجا على نية انضمام الاردن الى حلف بغداد .

٢٠ – اشتدت المظاهرات والاصطدامات في الاردن وقد وقع اعتداء على قنصليتي تركيا وامريكا وقد عهد الملك حسين الى السيد ابراهيم هاشم رئيس مجلس الاعيان بتاليف الوزارة .

٢١ – تالفت الوزارة الاردنية – وافرج وزير الداخلية عن المعتقلين في الحوادث الاخيرة والغى وزير المعارف امر اغلاق المدارس وعادت الحياة طبيعية . وقد اذاع الملك حسين بلاغا اشار الى ان الانتخابات القادمة سوف تقرر اذا كانت الاردن ستنضم الى حلف بغداد ام لا .

٢٣ – قرر رئيس مجلس الامن رفع الجلسة الى موعد غير محدد لدرس الوثائق المقدمة بشان العدوان الاسرائيلي على المواقع السورية في طبريا .

٢٥ – اقر البرلمان السوداني تعيين اعضاء لجنة السيادة التي ستتولى مهام رئيس الدولة وتعمل بموجب دستور يقره البرلمان الى ان يتم انتخاب رئيس الجمهورية .

– تقرر تعيين اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية المصرية قائدا اعلى للقوات المصرية السعودية المشتركة تنفيذا لاتفاق الدفاع المشترك بين الدولتين .

٢٧ – صرح السيد ادجار فور رئيس الحكومة الفرنسية بان فرنسا تعيش في سباق مع الوقت بغية انقاذ مستعمراتها ولاقامة نوع من الجهاز الاتحادي قريبا .

٢٨ – وصل الماريشال تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا الى مصر في زيارة رسمية بعد ان انتهت زيارته للحبشة .

– قررت الحكومة التونسية دعوة الجمعية التاسيسية لوضع دستور لتونس

٢٩ – هاجم الرفيق خروشتشيف الامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي في خطابه الذي القاه في مجلس السوفييت الاعلى الاستعمار وحلف بغداد وحمل على رسائل ايزنهاور التي وجهها الى دول اوروبا الشرقية في عيد الميلاد وذكر الغرب بالقنبلة الهدروجينية الروسية .

٣٠ – اعلنت الحكومة الارجنتينية عن احباط مؤامرة جديدة واعتقال الكثيرين ونفيهم الى الجنوب .

٣١ – قرر زعماء الاحزاب السودانية ان يتالف العلم السوداني من الالوان الازرق والاصفر والاخضر .

٢ يناير ١٩٥٦ – دخل السودان مرحلة الاستقلال التام ورفع السيد اسماعيل الازهري رئيس الوزارة العلم السوداني في احتفال رسمي والقى خطابا جاء فيه : لن ينضم السودان الى اي حلف او اي ميثاق وسيدافع عن استقلاله. قد سارعت الدول الى الاعتراف باستقلال السودان .

– قررت الحكومة الاردنية اجراء الانتخابات النيابية يوم ١٥ ابريل القادم .

٣ – دلت نتيجة الانتخابات الفرنسية التي بدات امس على تطور كبير فقد فاز الحزب الشيوعي باكبر عدد من المقاعد وقد تلاه في الفوز الاشتراكيون وتشير تعليقات الصحف الى ان الانتخابات ستسفر عن جو اكثر تعقيدا من ذلك الذي مرت فيه الجمعية الوطنية السابقة .

٤ – اتخذ المجلس العالي لتفسير القوانين بعمان قرارا باعتبار حل مجلس النواب الاردني الاخير غير دستوري .

– افتتح في لندن مؤتمر المبعوثين الدبلوماسيين البريطانيين في الشرق الاوسط برئاسة وزير الخارجية المستر سلوين لويد .

٥ – طلب السودان الانتساب الى منظمة الامم المتحدة كما وجه مذكرة الى جامعة الدول العربية لتسجيل ترشيح السودان في الدورة القادمة للجامعة .

٦ – قدم السيد ابراهيم هاشم رئيس الوزارة الاردنية استقالة حكومته وكانت الحالة متوترة في الاردن احتجاجا على قرار الحكومة بمنع عقد المؤتمر الذي دعت اليه الجبهة الشعبية .

٧ – اعلن نظام منع التجول في عمان والقدس نتيجة للمظاهرات والحوادث التي وقعت .

٨ – اعلن السيد سعيد القزاز وزير الداخلية العراقية في مجلس الامة ان رجال الشرطة اكتشفوا نشاطا هداما في العراق وكانت الحركة تستهدف اغتيال كبار رجال السياسة .

٩ – الف السيد سمير الرفاعي الوزارة الاردنية واصدر بيانا اعلن فيه ان حكومته لن تعمل على ضم الاردن الى الاحلاف الاجنبية وانها تعتبر قضية فلسطين قضية المملكة الاردنية .

١٠ – اصدرت الحكومة اليونانية مرسوما بحل مجلس النواب .

١٢ – نفى الدكتور حسين فخري وزير الخارجية الاردنية ان تكون الحكومة الاردنية قد تلقت اي عرض من الدول العربية لمساعدتها ماليا كما تردد في وكالات الانباء اخيرا .

– اجتمع مجلس الامن الدولي لاستئناف مناقشة شكوى سورية ضد الهجوم الاسرائيلي بطبريا وقد اجمع مندوبو بريطانيا وامريكا وفرنسا على لوم اسرائيل لهجومها غير المسبب كما ايد المندوب السوفييتي هذه الحملة وكان الوحيد الذي طالب اسرائيل بدفع التعويضات لسورية .

١٣ – صدر بلاغ سوري لبناني مشترك بانه قد تم الاتفاق بين الجانبين على عقد اتفاق دفاعي عسكري بين سوريا ولبنان وكلفت لجنة بوضع الصيغة النهائية للاتفاق .

١٤ – ذكرت الدوائر المطلعة ان الامم المتحدة بعثت بنسخ من ملف سري الى حكومات الدول العربية واسرائيل يتعلق بالمباحثات التي سيجريها همرشولد الامين العام للامم المتحدة مع المسؤولين تمهيدا لتسوية فلسطينية بالاشتراك مع الدول الغربية الكبرى .

١٥ – صدر بيان حكومي في مدريد بان الحكومة الاسبانية ستمهد جميع السبل والوسائل حتى يصبح في الامكان اقامة حكم ذاتي في المنطقة الخليفية من مراكش مع تأييد وحدة واستقلال الامبراطورية المراكشية بالاشتراك مع السلطان سيدي محمد الخامس.

١٦ – نشرت الحكومة المصرية الدستور المصري الجديد .

مطبعة العمال اللبنانيين
الحازمية – بيروت